مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة

شاهد على اغتيال الثورة

دار الأمة Dar El Oumma

مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة

تحرير: صادق بخوش
تقديم: الفريق سعد الدين الشاذلي

شاهد على اغتيال الثورة

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة

الطبعة الثانية
8 ماي 2000 م

الطبعة الأولى
دار الحكمة 1990

إيداع قانوني
2000 / 506

الطباعة والتوزيع العصري
شركة دار الأمة
للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب 109 برج الكيفان 120 16 الجزائر
الهاتف : 04 22 20 (02)
لفاكس: 04 24 20 (02)
تصفيف ومعالجة النص: ياسين أصنام

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

«...استمتعتُ كثيـراً بقراءة كتاب **«شاهـد على اغتيال الثورة»** للرائد لخضر بورقعة.

... إن الكتاب يحكي قصة ثورة الجزائر... من وجهة نظر ضابط شاب في الولاية الرابعة، عاش الحرب من أولها إلى آخرها. قصة حافلة بالبطولات، ولكنها لم تسلم من الكثير من الخيانات والمؤامرات... ثورة سقط فيها الآلاف من الجنود الفرنسيين والمستعمرين، وسقط فيها أيضا الكثير من الخونة والعملاء الذين كانوا يتعاملون مع العدو.

... والكتاب مليء بالقصص الشيّقة التي يحكيها أحد شهودها وصانعيها. فهو يحكي قصة الزيارة السرية التي قام بها قائد الولاية لقصر الإليزي حيث قابل الجنرال ديغول يوم 10 يوليو 1960. تلك الزيارة التي كان يهدف الجانب الفرنسي من ورائها إلى شق صفوف قيادات جيش التحرير، والتي كان نتيجتها قيام جيش التحرير بتصفية كل من شارك فيها.

وهو يحكي كيف كانت زوجات بعض (الحَرْكَة) يسرقن الأسلحة والذخيرة من أزواجهن ليبعثن بها إلى المجاهدين...

...ويخصص المؤلف أكثر من نصف الكتاب ليشرح فيه تفاصيل الصراع السياسي في الجزائر بعد استقلالها. كيف استغل ملك المغرب هذه الصراعات السياسية، فدفع بقواته يوم 9 أكتوبر 1963 لاحتلال وضم أجزاء من أرض الجزائر إلى ملكه... وكيف دفع هذا الغزو القوى الجزائرية إلى توحيد صفوفها من أجل مقاومة هذا الغزو... وكيف تم انقلاب بومدين ضد بن بلة في 19 جوان 1965... وكيف اندلعت حركة التمرد في 11 ديسمبر 1967 بقيادة العقيد الطاهر الزبيري... وكيف التقى لخضر بكريم بلقاسم في باريس ثم بعد ذلك في مدريد في جوان 1968.. ثم يحكي المؤلف كيف انتهت رحلة نضاله العسكري والسياسي بالقبض عليه بعد عودته إلى الجزائر عام 1968، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما، قضى منها سبع سنوات ونصف قبل أن يفرج عنه ليستأنف حياته كمواطن عادي».

من التقديم

بقلم الفريق سعد الدين الشاذلي

قائد الأركان في حرب أكتوبر 1973.

النـــاشـــر

ردمك: ISBN: 9961-67-113-9

صورة تذكارية بعد مؤتمر الصومام مباشرة بالولاية الرابعة: من اليسار إلى اليمين:
1– العقيد سي الشريف (علي ملاح) قائد الولاية السادسة (شهيد) 2– العقيد سي امحمد (أحمد بوقرة) قائد الولاية الرابعة (شهيد)، (خَلَفَ الصادق دهيليس) 3 – العقيد سي صالح (محمد زعموم) قائد الولاية الرابعة بالنيابة (شهيد)، (خَلَفَ سي امحمد بوقرة) 4 – العقيد سي رزقي (عمرو أوعمران) (قائد الولاية الرابعة أثناء مؤتمر الصومام) 5 – العقيد سي الصادق (سليمان دهيليس) قائد الولاية الرابعة (خَلَفَ أوعمران) 6 – الرائد سي الطيب (عمر أوصديق) عضو قيادة الولاية الرابعة.

المؤلف في سطـــــور

* سي لخضر بورقعة.. أو الرائد سي لخضر كما يسميه رفاقه في السلاح. من مواليد 15 مارس 1933 بقرية أولاد تركي بلدية العمرية ولاية المدية.

* التحق بالثورة في أوائل سنة 1956 كان يكافح رفقة أبطال أفذاذ بالولاية الرابعة... سي بوقرة، وسي بونعامة، وسي صالح زعموم الذي ارتبط اسمه بقضية الإليزي...

* يتكلم عنه Yves Courrie ويقول بأن بورقعة هو الوحيد الذي رفض أن يُعدم سي صالح زعموم...

* ويتكلم عنه H. Alleg ويقول كان بورقعة قائد كتيبة الزبيرية التي قاومت بشجاعة نادرة القوات الفرنسية...

* ويتكلـم عنه المؤرخ الجزائـري محمـد تقيـة ويذكـر بطولاته بالولاية الرابعة.

* عيّن قبـيل الاستـقلال في مجلس قيادة الولايـة الرابعة ثم عضوا بالمجلس الوطني للثورة، وبعد الاستقلال شارك في المجلس الوطني الأول ثم في اللجنة المركزية للمؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني سنة 1964.

* وبورقعة معروف بشدة معارضته لجيش الحدود، وهو من المؤسسين الأوائل لحزب جبهة القوات الإشتراكية « FFS » .

- أدخلوه السجن ليلة الذكرى السادسة لعيد الاستقلال في 5 جويلية 1968 رفقة المجاهد (المرحوم) سليمان عميرات وآخرين بتهمـة التحالـف مع الطاهـر الزبـيـري وكريم بلقاسم، وحكم عليه بثلاثين سنة سجنا نافذة. وعرف سجون وهران، لامبيز، تيزي وزو، الحراش إلى أن أطلق سراحه في شهر جوان 1975 إثر عملية جراحية خطيرة(...).

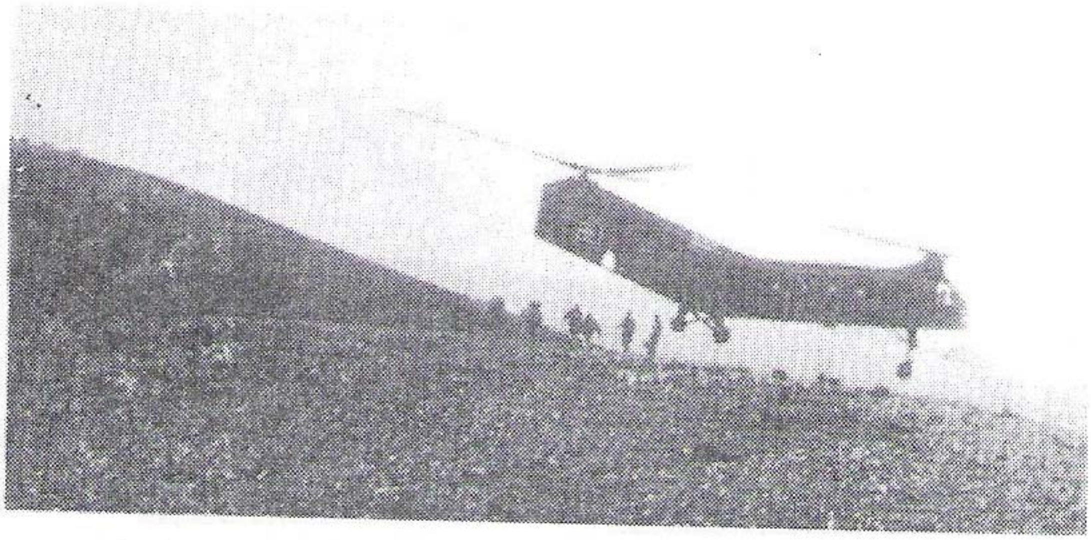

qui s'était fait après " Couronne ", aucun bilan détaillé n'en est publié, preuve de son caractère très incomplet [19]. La katiba Zoubiria, dirigée par Lahkdar Bourougaa, a pu résister pied à pied dans le Mongorno (Titteri) [20] ; la katiba de Tablat échappe le 18 mai à l'encerclement en infligeant des pertes exceptionnellement lourdes (31 tués) aux unités de bouclage. Pendant toute la durée de l'opération, l'A.L.N. n'a cessé de harceler postes, centres, véhicules et patrouilles, particulièrement dans l'Orléansvillois (16 harcèlements dans la seule semaine du 11 au 17 mai, 26 du 1er au 28 juin [21]).

صورة عن امدادات الجيش الفرنسي في معركة موقورنو عن كتاب :
La Guerre d'Algérie - Henri Alleg - Ed Messidor 1981

صورة لاحدى الطائرات المسقطة في معركة موقورنو، ويظهر في الصورة:
محمود الشامي ، ضابط من مدينة المدية (على اليسار)
علي دهلوك ، ضابط فبما بعد من قرية وامري (المدية)

تقديم

الفريق سعد الدين الشاذلي

استمتعت كثيرا بقراءة كتاب «شاهد على اغتيال الثورة» للرائد لخضر بورقعة. والكتاب يقدم لنا حرب التحرير الجزائرية من وجهة نظر ضابط من ضباط الولاية الرابعة. ضابط شاب عاش الحرب من أولها إلى آخرها. والكتاب يشرح بالتفصيل أزمة الثقة التي كانت بين قيادات الداخل التي كانت تقود الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي، وبين قيادات الخارج التي كانت تقوم بجمع الأموال والسلاح وتبعث بها إلى الداخل. ويذكر الكاتب كيف كانت قيادات الخارج تستغل الإمدادات التي تبعث بها إلى الولايات كورقة ضغط تكتسب بها ولاء قيادات الداخل. وكيف كانت الولاية الرابعة تعمل وتسعى لكي تحقق لنفسها اكتفاء ذاتيا. كان مصدر سلاحها الرئيسي هو ما تستطيع أن تغنمه من الجنود الفرنسيين. وكانت تعتمد في توفير احتياجاتها على ثلاثة مصادر رئيسية. المصدر الأول هو ما كانت تحصل عليه من اشتراكات من السكان المؤيدين والذي كان 200 فرنك فرنسي قديم. وكان المصدر الثاني هو ما تفرضه من الأموال على الأغنياء الجزائريين. وكان المصدر الثالث هو ما تفرضه من غرامات على من يخالف أحكام الثورة وأوامرها وعلى المنحرفين عن مبادئ الدين الحنيف والأخلاق العامة.

قد يتعجب الشاب الجزائري الذي يعيش اليوم في التسعينات، كيف استطاع المجاهدون بتلك الموارد المحدودة أن يلبوا مطالب جيش التحرير الذي كان يتصدى للقوة الفرنسية الاستعمارية الغاشمة قبل أكثر من ثلاثين عاما. ويجيب الرائد لخضر عن هذا السؤال قائلا إنهم كانوا قادة وضباطا وجنودا يعيشون عيشة تقشف وكفاف. فقد كانت كسرة خبز يابسة تكفي المجاهد عدة أيام. وكانوا ينامون في العراء. وبالتالي فقد كانت مطالبهم الحياتية قليلة جدا.. أما ما كانوا يجمعونه من مصادر تمويلهم المحدودة، فقد كانوا يستثمرونه في الزراعة.. فيمدون الفلاحين برؤوس الأموال التي تمكنهم من زراعة أرضهم على أن يتقاسموا معهم المحاصيل. ونتيجة هذا التلاحم بين المجاهدين والسكان، لم

تعد مسؤولية جيش التحرير هي قتال الجيش الفرنسي فحسب، بل أنها تعدته إلى إقامة جهاز إداري وجهاز قضائي مواز لأجهزة الدولة. والذي يثير الاهتمام حقا هو أن كل ذلك كان يتم على أيدي رجالٍ لا تتجاوز أعمارهم 25 سنة.

والكتاب مليئ بالقصص الشيقة التي يحكيها أحد شهودها وصانعيها. فهو يحكي قصة الزيارة السرية التي قام بها قائد الولاية لقصر الإليزيه حيث قابل الجنرال ديغول يوم 10 يوليو 1960. تلك الزيارة التي كان يهدف الجانب الفرنسي من ورائها أن يشق صفوف قيادات جيش التحرير، والتي كان نتيجتها قيام جيش التحرير بتصفية كل من شارك فيها. وهو يحكي كيف كانت زوجات بعض (الحركة) يسرقن الأسلحة والذخيرة من أزواجهن ليبعثوا بها إلى المجاهدين... ويحكي كيف تم القضاء على العديد من الخونة الذين كانوا يتعاونون مع العدو.

كانت الولاية الرابعة تتمتع بوضع خاص حيث تدخل عاصمة البلاد في حدود مسؤوليتها، وحيث كان يسكنها الغالبية العظمى من الفرنسيين، والجزائريين المتفرنسين. وبالتالي كانت الولاية مليئة بالخونة... ومليئة بالمواطنين الذين لا تتفق إيديولوجيتهم مع أفكار الثورة الجزائرية. وكان على جيش التحرير بالولاية أن يتصدى لكل هؤلاء، بالإضافة إلى مسؤولية التصدي للجيش الفرنسي.

ولعل أصعب موقف واجهه المجاهدون في الولاية الرابعة هو ذلك الموقف الذي نشأ بعد وقف إطلاق القتال في 19 مارس 1962. لقد كان هذا التاريخ هو بداية الصراع على السلطة في الجزائر. بين الحكومة المؤقتة برئاسة بن خدة من جانب وبين القيادة العامة لجيش التحرير (في الخارج) بقيادة هواري بومدين في الجانب الآخر. وبين قيادة هواري بومدين وقيادة الولاية الثالثة. كانت الولاية الرابعة -كما يحكي لخضر- تريد أن تصلح بين الطرفين، فلما فشلت في ذلك أرادت أن تقف على الحياد. ولكن الاستيلاء على العاصمة كان هدف كل من الفريقين المتنافسين(بومدين من جانب والولاية الثالثة من جانب). وزحفت قوات الطرفين على الجزائر. واشتعلت الحرب الأهلية بين الأشقاء. وسقط شهداء جدد من المناضلين بأيدي إخوانهم في السلاح. وحسم الأمر لصالح بومدين الذي حصل على تأييد الولايات الأولى والخامسة والسادسة وبعض عناصر الولاية الثانية الذين تخلوا عن العقيد سي صالح بو بنيدر «صوت العرب» الذي كان سباقا لمعارضة قيادة الأركان.

ويخصص المؤلف أكثر من نصف الكتاب ليشرح تفاصيل الصراع السياسي في الجزائر بعد استقلالها. كيف استغل ملك المغرب هذه الصراعات السياسية، فدفع بقواته يوم 9 أكتوبر 1963 لاحتلال وضم أجزاء من أرض الجزائر إلى ملكه.. وكيف دفع هذا الغزو القوى الجزائرية إلى توحيد صفوفها من أجل مقاومة هذا الغزو... وكيف تم انقلاب بومدين ضد بن بلة في 19 جوان 1965... وكيف اندلعت حركة التمرد في 11 ديسمبر 1967 بقيادة العقيد الطاهر الزبيري... وكيف التقى لخضر بكريم بلقاسم في باريس ثم بعد ذلك في مدريد في جوان 1968.. ثم يحكي المؤلف كيف انتهت رحلة نضاله العسكري والسياسي بالقبض عليه بعد عودته إلى الجزائر عام 1968، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما، قضى منها سبع سنوات ونصف قبل أن يفرج عنه ليستأنف حياته كمواطن عادي.

إن الكتاب يحكي قصة ثورة الجزائر... من وجهة نظر ضابط شاب في الولاية الرابعة. قصة حافلة بالبطولات، ولكنها لم تسلم من الكثير من الخيانات والمؤامرات... ثورة سقط فيها الآلاف من الجنود الفرنسيين والمستعمرين، وسقط فيها أيضا الكثير من الخونة والعملاء الذين كانوا يتعاملون مع العدو.. ولعل الجانب الحزين في هذه الثورة هو إعدام العديد من أبناء الثورة أو الزج بهم في السجون نتيجة الوشاية أو الصراع على السلطة.. ولكن هذه طبيعة كل ثورة. فلكل ثورة أبطال وضحايا، وأعمال مجيدة وأخطاء. وإذا كانت الثورة قد ارتكبت بعض الأخطاء خلال مرحلة الكفاح المسلح وخلال مرحلة ما بعد الاستقلال، فإن ذلك لا يمكن أن يقلل من الانجازات الضخمة لهذه الثورة على المستوى الإقليمي والعالمي، فهي أول ثورة شعبية تنتزع الاستقلال من القوى الامبريالية بقوة السلاح وبعد صراع مسلح استمر سبع سنوات ونصف، سقط خلالها مليون ونصف مليون من الشهداء... فضربت بذلك رقما قياسيا في تاريخ الثورات. ومن أجل ذلك، فإن كل فرد من أبناء هذا الشعب الذي تحمل كل هذه التضحيات، عليه أن يبذل كل ما في طاقته لحماية المبادئ والمثل العليا التي قامت على أساسها الثورة. والله الموفق.

الجنرال سعد الدين الشاذلي

الجزائر 1990/08/14

مدخل

لماذا هذه المذكرات؟

لا تعدو هذه الصفحات التي أسجلها اليوم أن تكون مجرد مذكرات شخصية، وانطباعات عشتها عبر مرحلة الكفاح المسلح إلى فتنة الولايات بعد وقف إطلاق النار مباشرة عام 1962 إلى انقلاب 19 جوان 1965 العسكري، إلى انتفاضة العقيد الطاهر الزبيري في ديسمبر 1967 التي شاء القدر أن أشترك فيها دون رغبة مني.. ثم القبض علي من قبل مخابرات الرئيس الراحل هواري بومدين وتعذيبي ثم الحكم علي بعشرات السنين سجنا نافذا.

لقد أمدّ الله في عمري لأشهد جميع المراحل التاريخية التي مرت بها بلادي منذ الفاتح من نوفمبر 1954 الذي فجر فيه الشعب الجزائري ثورته المباركة ولم أكن أطمع في عمر يمتد بي لأن أدرك الاستقلال وأشهد أحداثه وأعيش تناقضات بناء مؤسسات الدولة الفتية، وصراع الرجال على السلطة واندساس البعض في أجهزتها لتخريب الذهنيات وتدمير الامكانيات.. وتمرير المشروع الاستعماري في الثقافة والسياسة والاقتصاد... وهو المشروع الذي فشل العدو الفرنسي في إرساء قواعده طيلة 132 سنة من الاستعمار الاستيطاني وتمرير مخططاته...

لقد كتب الله علي قدر الإشهاد على هذه المراحل التي تعد من أدق وأهم مراحل تاريخ الجزائر المعاصر بحيث عشت تجربة الثورة التحريرية فنلت شرف الجهاد جنديا مقاتلا وقائدا منظما في الولاية الرابعة وقادتني الصدفة أن أكون المعارض المباشر للقاء «الإليزي» ولصنّاع حدثه بقيادة العقيد صالح زعموم قائد الولاية الرابعة... وأن أعاني فاجعة استشهاد قائدي ومعلمي سي امحمد بوقرة... ثم فرحة الاستقلال والحرية بالنصر الذي اغتالته نزوات البعض وحبهم للمنصب. واللجوء إلى السلاح، مرة أخرى في أحداث الولايات الشهيرة، وتجربة البرلمان الفاشلة ثم اللجوء إلى المعارضة بتأسيس جبهة القوات الاشتراكية (F.F.S)، وتلتها المسؤولية الحزبية، ولما تفاقمت مظاهر الإنحراف والتعسف

من اليسار إلى اليمين
– معمر جقاقن (من البليدة) – المؤلف – محمد بونعامة (شهيد) – خالد الباي (شهيد).

المؤلف سي لخضر بورقعة مع الرائد محمد بونعامة سنة 1959 وعامل اللاسلكي عبد القادر وادفل.

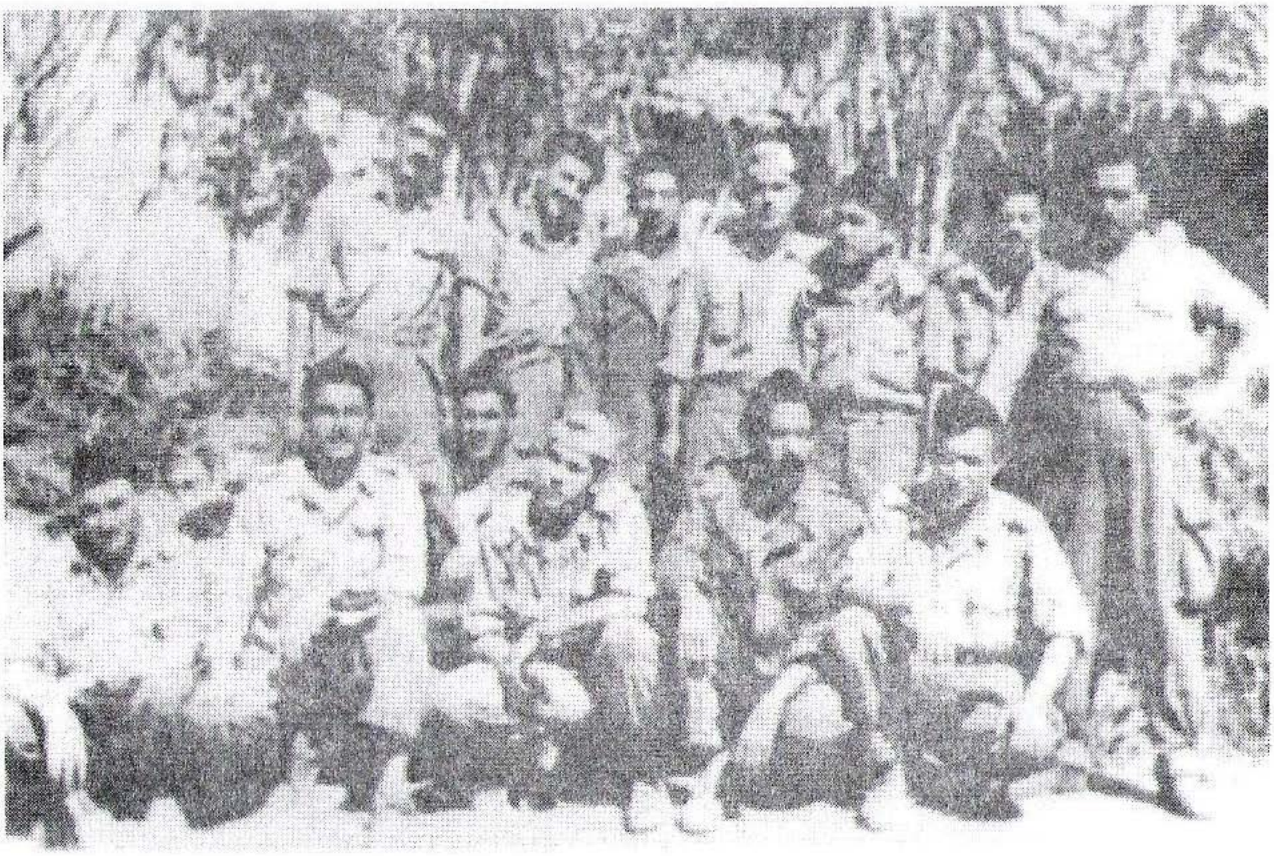

الإخوة المجاهدون الواقفون من اليمين إلى اليسار:
- العقيد عمرو أوعمران (مات بعد الاستقلال) - الضابط الأول الرشيد ڤورين - النقيب مصطفى خوجة (علي خوجة) - الضابط الأول (سي اسماعيل) الرشيد عبد السلامي - الرائد سي لخضر (سعيد مقراني) - العقيد أحمد بوڤرة (سي امحمّد) - العقيد سي صالح (محمد زعموم).

الجالسون:
- النقيب عبد الله بربار - النقيب عبد الرحمن لعلى - الضابط ناصر فرّاح - النقيب عمّار موهوب عبد القادر.

لدى الكثير من القادة الجدد في الدولة والجيش، عمدت إلى التمرد والمعارضة حتى أطلق علي بعضهم صفة «المعارض الخالد»، وبعد مرحلة معاناة أهوال التعذيب الوحشي وظلمة زنزانات المعتقلات عبر التراب الوطني إلى غاية جوان 1975 لم أكن أطمع في الحياة إلى اليوم كان الموت أقرب إلي من حبل الوريد مئات المرات، لقد استشهد أمام عيني آلاف المجاهدين وما كنت أظن أني سأنجو من ذلك المصير المحتوم إن بفعل رصاصة طائشة.. أو في مواجهة أو في كمين .. أو تحت ويلات التعذيب وتوقعات الاغتيال والغدر..

أمام هذه الرعاية الإلهية التي حباني بها الله آليت على نفسي أن أؤدي الأمانة وأدلي بشهادتي للتاريخ دون مبالغة ولا زيف خالية من كل لباقة وحذلقة وتدبيج، وحسبي أن أقول إلا ما أعتقدت صدقا بقطع النظر إن وافق الحقيقة أو خالفها.

إن كتابة هذه المذكرات لا أعدها تاريخا لثورتنا العظيمة ولأحداث ما بعد الاستقلال لأنها لا تخضع للمنهجية الأكاديمية والتمحيص والمقارنة والتحليل بقدر ما تنطلق من عفوية المجاهد ابن الريف الذي نفخت الطبيعة في روحه ثورة الإيمان فيعادي من يعادي هذه الثوابت ويصادق من يصادقها... وقد كلفني التزامي بمبادئي ثمنا باهظا دفعته من روحي وجسمي وأحلامي ومطامحي...

لقد عانيت هاجس كتابة مذكراتي سنوات طويلة، وترددت كثيرا قبل أن أحول خواطري الحميمة ومعاناتي إلى مادة ومعلومات موثقة في متناول أي قارئ .. لأني أتحرج من مسؤولية الكلمة التي تقال عن الثورة إلى الأجيال الصاعدة. هذه الثورة التي لو بقي روادها الأولون على قيد الحياة أو أن بعضهم لما فكرت شخصيا في أن أدلي بشهادتي المتواضعة لأن هؤلاء المعلمين الخلص والمجاهدين الأوفياء... هم الذين صنعوا الأحداث وصاغوا التاريخ وأرضعونا لبن الثورة ومعنى التضحية في سبيل الله والوطن.

لا أحسبني أدلي بحرف واحد في أحداث الصومام 1956 وفي ملتقى العقداء في 1958 وفي انحراف قيادة الولاية الرابعة عام 1960 وفي مخططات العدو الاستراتيجية العسكرية والإيديولوجية والثقافية التي خطط لها أيام الجنرال ديغول، ولا في تلاعب قيادة الخارج بمصالح الثورة وتخلي الحكومة المؤقتة عن

الشرعية ليستأثر بها بعض قادة الولايات... بعد مؤتمر طرابلس 1962، إذن لا أحسبني أدلي بحرف واحد لو أن مصطفى بن بولعيد، والعربي بن مهيدي وسي امحمد بوقرة وعميروش... وغيرهم رحمهم الله ما زالوا على قيد الحياة. لأننا نحن الجنود كنا نعتقد أن قضيتنا في الجهاد وفوزنا في عملنا الثوري إنما يتأسسان على مدى طاعتنا الواعية لأوامر الثورة ولنداء الواجب ولم يكن يهمنا الكلام عن أنفسنا ولا عن مصائرنا كأشخاص...

لكن وبعد أن رحل صانعو مجد الثورة خرجت من ترددي إلى العمل علي تسجيل خواطري مستجمعا بعض ما في الذاكرة من شتات وما علق بها من صدى الأحداث الجسام، مستلهما ماضي الثورة المجيد مستذكرا أننا كنا رغم فهمنا البسيط للأمور منسجمين مع أنفسنا مؤمنين بالنصر أو الاستشهاد في سبيل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة.

وقد كان حوارنا ونحن نلج فجر الثورة الأول جديدا في مضمونه وأسلوبه ولغته لم نعهده من قبل لأنه حوار الثورة والبعث من سحيق الموت...بحيث كان البعض يعتقد أنه يخوض مغامرة في أعماق المجهول ولكنها مغامرة مقدسة. والبعض الآخر يتصور أنه جاء متأخرا وقد فاته الكثير يرجو أن يدركه. أما فريق ثالث فيتوهم أنه في جولة أو نزهة قد لا تطول. وفريق رابع لا يهمه ما يقال ويحدث بل كان ما يعنيه هو تحرير الوطن من الوجود الاستعماري وتطهيره من لوثة الفكر والجهل والقهر والعار...الخ...

والممتع في تلك الأيام أسلوبنا الذي ابتكرناه في التعارف بيننا بحيث كلما سأل أحدنا أخاه المجاهد القادم لتوه ينضم لمسيرة الثورة، متى وأين ولد؟ يجيبه دون تفكير: «ولدت يوم فاتح نوفمبر 1954، تحت هذه الشجيرات أو على أكتاف هذا الوادي... وشهادة ميلادي بندقيتي التي فوق كتفي...».

وهل لك عائلة؟

يرد بسرعة: «أمي الجزائر وأبي ذلك العلم الذي يرفع إلى عنان السماء عبر درب الدم والشهادة...».

هل تشكو من أمر ما؟

يجيبه : «أنا مصاب بمرض مزمن منذ مائة وثلاثين عاما (130) وقد اهتديت إلى الشفاء...».

تعاقبت الأيام والسنون حبلى بالأحداث والصراع اليومي مع العدو فجرب جميع وسائل الفتك والتدمير، واستنبط أنجع خطط وأساليب التجويع وإبادة

الشعب لتركيعه وإثنائه عن رفد ثورته ودعم ثواره... أحرق الأراضي وأباد الحيوانات والأنعام، سيج الوطن بالأسلاك الشائكة وقطعه إلى مناطق محرمة يطلق النار على كل متحرك فوقها وأقام محتشدات أخطر من محتشدات النازية بحيث تميزت عليها بالعمل السيكولوجي الخطير الذي يصده ويمارسه ضباط المكتب الثاني المتخصصون في أساليب التدمير النفسي وغسل الدماغ وبث الشكوك في مقومات الشعب وفي مقدمتها هويته ولغته ودينه وإيمانه بالنصر والتحرير وثقافته وأصوله... إلى جانب العمل العسكري من خلال المخططات العديدة كمخطط شال وعمليات التاج وغيرها في الأوراس والشمال القسنطيني وبجبال جرجرة وفي كثير من مناطق البلاد الأخرى... بما فيها ولايتنا التي كانت على أهمية بالغة في مخطط العدو التدميري بالنظر إلى موقعها وقربها من نقاطه الاستراتيجية ومواقعه الحساسة...

هذه المخططات تتكامل مع جملة من المشاريع الجهنمية التي خطط لها بدقة بهدف التحضير إلى جزائر ما بعد الاستقلال وذلك بمجيء ديغول واقتناعه كرجل حرب وسياسة بحتمية استرجاع الشعب الجزائري سيادته مهما كان الثمن... ومنها مشروع قسنطينة ومشروع ألف قرية زراعية الذي احتفظ به في نظام هواري بومدين دون تغيير الإسم، وإن تغير الهدف!.

مشاريع اختراق المؤسسة العسكرية الجزائرية بعناصر مشبوهة تربت في أحضان المدرسة الاستعمارية وتشربت إيديولوجيتها وكلفت بمهمة الاستيلاء على مراكز القرار في هذه المؤسسة الحيوية في ثورة تعد فيها المؤسسة العسكرية أهم وأخطر إطار يحمي ويحافظ على إنجازات الجماهير في الثقافة والتنمية...

ومشروع التحضير لمستقبل إدارة فرنسية في الجزائر لغة وإطارا وأسلوبا واستمرارية بحيث كلف العدو معاهده ومدارسه بتخريج عدة دفعات(...) أعدت خصيصا لتضطلع بمهمة تسيير الإدارة والاقتصاد في الجزائر المستقلة وغيرها من المشاريع المعلنة وغير المعلنة.

إلا أن هذه المشاريع العدوانية لم نواجهها نحن بدورنا بمشاريع وخطط مضادة لأننا كنا دون مستوى المواجهة من جهة، وكنا في موقع الذي غلبته الأحداث على أمره لكثرتها وتشابكها، فضلا عن انصراف اهتمام بعضنا إلى هموم السلطة والقيادة وبناء البلاد من جهة أخرى.

من اليمين الشهيد بن تركية (من المدية) مع الأخ العقيد عمر أوعمران
مع جنود من كومندوس علي خوجة.

من اليسار إلى اليمين — العقيد سي امحمد بوقرة – عبد السلام (كاتب الولاية الرابعة)
– العقيد سي أحسن (يوسف الخطيب).

إنني اليوم إذ أقف لأنعى موقفنا رغم ما كنا عليه من ثورية وما حضينا به من ثقة الشعب لا أنسى أن أذكّر ببداية الشرخ الرئيسي الذي بدأ يمخر كيان الثورة منذ عهد سابق على الاستقلال، ولولاه ما كان لمشاريع العدو أن تنفذ ولدائه أن يستشري في جسد الاستقلال.

وهذا الشرخ يتمثل فيما كان بين قيادة الداخل وقيادة الخارج من خلاف وصل إلى حد التناقض في الرؤية والمواقف والممارسات بل وإلى المصادمات والتصفيات الجسدية. وإذا كانت بوادره قد ظهرت إلي العيان بعد مؤتمر الصومام 1956 وقبله قليلا... فإن استفحاله اشتد على أثر لقاء العقداء فيما بعد... واستمر ليأخذ أشكالا وأطرافا عديدة فيما بين قيادة ولايات الداخل وولايات الأطراف... ثم ما بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة إلى أن تم الانفجار في مؤتمر طرابلس 1962 وتفتت المواقف وتعددت أطراف الصراع بمستوى تباين المواقف والمصالح والمبادئ... وهكذا وجد العدو مسوغا لتمرير مشروعه العدواني وترتيب الأوضاع لخدمة أهدافه التي أصابت مقاتل الجزائر المستقلة وحرفت ثورتها وقزمت رسالتها ودمرت الحزب من داخله بنفسه وبواسطة الإدارة والجيش... ومكنت الشركات متعددة الجنسيات من نهب ثروات الشعب بأبخس الأثمان... حتي انتهى الأمر إلى ما نحن فيه في الثمانينيات وبداية التسعينيات من دمار في القواعد الاقتصادية وهشاشة في أجهزة الدولة واضطراب في بنية المجتمع تصل إلى حد التناقض الخطير بين فئات بورجوازية طفيلية أو أثرياء بدون سبب... استغلوا فوضى الاقتصاد الوطني والانحراف والاختلاسات المتعددة الوجوه... وبين فئات الجماهير العريضة التي حرمت من أدنى حقوقها الطبيعية والمدنية... يميز هذا الانحراف الاقتصادي انحراف ثقافي وإيديولوجي أخطر منه... بحيث نحن الآن في مرحلة كل ما فيها من وطني.. وسيادي... مشكوك فيه ومباح للمنحرفين والمندسين على الشعب والثورة.

إن ما نحن فيه من نتائج وخيمة هو نهايات لمقدمات بنيت على الخلاف والصراع، وحسبي أن قيادة الخارج تتحمل القسط الأوفر من مسؤولية التفجير واستمرار الصراع الذي مكن العدو من أن يضرب الثورة في عمقها ويتسرب داخل كيانها وبالتالي يخرب مسيرتها ويحرف ملامحها ويغتال مشروعها العربي والإنساني الشامل.

المؤلف مع بابا علي البشير (المعروف باسم الياس).

– المؤلف مع أحد المجاهدين

الفصل الأول

قادة الداخل يجتمعون ويرسلون العقيد الحواس إلى القيادة في الخارج

1 - خصوصية الولاية الرابعة:

إن المتمعن في خارطة الولاية الرابعة بعد التقسيم الجغرافي الذي سنه مؤتمر الصومام عام 1956 يشهد مدى ما لهذه الولاية من أبعاد استراتيجية كبيرة، بحيث تحتوي على جبال وغابات وسهول... وتتاخم البحر عبر مسافة ثلاثمائة كيلومتر.

أدرك العدو قيمتها الاستراتيجية وموقعها من وجود موانئه... ومطاراته ومراكز تموينه... وتجمع قواته المختلفة وبنوكه واحتياطه من الكولون بأملاكهم ومؤسساتهم...

ولا غرو أن منطقة سيدي فرج البحرية التي دخل منها الغزاة عام 1830 تقع ضمن حدود ولايتنا.. وتمتد إلى قرية طاقين الواقعة في باب الصحراء وهي القرية التي شهدت سقوط آخر جندي من قوات الأمير عبد القادر الجزائري... أدرك العدو قيمة الولاية الاستراتيجية والتاريخية ... فاحتاط لها احتياطا كبيرا وأولاها اهتماما عسكريا خطيرا دفعت ثمنه قوافل المجاهدين والشهداء... الأمر الذي فرض علينا أن نواجه التحدي الخطير بتحدٍّ أخطر منه.. وما النصب التذكارية المتناثرة على طول مساحة الولاية إلا دلالةً قاطعة على هول المعارك وجسامة التضحيات وأعداد الشهداء... فرضت علينا وضعية المواجهة الصعبة اتباع منهجية قتالية خاصة واستراتيجية مدروسة وتحكم سياسي وعسكري في إمكانياتنا ومواردنا.

2 - بعض الأضواء على الولاية السادسة:

رغم تشابه الأوضاع في مختلف الولايات إبان حرب التحرير لكن في هذا التشابه خصوصيات عديدة ترد إلى ما لكل ولاية من إمكانيات متنوعة ومكانة استراتيجية تؤهلها لأن تتزود بالذخيرة والعدة والإمدادات ويتكيف أفرادها مع الطبيعة الجغرافية المميزة فيها.

لكن الولاية السادسة قد أهملت منذ البداية ولم يعط لها اهتمام لائق بمكانتها كباقي الولايات الأخرى الأمر الذي أدى بالمصاليين الى التمركز بها بعد فرارهم من الشمال في شهر ماي 1957 إثر معركة ضارية مازالت حجارة وأخاديد كهوف منطقة شمال قصر البخاري شاهدة عليها إلى اليوم حيث قتل فيها خمسة وأربعون عنصرا وتم أسر ثمانية وعشرين آخر، وانسحب من بقي على قيد الحياة الى المنطقة الوسطى من الولاية السادسة التي يحدها شمالا الولاية الرابعة وغربا الولاية الخامسة ونظرا لتوفرها على مواصفات استراتيجية فقد اتخذ منها الجنرال محمد بلونيس بالتنسيق مع ضباط العدو الفرنسي مقر قيادته وتمركز جماعته الضالة...

لقد كان بلونيس كما هو معروف عضوا بارزا في الحركة الوطنية الجزائرية قبل اندلاع حرب التحرير في 1954، لكنه في غمرة الخلاف الذي نشب داخل الحركة، وانقسامها إلى مركزيين وجبهويين ومصاليين اختار هو الفريق الأخير وأصبح من أعتى أعداء ثورة التحرير واليد الضاربة لمصالي الحاج بالتنسيق مع العدو الفرنسي الذي لقي فيه مسوغا لعرقلة مسيرة الثورة وضربها بأبناء الشعب المغرور بهم...

تأثرت الولاية الرابعة بنشاطه المشبوه في بداية الثورة من سنة 1954 والى غاية 1957 وبعد مقتله استمر عناصره في محاربة الثورة طيلة سنواتها الثماني بحيث أذكر أن وحدات تابعة للولاية الرابعة اشتبكت مع ما تبقى من العناصر المصالية شهرا فقط قبل إعلان وقف إطلاق النار مع العدو الفرنسي وذلك في المنطقة الواقعة مابين البرين وعين لحجل وقد استشهد فيها ثلاثة مجاهدين وتم القضاء على عدد غير قليل من المصالين وألقي القبض على خمس وعشرين منهم.

3- تجانس الأفكار

من خلال معايشتي ومتابعتي لاهتمامات قادة الولايات في الداخل عميروش، والحواس وسي امحمد والحاج لخضر والأمين خان في لقائهم المذكور سابقا والذي عقد في منطقة جيجل. أستطيع القول أنهم كانوا على بينة من أمرهم.. بحيث كان لقاؤهم نتيجة تبلور أفكار اختبروها على ضوء الواقع الثوري ومتغيراته مما استدعى التنسيق وتوحيد الجهود بصورة شاملة واستراتيجية للتصدي للطوارىء والمخططات التي رسمها ديغول عند وصوله الى السلطة.

إن الممارسة الثورية اليومية واحتكاك القادة بالفعل الثوري وتعاملهم مع الأحداث ومؤامرات العدو داخلا وخارجا جعلتهم يوافقون على الإجتماع ويرسمون مصير المواجهة من خلاله.

لقد كان وصول ديغول الى السلطة الفرنسية واصراره كرجل حرب ومقاومة وداعية استعمار كبير وصاحب مشاريع أثبتت نجاعتها من خلال مخططات جنرالاته العديدة في الميدان نقطة محيرة في رزنامة العمل الثوري والسياسي وقتها بالإضافة إلى الأخطار الداخلية المتمثلة في الانقسامات الحادة داخل كيان الثورة في الوقت الذي كانت قيادة الخارج تعارض روح ملتقى التنسيق والتصدي ولم توافق على ماجاء به من مقررات تطمح الى تنسيق الجهود وتوحيد القرار فيما بين الداخل والخارج وتضع خطة شاملة تقاتل العدو في نفس الوقت من الحدود الشرقية إلى الحدود الغربية ومن البحر الى الصحراء حتى لاتعطي لهذا العدو الشرس فرصة الاستفراد بجبهة على حدة وتدمير الثورة بأسلوب القضم المرحلي.

ان التمركز حول نقطة خضوع قيادة الداخل إلى قيادة الخارج أخرت العمل الخلاق ومكنت العدو من أن يخلط الأوراق ويعمق التفرقة ويفصل بين الولايات وهو الأمر الذي بدا واضحا في عزل الصحراء عن الشمال بسبب إهمال القيادة لها وتهميشها رغم ما يتّسم به سكان الصحاري من غيرة على الوطن وعراقة في أخلاق الفروسية ومقاومة المغتصبين. لقد تمكن العدو أن يفرض ورقة فصل الصحراء عن باقي الوطن في مفاوضات إيفيان بقوة وأن يعرقل مسيرة السلام... ومرد ذلك في اعتقادي الى أنه في الوقت الذي كان القياديون الفرنسيون

يفكرون بأسلوب استراتيجي، في تفكيك الثورة وعزل مناطقها عن بعضها البعض وتمرير أفكارهم الاستعمارية وتمكين بيادقهم من البيروقراطيين الفرانكفونيين من التحكم في شرايين الحياة الاقتصادية والسياسية.. كنا نحن ندور في حلقة مفرغة ونتساءل فيما اذا تجاوزت الظروف مقررات مؤتمر الصومام؟ وهل المؤتمر الثاني يعتبر شرعيا بعد أن شككت قيادة الخارج في مصداقيته معتبرة إياه إخلالا بهيمنتها على الداخل لأنها ترفض طبيعة التركيب الثوري المنبثق من فصائل المقاومة في داخل الثورة وتنظر لها بعين الريبة والمنافسة على مكانتها من الشرعية الدولية. متناسبة أن المكانة التي تبوأتها في المحافل الدولية لم تكن لتنالها لولا جهود الشعب والثورة في الداخل عبر التضحيات اليومية.

ونضرب مثلا واحدا على ذلك. عندما كانت منظمة الأمم المتحدة مجتمعة في دورة عادية عام 1960 وكان وفد جبهة التحرير لا يلقى ترحابا كافيا من قبل الوفود المشاركة وفجأة انقلبت جميع التقديرات وصار الجميع يتطلع لمقابلة وفد جبهة التحرير الذي فوجئ هو نفسه بهذا التصرف لأنه لا يعلم أن الشعب الجزائري انفجر كبركان هائج في مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في الداخل.

علمنا التاريخ درسا قاسيا أن الشعوب بتماسك طلائعها وتضحياتها تبلغ قراراتها وتفرض حلولها الشرعية... وأنها هي التي تمنح طلائعها الشرعية ومصداقية العمل وليس العكس وهو الدرس الذي تأخر عن فهمه بعض قادة الخارج وظنوا أن أضواء «الكاميرا» وعدسات المصورين التي تصوب تجاههم وقتها والتشريفات التي يحضون بها من قبل ساسة الدول كانت من صنعهم كأبطال معزولين عن القضية. لقد كان وراء هذا الاعتبار آلاف من الضحايا في مؤامرة كبرى على ثورتنا وتصميم نادر الوجود من قبل قوى الشر الغربية الأمريكو-أوروبية لتدمير قلعة كبيرة وبؤرة ثورية تخيفهم من أن تشع أنوار التمرد والثورة في العالم المظلوم وتغير بالتالي جميع موازين القوى المبنية على أسس الظلم والتمايز الدوليين.

إن مشروع شال الذي دام شهورا عديدة وهدف به لأن يكون كماشة تقبض على عنق الثورة وتمنع عنها عناصر الإمداد والتزود بالعتاد والذخيرة العسكريين.. بكل أسف تم بناؤه تحت سمع وبصر القيادة العامة ولم تخطط

لعرقلته ومنعه من أن ينجز ليصبح بعد ذلك خط الموت الفاصل بين الثورة في الداخل وقواعدها الخلفية في الخارج. لقد اتبع شال مراحل عديدة لإنجازه، ففي البداية حقق مسحا شاملا «سيستيماتيكيا» لكل شيء موجود ثم انتقل إلى مراحل الإنجاز الفعلي وكان مستديم الحضور بنفسه مختارا الزمان والمكان لخنق الثورة.

أما نحن في الداخل فقد حاولنا مواجهة الوضع بشيء من الحكمة والخوف، لقد كنا نعرف كيف بدأ المشروع الجهنمي ولم نكن نعرف كيف ستكون نهايته. كان مثلنا في ذلك مثل القائد الكبير طارق بن زياد وفصائله من مجاهدي العرب المسلمين الأوائل بأن «البحر وراءهم والعدو أمامهم وليس لهم ما يقتاتون به إلا ما يفتكون من عدوهم» وإن كان يشفع لهؤلاء إيمانهم وأسلحتهم وقيادتهم المؤمنة بالنصر أو الشهادة، أما نحن فلا سلاح لنا ولا ذخيرة ولا مؤونة.. كل ما كنا نملكه هو الإصرار على مهاجمة العدو المدجج بالسلاح.. بأيد عزلاء وافتكاك السلاح والخبز منه.. أما الجماهير التي ظلت طيلة مرحلة الثورة مصدرنا الأساسي من الرجال والمؤونة والإصرار على الجهاد.. قد أفقرها العدو وجوّعها وحاصرها في مراكز ومحتشدات أو هجّرها خارج الحدود القطرية.. لقد كنا كجنود وحدنا في ساحات الموت يحاصرنا العدو بالسلاح ويخنقنا بالأسلاك المكهربة دون أن يترك شبرا واحدا لم يمشطه بحثا عن المجاهدين والمتعاونين معهم.. مما أدى بالجنرال شال إلى تحدي الثورة في ندوة صحفية والحكم عليها بالموت بعد شهرين من إحكام خطته هذه التي حقق فيها إنجازا كبيرا في معارك ضارية لكن غير متكافئة حدثت في الولاية الخامسة، ومما قاله شال لمراسل صحيفة «لوموند» يوم 21 أفريل 1959 «من الممكن أن يكون حلا عسكريا للقضية الجزائرية في أقرب وقت ممكن وإليكم نموذجا في عملية واحدة حسب لها كل الحسابات، كان من نتائجها (2462) اثنين وستين وأربع مائة وألفين مابين قتيل وأسير في الولاية الخامسة..»

على إثر ذلك التصريح كنا متمركزين في قرية أولاد عابد شمال قصر البخاري فأمرنا القائد سي امحمد بالقيام بهجومات على العدو كان الهدف منها إعادة رفع معنويات المقاتلين والجماهير والرد على غرور شال ونزقه، وكانت خطتنا احتلال مركز تابع للدفاع الذاتي. لكن عدلنا عن تنفيذ العملية بعد أن

تأكدنا من وشاية أحد الخونة وهكذا اكتشف العدو خطتنا فتحرش بغروره ولاحق المجاهدين في هجوم كبير وقعت على إثره معركة (الرقيطة) قرب ثكنة بوغار تكبدت فيها القوات الاستعمارية خسائر هامة في الجنود والعتاد وقتل فيها ضابط فرنسي برتبة نقيب وغنمنا ستًا وعشرين قطعة سلاح (26) وأسقطنا طائرة تفجرت في الطريق الوطني رقم واحد على بعد أربعة كيلومترات من قصر البخاري واستشهد من قواتنا اثنان وعشرون مجاهدا. سيظل النصب التذكاري الرابض بتلك المنطقة شاهدا أبديا على ذلك اليوم المشهود من بين مئات الأيام الخالدة في ثورتنا.

كان هذا الحدث بداية رد بليغ على قائد مغرور ودرسًا له فصوله في معارك قادمة.

تواصلت مهاجمة عساكر العدو ورفع التحدي الذي فرضه علينا شال بعد تصريحه لصحيفة لوموند فنظمنا هجوما واسعا يوم 22 أفريل 1959 بقرية بن احسن بعد أن انتقلنا إليها من الرقيطة وكان برفقتنا أسيران فرنسيان كانا وقعا في الأسر في معركة سابقة. وكان العقيد سي امحمد ينوي إطلاق سراحهما.. لكن كثافة نيران تلك المعركة وقنابل النابالم المتساقطة علينا مدرارا قتلتهما مع من استشهد من جنودنا وهكذا قتل العدو أبناءه بنفسه. في تلك الأثناء كانت طائرة فرنسية تلقي مناشير في سماء المعركة تحمل عزاء للقائد سي امحمد ولجنوده بقتل البطلين عميروش والحواس وتتوعده بالموت القريب أتذكر تلك الأحداث بمرارة وغيض، لقد كنا فيها محاصرين بين النار والنار التي تطلق علينا من الأرض والسماء يمزقنا الجوع والعراء والعزلة المطلقة في الوقت الذي كان فيه رفاقنا في قيادة الخارج يدبجون البيانات ويختارون لها الكلمات الرنانة.. ويكفي أن أذكر هذا النموذج الذي أعلن موت عميروش والحواس وقد صدر عن القيادة العامة: «ثبت فعلا أن عميروش والحواس قد استشهدا في ميدان الشرف...»، وينتهي البيان الطويل وكان من المفروض أن يضيفوا الجمل التالية: «قتل شال 4647 (سبع وأربعون وست مائة وأربعة آلاف) من الجنود المتآمرين في الداخل وعلى رأسهم الذين عقدوا المؤتمر المشبوه وهم سي عميروش وسي الحواس وسي امحمد وعمر إدريس في انتظار القنابل الموقوتة التي ستنفجر في مناطق أخرى تصيب أبطالا آخرين...».

4 – النوايا الصادقة.

كانت نوايا قادة الداخل نزيهة لما عقدوا مؤتمرهم الذي لم يكن موجها ضد أي كان بقدر ما كان ضرورة ملحة لإعادة امتلاك زمام المبادرة وتذليل العقبات التنظيمية والتمويلية لقوات الثورة ومواجهة التطورات اللوجيستيكية لقوات العدو...

ولا أدل على هذه النوايا من المهمة الرسمية التي كلف بها العقيد الحواس من قبل المؤتمرين ليبلغها إلى القيادة في الخارج ويشتمل بعضها على:

1 – الموافقة على ضرورة إضافة ممثلين عسكريين من الحدود الشرقية والغربية للوطن إلى قيادة الداخل للوصول إلى صيغة تمثيلية عامة لكافة قواتنا المقاتلة.

– توحيد القيادة العامة وجعلها جماعية طبقا لتوصيات مؤتمر الصومام.

3 – وضع خطة مواجهة استراتيجية لمشاريع العدووبالتحديد مخطط الجنرال شال الذي استفحل وقتها وأصبح يهدد مصير الثورة بمحاولة عزلها عن قواعدها الخلفية في المناطق الحدودية وكان من أهدافه الجهنمية تفتيت قوى الثورة وعزلها ليسهل الاستفراد بها وتحطيمها نهائيا وقد خبرنا هذا الأمر نحن الذين عشنا آثاره في الداخل من خلال ملاحقتنا اليومية لمنجزاته على أرض المعركة.

من ذلك أنه ضرب حصارا محكما على الولاية الحدودية الخامسة وشن هجوما كاسحا عليها في عملية إبادة شاملة أطلق عليها الجيش الفرنسي وقتها إسم: «عملية التاج»، كما دلت بوادر أخرى ميدانية أنه كان يخطط لتعميم أسلوب الحصار ثم الهجوم الكاسح والمركز والمستمر بجميع الأسلحة إلى درجة لا يترك معها مجالا أو فرصة لخصمه أن يعيد تنظيم قواته لاستئناف المعارك وهي الخطة التي أراد بها العدو وضع حد لحرب العصابات على أن تعمم بعد ذلك على كافة التراب الوطني.

هنا نسجل الفارق بين قيادة الداخل التي كانت تتحرك طبقا لمعطيات يوفرها واقعها الحربي اليومي في مواجهة العدو وبين نوايا قادة الخارج التي كانت تخطط على الورق وتضبط حساباتها السياسية على ضوء اعتبارات سلطوية من

خارج دوائر المعركة... وكان الأولى بها والأجدر قبل التشكيك في نوايا هؤلاء أن تجمع القرائن من على أرض المعركة وتقيم عليها عملية تحليل وبذلك تتصالح مع أهداف وأبعاد مؤتمر القادة في الداخل.

5 - فشل اجتماع قادة الداخل:

فشلت المبادرة، وإن من أهم أسباب فشلها:

1 - كونها صادرة عن أصحاب الداخل وليست من صنيع قادة الخارج.

2 - تخلف الولاية الخامسة عن حضور المؤتمر.

3 - عدم مشاركة الولاية الثانية في المؤتمر مشاركة فعلية وفعالة كما أسلفنا الذكر بحيث كان موقفها موقف القوم الذين قالوا لنبيهم: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون) صدق الله العظيم.

4 - اعتبر المؤتمر من قبل قادة الخارج مؤامرة ضد الثورة وهكذا حكموا عليه غيابيا بالإعدام.

ومن أكبر الأسباب المباشرة الأخرى التي أفشلت نتائج المؤتمر: استشهاد القائدين عميروش والحواس وهما في طريق العودة من المؤتمر إلي مراكز قيادتهما بعد أن ورطا في معركة غير متوازنة مع العدو خاضاها مرغمين خارج تقديراتهما العسكرية. وكذلك استشهاد سي امحمد بوقرة قائد الولاية الرابعة بعد شهرين على استشهاد البطلين السالفي الذكر يوم الخامس من شهر ماي 1959 وهكذا تحالفت جملة من الظروف القاهرة لتحبط نتائج هذا المؤتمر الذي كان على قدر من الاستراتيجية التنظيمية في مواجهة مخططات العدو.

إن استشهاد صانعي هذا الحدث وقناعة قيادة الخارج بضرورة إفشال مفعوله كانت أهم أسباب إحباط نتائجه التي كنا نراهن عليها داخليا.

لقد استدعت بعد ذلك قيادة الخارج من بقي على قيد الحياة ممن شاركوا في المؤتمر إلى مقر قيادتها بتونس تستفسرهم الأمر وقد أطلق قادة الخارج على المؤتمر إسم: «المؤتمر المشبوه».

أما اليوم وقد مرت سنوات على الحدث أرى أنه من الضروري الوقوف عنده بموضوعية وتجرد خدمة للحقيقة والتاريخ ومقاومة لفقد الذاكرة واللامبالاة، إن

جملة من التساؤلات أعتقد أن طرحها يفيد في بلورة الصدق وتحرير تاريخنا الثوري من المغالطات وعرضه للأجيال القادمة عرضا صادقا تتولى بدورها الحكم له أو عليه.

1 - لمصلحة من عقد مؤتمر الداخل؟

2 - وما هي أهدافه؟

نعتقد أن طرح هذه الأسئلة يفيد في استقراء الحقيقة وإبانة خفايا الموقف المضاد الذي تبناه قادة الداخل منذ البدء.

أقدم اليوم شهادة للتاريخ وأقول بأني على يقين أن الدعوة لعقد المؤتمر كانت جماعية وباتفاق كل القادة المشاركين... ولم تكن من وحي ولا بإيعاز من أحدهم، لقد كانوا رحمهم الله على اتفاق تام بضرورة عقد اللقاء وما كانوا ليشكك في نواياهم أحد.. نظرا لما عرفوا به من إخلاص وتصميم وشجاعة على قتال العدو وقد برهنوا على ذلك سنوات قيادتهم للثورة وعند استشهادهم البطولي . إذن كيف يمكن اعتبار دعوتهم للملتقى مؤامرة على الثورة كما يدعون؟ لقد سبق المؤتمر مشاورات طويلة وعميقة بين القادة على ضوء المستجدات العديدة التي حدثت على مستوى الثورة في الداخل ومجيء ديغول إلى السلطة وتبنيه أسلوبا خطيرا في المناورة سياسيا وعسكريا. إن تهمة بعضهم لقادة الداخل بالتآمر هي تهمة باطلة لا أريد أن أسترسل في تقصّي خلفياتها وأبعادها... إن كل ما طمحت إليه هو تبرئة ساحة هؤلاء القادة الشهداء وتصحيح مسار تاريخ الثورة مما علق به لا سيما من قبل الذين وظفوا المنابر وتسارعوا للحديث في غياب توفر شروط الحديث وفي غياب الأطراف المعنية بالحقيقة.

لم تكن أهداف المؤتمر غير الدفاع عن مستقبل الثورة واسترداد السيادة. أما هاجس خوف قيادة الخارج من هذا المؤتمر إنما لا يتعدى موضوع تمثيل الثورة في الخارج والتكلم باسمها.. لم يكن يعنيهم مستقبل الوطن ومشاعر الجماهير وآلامهم في القرى والمداشر والجبال والمدن... بقدر ما كان يهمهم أن يقال عنهم هم قادة الثورة ولسان حالها.

لقد التزمت الولاية الرابعة بوفائها لمبادئ الثورة وعمل قادتها كل ما في وسعهم لإقرار الأمن وتوحيد صفوف الثورة ولم تتأخر في إرسالها خيرة وحداتها

عدة وتدريبا مثلها في ذلك مثل الولاية الثالثة إلى الولايتين الأولى والسادسة تلبية لطلب قادة هاتين الولايتين لوضع حد لبعض المشاكل القائمة في الولاية الأولى بالذات حيث استنزفت جهود المخلصين وفتحت شرخا في وحدة الثورة وأصبحت بعض فصائل جيش التحرير تتناحر فيما بينها دون طائل.

لقد كانت الولاية الأولى بقيادة مصطفى بن بولعيد قبلة كل الثوار ورمزا للثورة نظرا لما اتسم به قائدها من حنكة وتصميم وحكمة عظيمة حتى أنه التزم أمام رفاقه ممن أشعلوا أول شرارة في الثورة أن يلهي ويشغل قوات العدو نصف سنة كاملة بعد 1954 ريثما تلتحق به كل الجهات الأخرى التي لم تهيء نفسها جيدا في الرجال والتجهيزات وقد وفق بن بولعيد رغم إمكانياته المتواضعة.

لكن بعد موته حدث ما لم تحمد عقباه، وانتشرت عدوى الخلافات داخل الولايات بين الولاية السادسة والأولى لذا سارع القائد سي امحمد رحمه الله إلى إرسال وحدات من ولايته تحت قيادة النقيب سي موسى شريف وكلفه بالتعرف عما يجرى هناك من خلاف وأحداث وقد اعتبر بعض الذين لم يتخلصوا من ذهنيات العصبية الضيقة والعشائرية القاتلة هذا العمل تدخلا في الشؤون الداخلية للولاية الأولى رغم أن نظرة القائد سي امحمد للولاية الأولى كانت دوما نظرة تقدير وإكبار فقد هدف بإرساله تلك الفصائل إلى استتباب الأمن ومعاونة الإخوة على تجاوز محنتهم بحكمة وحسن سريرة وكان اهتمامه بالثورة في جميع بقاع الوطن اهتماما كبيرا ينم عن وعي بالمسؤولية الثورية وبوحدة القتال على غرار أولئك القادة الأوائل الأفذاذ. لقد كان سي امحمد شديد العاطفة للولاية الأولى لسبقها في إشعال نار الثورة ومكانتها الاستراتيجية وموقعها في الوطن. لقد خبر سي امحمد وضع هذه الولاية الخاص ودورها في استمرارية الثورة المكافحة فأعطاها اهتماما متزايدا وخصها ببعثاته المتلاحقة حفاظا على أمنها ومعرفة مصير فصائل الولاية الرابعة الذين يتوجهون إلي الحدود الشرقية للتزود بالسلاح والذخيرة.

6 - شهداء الولاية الرابعة خارج حدودها:

كان توجه فصائل مقاتلي الولاية الرابعة إلى القاعدة الشرقية معهودا، وأذكر أن عدد مجاهديها الذين استشهدوا في الولاية الأولى في ذهابهم ومجيئهم بلغ ثماني كتائب أي ما يعادل ثلاثة آلاف شهيد سقطوا بين الجبل الأبيض وبحيرة الأرنب وخنشلة... وقد استشهد بعضهم دون سلاح.

أما دور مبعوث الولاية الرابعة النقيب سي موسى شريف فلم يكن مقصورا على تمثيل قائده سي امحمد.. بل تعداه إلي تقديم عروض شاملة ودقيقة عن مجمل الأحداث والحوادث التي تنشأ هنالك وهي بدورها تحول في تقرير مفصل إلى القيادة في خارج الوطن. وقد تحمل نفس المسؤولية إطارات آخرون أذكر من بينهم سي الطيب الجغلالي وعمر محجوب ونايف وسعيد موسوني.

وإنصافا للتاريخ والحقيقة سأشير إلى بعض الحقائق التي لم تذكر في حدود معلوماتي حتى الآن. وليس الهدف منها خدش روح الثورة من جديد أو تصفية حساب قديم مع أي كان، ولكن قولة الحق هي غايتي ومقصدي.. حتى يتمكن كل طالب حقيقة من نيلها وكل باحث في ثورتنا بموضوعية وصدق أن يحقق مأربه.

ليس من المبالغة في شيء إذا أكدنا أن ما تحمّله مجاهدونا وهم في طريقهم إلي مناطق الحدود الشرقية على غرار مجاهدي الولاية الثالثة يتجاوز كل تقدير بحيث كان الواحد منهم يقطع مسافة ألفي كيلومتر ذهابا وإيابا (2000كلم) جلها في الجبال الوعرة والوديان والغابات محفوفة بالموت تراقبها قوات العدو المدججة بالأسلحة وأدوات المراقبة المشددة. هذه المخاطر العظيمة لا يطمع من خلالها المجاهد إلا في الحصول على قطعة سلاح قد يأتي بها وقد يموت دونها.

رغم حجم هذه المسؤولية وإقدام الرجال عليها خدمة لواجب الثورة تجرأ بعض أصحاب الفتنة من الدس على كتائبنا من المجاهدين والتشكيك في نواياهم وذهب بهم الأمر إلى تجريدهم من السلاح بل إلى الإجهاز عليهم وتصفيتهم جسديا... ومهما كانت الأسباب والتأويلات لا يمكنني بأي حال أن أستوعب حجم البشاعة في أن يقتل المجاهد أخاه؟

صحيح ننسى أحيانا طباع الإنسان فنحسبها خيرا لكن قتل المجاهدين من قبل بعضهم لم يكن ممكنا أبدا على الأقل في ثورتنا نظرا لعدم وجود ما يفرقنا من عقائد ومذاهب وطوائف وحتى أكون أكثر وضوحا ودقة أذكر حادثة اغتيال الشهيد البطل علي حنبلي الذي قرر العودة من تونس ليستأنف جهاده في صفوف الثورة متحديا بذلك سياج الأسلاك الشائكة والمكهربة التي ضربها العدو حول حدودنا الشرقية..لكن نظرا لتعدد جبهات الصراع في تونس وداخل

صفوف القيادة... وقع حنبلي ضحية التكتلات... ولما اشتد إصراره على العودة أخضعته القيادة لأسلوب التجويع مدة طويلة حتى كاد أن يهلك فصمم أن يهرب من سجنه ويلتحق بصفوف العدو ويموت على أيديه عوض أن يموت جوعا في سجون الثورة، كان حنبلي على يقين من أن العدو الفرنسي لن يمهله لحظة حتى يعدمه ومع ذلك آثر الموت شهيدا وبرأ ذمة الثورة من دمه الزكي...

وأما الشهيد الثاني والضحية الأخرى فهو البطل أحمد العقون الذي قرر الالتحاق برفاق السلاح في الداخل فمنعوه هو الآخر ولما أصر على عناده صفوه جسديا وتركوا جثته في العراء ظنا منهم أنه أسلم الروح لكنه في الحقيقة بقي على رمق من الحياة يئن حتى التقطه رعاة تونسيون فادعى أمامهم أنه أصيب في معركة ضد العدو الفرنسي حتى لا يبوح بسر الثورة.. فأعادوه إلي مقر القيادة التي اكتشفت أنه مازال على قيد الحياة فأمروا بقتله ثانية وبذلك يكون أحمد العقون قد استشهد مرتين ليظل حجة ناصعة ضد الزيف وتجار الثورة.

وثالثة الأثافي العقيد لطفي وخراج الطاهر، ونظرا لما كان عليه لطفي من إحساس بالمسؤولية ووعي بالمخاطر التي تحدق بالثورة في الداخل والخارج.. قرر ترك الحدود الغربية وما تتوفر عليه من أسباب الراحة ليدخل جحيم المعركة ويستشهد بذلك على بعد (20كلم) جنوب بشار في وضح النهار في معركة غير متكافئة مع العدو وفي مكان خال من الأشجار ووسائل التمويه. وبذلك يكون العقيد لطفي ورفيقه قد قدما شهادة عنوانها التضحية بالروح من أجل الوطن في الوقت الذي كان بإمكانه وهو القائد الكبير أن يكتفي بالبيانات من الخارج مثله في ذلك مثل غيره من القادة..

الفصل الثاني
قادة كبار عرفتهم، أو من فجر مظاهرات 11 ديسمبر 1960؟

1 - قوات العدو تقلد جيش التحرير وتسمم مياه الشرب:

لم يكن مشروع شال مخططا مفصولا عن تصور جهنمي متكامل لأنه ضارع عمليات مسح مركزة صاحبتها هجومات واسعة الانتشار كان هدفها إرهاق الثورة وخنق قواها عبر مسح توبوغرافي شل جميع مناطق تواجد المجاهدين ومن بين هذه العمليات، عملية «جيمال» و «كوروا» الخ...

ولكي يحقق العدو مشروعه اعتمد نظريات «ضباط لاصاص» ودهاقنة الحرب الاستعمارية من القادة المحنكين ووضعوا مخططا تنظيميا في توزيع تشكيلاتهم العسكرية على طريقة تشكيلات جيش التحرير المكونة من جماعات صغيرة سريعة التنقل والحركة تضرب وتنسحب دون ترك مجال لقوات العدو بالرد والمواجهة.

هذه المجموعات الصغيرة التي شكلوها كانت تتقدم الفيالق الكبيرة أثناء عمليات المسح وقد أطلق عليها إسم: «رأس استكشافي» و «كومندوس قنص».

يلتقي هذا التنظيم مع ما هو متبع في صفوف جيش التحرير ولا يختلف عنه إلا في أسلوب التمويل بحيث يتمولون بالسلاح والذخيرة والمؤونة من الثكنات ومراكز الحراسة المتقدمة التي تتحول عند الضرورة القتالية بعد كشف المجاهدين إلى مراكز معلومات واتصال بالقيادة المركزية التي تعطي أوامرها للطيران الحربي والدبابات والشاحنات المحملة بالجنود... لمحاصرة جيش التحرير.

رغم هذه المخططات والدهاء العدواني والحصار المعقد المضروب علينا من جميع الجوانب أقول بكل تواضع... قد حول جيش التحرير الهزائم إلى نصر وفند نظريات العدو على أرض الواقع، ويشهد بذلك جنود وضباط الجيش الفرنسي الذين عاشوا تلك المرحلة فإذا كانت المعركة تجري فوق أرض واحدة وبأدوات مختلفة، فإن طبيعة الفرد المقاتل هي التي تحسم الموقف في الأخير وتحدد النصر وتحدد الهزيمة لكن هذا التعامل اليومي مع العدو متطور في العدة والعدد شرس في الإيديولوجية متخصص في أساليب التقتيل الجماعي والمناورة... لم يكن دون متاعب وأهم متاعبنا في تلك المراحل التي لا يعرفها إلا من عاناها واحترق بنارها هي:

أ - إشكالية الحصول على الذخيرة:

لقد عرف العدو بواسطة أجهزته الخاصة وعيونه المبثوثة في كل مكان، أن الذخيرة هي مشكلة المقاتل الأساسية وهي بمثابة رئته التي يستنشق منها أكسجين الحياة. فإذا نفذت الذخيرة أحس بأنه خارج نبض الثورة يموت ببطء في العراء التام.

كانت أسلحتنا في مطلع الثورة بسيطة.. جلها من بنادق الصيد بالإضافة إلي بعض قطع قديمة من مخلفات الحرب العالمية الثانية ذات جنسيات مختلفة وتطورت بعد ذلك لأن تصبح مصادر تسلحنا متعددة مختلفة: لكن هذا التنوع والتعدد طرح علينا إشكالية جديدة تتمثل في استحالة توفير الذخيرة لمختلف هذه الأسلحة. فكان لزاما علينا أن نفكر في حل جذري لتجاوز المعضلة، بحيث لجأنا إلى عدونا وجعلناه مصدرنا الأول من السلاح وذلك من خلال هجوماتنا المكثفة على قواته وثكناته وفي كمائننا التي ننصبها بدقة ودراية.. إلى أن تفطن إلى خطة جهنمية لا يقرها منطق ولا يصدقها عقل... بحيث عمدت بعض فرقه الخاصة إلى حشو الذخيرة الحربية بمادة بلاستيكية شديدة الانفجار ودسها ضمن كمية الخراطيش العادية.

وكانوا يعلمون حق العلم أن الجندي الجزائري بعد نهاية كل معركة لا يسارع إلا لغنم الأسلحة والذخيرة... وبذلك يقع في الفخ الذي نصبوه له بكل نذالة وجبن بحيث تنفجر الخراطيش بمجرد الضغط على زناد البندقية أو الرشاشة على

وجه المجاهد، فيموت أو يشل... وفي مرحلة ثانية ساعدت القوات الفرنسية علي تسهيل عملية خروج الذخيرة المفخخة من ثكناتها لتسلم إلى جنودنا بأساليب مختلفة... ومن هنا كانت بيننا وبينهم حرب شروس تضطلع بها أجهزة المخابرات... كان النصر فيها دائما للذكاء وسرعة البداهة ودقة المعلومات وسريتها...

وحتى نتفادى شر هذه الذخيرة المفخخة عمد جيش التحرير وقتها إلى تكوين وحدات خاصة تعني بالكشف عن الذخيرة المفخخة وكانت عملية الكشف تتم بطريقة بدائية نظرا لانعدام وسائل وأجهزة الكشف لدينا بحيث: يتم نزع الكبسولة أولا ثم تفرغ من محتواها ويكشف عما بداخلها.. ثم يعاد تركيبها من جديد ونظرا لطول الوقت الذي كانت تستغرقه هذه العملية.. كنا نأمر جنودنا أن يمتنعوا عن استعمالها قبل أن نعيدها إلى مراكزنا الخلفية ونادرا ما كنا نباغت العدو في معركة مفاجئة أو كمين فنجني منه ذخيرة غير مفخخة. من ذلك معركة جبل «موقورنو» يوم 24 أكتوبر 1958 التي استمرت طيلة ثلاثة أيام بلياليها رغم أنها في تقديراتنا.. ما كان لها أن تتجاوز ساعات قلائل...

تمكنا في تلك المعركة من إسقاط طائرتين عسكريتين ما يزال حطامهما شاهدا عليهما إلى اليوم... وغنمنا أربعة عشر ألف خرطوشة عثرنا عليها داخل الحطام... وذلك رغم كل محاولات العدو لتفجيرها جوا... هكذا غنمنا صيدا ثمينا كان سببا في تغيير معادلة تلك المعركة... التي فاجأت الملاحظين وكل الذين كانوا على علم بإمكانياتنا القتالية بما فيهم العدو نفسه الذي كان يعلم حق العلم حسب تقرير مصالحه الخاصة المؤرخ في 11 ديسمبر 1958 عدد قواتنا ونوعية أسلحتنا وكمية ذخيرتنا وحتى مواقع تمركزنا.

وبالإضافة إلي معضلة الذخيرة كانت منابع المياه والمجاري الطبيعية من صلب مشاغلنا اليومية بحيث لم يكن بإمكان المجاهد أن يحمل معه أكثر من لترين من الماء يستهلكهما عادة في الساعات الأولى من المعركة، وقد كان العدو يخطط بدقة لهذا الموضوع في معاركه ضدنا بحيث يعمد بادئ ذي بدء إلى محاصرة جميع أماكن المياه والينابيع الجارية وحتى البرك... ويقوم بتسميمها لأنه كان يدرك تمام الإدراك أن بعد كل نهاية معركة يسارع المجاهد إلى الارتواء بكمية

من الماء هذه السموم ميزتها أنها تشل الجسد وتجعله في حالة إغماء كاملة حتى إذا خذر نهائيا سهل القبض عليه من قبل قوات العدو التي تظل تراقب عن بعد هذا المشهد السحيق وغير الإنساني الذي لا تقره إلا الذهنية الفرنسية وحدها.

أما السواقي والأودية الجارية فكان العدو يتمركز بالقرب منها ليمنع عنها كل اتصال والتزود بمياهها. وكم مرة عثرنا على حيوانات برية مشلولة بفعل مادة التخدير الخطيرة هذه. كالخنازير والذئاب وغيرها...

ومن سخيف الأمور أن عساكر العدو كانوا يجلبون معهم حبالا ليوثقوا بها المجاهدين المخدرين، وأن كتيبة من الولاية الرابعة وأخرى من الولاية الخامسة في جبل -سعدية- بنواحي الونشريس يوم 27 مارس 1959 ضد وحدات من قوات الهندسة الفرنسية التي كانت تعمل على شق الطرقات بين الجبال لتسهيل عملية ملاحقة الثوار في المناطق الوعرة... وكانت مدعومة من قبل القوات المحمولة جوا. تمكن ثوارنا من إسقاط طائرة من نوع «هيلوكبتر سيكورسكي» وألقي القبض على طاقمها الحربي المكون من جنديين والعجيب في هذا الحدث أن هذين الطيارين المسلحين جرى أسرهما من قبل نسوة بطلات يسكن المنطقة التي أسقطت فيها الطائرة.

لم تكن المعركة بين نسوة الونشريس والطيارين سهلة، فقد قاوم العسكريان النسوة بشراسة حتى مات أحدهما وأسر الثاني ودفع الفضول نساء القرية إلى البحث داخل حطام الطائرة الرابضة بعد إسقاطها فعثرن على حبال أوثقن بها الطيار وانطلقن في البحث عن مكان المجاهدين لتسليمه إياهم وبينما هن جادات في البحث حتى أغارت عليهن طائرة هيلوكبتر أخرى وطاردتهن فقتلت واحدة منهن وكانت تحمل رضيعها بين ذراعيها وتمكنت الباقيات من النجاة وأوصلن الأسير إلى مركز قيادة جيش التحرير ومعه (مسدسه 38 وبندقية العسكرية الأمريكية الصنع).

وعندما أخبرن المجاهدين بأن رفيقتهن تأخرت مع رضيعها البالغ من العمر خمسة عشر شهرا انطلق مجاهدان تصحبهما امرأة في البحث عن المرأة وهي عادة المجاهدين بعد كل معركة أو غارة يشنها العدو، لكن المشهد كان مروعا ومهولا تجاوز كل تقديرات التراجيديا الإنسانية. لقد شاهد مجاهدونا

جثة المرأة الهامدة وقد فارقت الحياة منذ أكثر من ست وثلاثين ساعة ورضيعها متشبث بصدرها ماسك بثدي أمه يقتات من بقايا الحليب المخزون في هذا الجسد الساكن؛ كانت اللوحة سريالية في خيالها، واقعية في مأساتها، عظيمة في دلالتها.

أما أسير النسوة الطيار السجين فقد صرح لنا في اليوم الموالي متحدثا عن ظروف وملابسات سقوط طائرته قائلا: «لقد اتجهت في الوجهة غير التي أمرت بها من قبل قائد قاعدتنا وبالتالي خرجت عن مجال الخطة التي رسمت لي فكان مآلي السقوط...».

ورد عن سؤالنا عن مهمته القتالية قال: «أعطيت لي الأوامر بالالتحاق بمركز قيادة المعركة الجارية في جبل سعدية...».

وعن مكان مركز قيادة المعركة: أجاب «بأنه يقع على قمة باب البكوش يبعد عن ميدان المعركة ببضعة كيلومترات في اتجاه الشمال الغربي من جبل «سعدية» وأضاف «قد اخترت أن أقطع هذه المسافة الواقعة ما بين القاعدة ومركز قيادة العمليات فوق ميدان المعركة تجنبا لشدة الرياح الناسفة فوقعت وكانتالكارثة».

أما عن سر وجود كمية هائلة من الحبال في طائرته المسقطة صرح قائلا «جئنا بها لكي نوثق بها المجاهدين المخدرين بفعل السم الذي دسسناه لهم في مياه تلك الجهة» ويعني تلك التي تقع في الجنوب الشرقي لجبل سعدية وباب البكوش وجبل كعريشة وتعد من المناطق الاستراتيجية التي يحدها من الشمال الشرقي السهل الذي يتوسط مابين هذه البقاع ومدينة الأصنام «الشلف» ومن الشرق الطريق الذي يربط مدينة برج بونعامة بمدينة فيلار».

ونظرا لقيمتها الاستراتيجية وصراعنا مع العدو بشأنها أذكر أننا أضعنا بها خمسة آلاف شهيد (5000) أثناء سنة 1959 وحدها.

ولا أنسى أن أشيد اليوم بتلك العائلات التي رفضت الالتحاق بمراكز التجمع «لاصاص» وفضلت أن تظل تقاسم المجاهدين وضعهم الخطير على أن تخضع لأوامر العدو ومن بين هؤلاء تلك النسوة اللائي أسرن الطيارين وقيدن أحدهما

في الوقت الذي جاء بحبال في طائرته لتقييد المجاهدين، إنها سخرية القدر ووصمة عار في جبين تاريخ الجيش الفرنسي المغرور في معاركه مع مجاهدي ثورة التحرير الجزائرية.

كنا نزداد إقداما وشجاعة لما نرى أولئك الجنود المجهولين من شعبنا يتقدموننا في معاركنا الضارية مع العدو... لقد أخلصوا ماعاهدوا الله عليه.

تحيتي التي لا أملك إلا أن أطلقها لجماهير جبل سعدية وباب البكوش وكعريشة وبطيحة.. ولكل شبر أرض، وكل مواطن وشجرة وصخرة حمت المجاهدين، وبركة ماء روت عطشهم ساعات المحنة والعذاب.

تعد المعركة السالفة الذكر، وبعض المعارك العديدة الأخرى.. نتائج مقدمات كنا نجهلها في الولاية. دفعنا إليها مخطط شال الجهنمي الذي سقط علينا كالصاعقة ولم نحسب له أي حساب، وكانت بذلك خسائرنا فضيعة في الأرواح والمعدات... بدأ مخطط شال ينفذ في الولاية الخامسة في شهر فيفري 1959 دون أن نكون على علم به، ولابعملية (كورون) الخطيرة. فلا القيادة العامة بالخارج أشعرتنا بهذا المخطط ولا نحن استطعنا بوسائلنا الخاصة أن ننتبه إليه رغم توفر المؤشرات الدالة عليه. وهكذا واجهنا مخططا عسكريا محكما لم نعبئ له الجماهير... ولم نهيء قواتنا عسكريا ونفسيا للتعامل مع الوضع الجديد الذي فرضه علينا العدو فكانت الكارثة. والغريب في الأمر أننا علمنا في شهر مارس 1959 أن منطقة الونشريس التابعة للولاية الرابعة وضعت ضمن الخريطة العسكرية الفرنسية كمنطقة تابعة للغرب الجزائري الذي شمله المخطط الجهنمي وبمجرد أن عاينا عملية شق الطرق بتلك المناطق وتواجد قوات العدو بأعداد كبيرة ترابط باستمرار... اعتقدنا جهلا أن مهمتها لا تتعدى شق الطرقات في المناطق الوعرة فأمرنا القائد سي امحمد بوقرة أن نهاجمها ببعض كتائبنا المتواجدة في المنطقة الوسطى لمنعها من إنجاز مخططها... وفعلا تحركت قواتنا وأصابت مواقعها بدقة فقتلت وخربت بعض ما أنجز... واستراح بالنا.. لكن المفاجأة كانت كبيرة والكارثة كانت ثقيلة... بحيث بعد هذه العملية مركزنا قوات كبيرة في مواقع واحدة دون أن نعلم أن جيش العدو ينفذ منذ شهور مخطط مسح شامل ومركز استعمل فيه عشرات الآلاف من الجنود والضباط

والخبراء وآلاف الدبابات والمدرعات والسيارات والمدافع المحمولة... تدعمها الطائرات والصواريخ... وقد امتد هذا المسح تحت إسم : «كوروا » الهلال على طول مساحة الغرب الجزائري وصولا إلى مواقع ولايتنا في الوسط. وهو بدوره امتداد لعملية كبيرة اسمها: «كورون»... وبفضل هؤلاء الفارين من الموت المحقق علمنا حقيقة مشروع الجيش الفرنسي... وتأكد لدينا أن قوات الهندسة الفرنسية التي هاجمناها سابقا هي في الحقيقة قوات أمامية تدعمها محميات تقوم بدراسة «طوبوغرافية» شاملة للميدان ريثما تلحق بها حملة الإبادة الشاملة التي كان من أهدافها القضاء على عنصر الحياة وتدمير الثورة من غرب البلاد إلى شرقها ومن شمالها إلى جنوبها...

بدأنا فورا نتدارك الوضع في خطة وقائية لتفادي حجم الخسائر الباهضة في الأرواح والمعدات كما وقع في الولاية الخامسة، فباشرنا هجوماتنا المتتالية والمركزة في شهر مارس 1959 على قوات العدو لمنعها من التمركز وبناء التحصينات وشق الطرق، وقد انضم إلى قوات ولايتنا جنود وضباط المنطقة السابعة من الولاية الخامسة على إثر اشتداد الحصارعليهم... فتجمع لدينا ما لا يقل عن ألف مجاهد (1000) منقسمين كالتالي:

أ - خمس كتائب من الولاية الرابعة.

ب - كتيبتان من الولاية الخامسة.

ج - وبعض الفصائل الأخرى.

استمرت المقاومة والتصدي اليومي الكثيف أربعا وأربعين يوما دون هوادة، وصل فيها القتال أشده... رغم عدم التكافؤ الصارخ بين القوتين، واتسع مجال المعارك ليشمل كافة مناطق الولاية الرابعة وصولا إلى ناحية تابلاط.

ونظرا لحجم الخسائر الكبيرة، التي مني بها العدو في قواته ومعداته استدعى الجنرال شال وقتها قوات إضافية لتشد عضد قواته، كانت خطتنا الاستراتيجية في العمليات اليومية متواصلة وذات بعدين بحيث فتحنا على العدو جبهتين جبهة تتصدى فيها لقواته في معارك خاطفة تنقض عليه بسرعة وكثافة، والثانية تتمثل في ضرب خطوطه الخلفية لإرباكه وإثارة البلبلة في صفوفه.

2 – هل نجح الجنرال شال في مخططه؟

يبدو للوهلة الأولى أن الجنرال شال حقق مشروعه الذي خطط له بدقة وخبرة عسكرية فائقة يدعمه في ذلك ديغول بكل الوسائل المادية والمعنوية الكبيرة إلى درجة أن توهم أنه أحكم قبضته على الثورة وقضى عليها نهائيا، لكن حجم الأحداث والوقائع التي عرفتها تلك المرحلة تبين عكس ذلك تماما، فحين كانت فرنسا تحتفل بفرحة انتصارها على ثورتنا تعرض الجنرال ديغول إلى محاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة... ولولا فشل هذه المحاولة لتغيرت موازين كثيرة في فرنسا... لن أتوقف عند هذا الموضوع وأتركه للمؤرخين وأصحاب الاختصاص.

إن الأهم في رأينا هو توضيح الخطة التي واجهنا بها مشروع شال في ولايتنا على الأقل.

أ – إعادة تقسيم قواتنا :

لم نتقيد بخطة ثابتة في مواجهة العدو ولا بتقسيم وحيد في قواتنا.. لكن جمعنا كل قواتنا وأقمناها مع خطة متغيرة حسب الظروف والمستجدات والطوارئ، وهو أسلوب حرب العصابات التي فرضها اللاتوازن بين القوتين بحيث لجأنا إلى التقسيم التالي:

I – قسمنا الوحدات إلى أفواج.

II – قسمنا الأفواج إلى مجموعات صغيرة.

كان الهدف من هذا التقسيم هو عدم تمكين العدو من مواجهة قواتنا ولا حتى كشفها في عمليات المسح الشامل الذي كان يقوم به بحيث فوتنا عليه فرص المصادمة غير المتكافئة.

III – تكثيف العمليات المحدودة والهجومات المضادة السريعة والخاطفة على العدو في مراكز تجمعه وفي المدن إلى جانب المعمرين.

IV – نقل المعركة من الجبال إلى المدن والمناطق الآهلة لفك الحصار على القرى والمداشر التي ظلت تتعرض لعمليات المسح... والاقتراب من الجماهير باعتبارها مصادرنا من التموين اليومي...وتحسيسها بدورها وتحريضها ضد عدوها... الذي تمكن بوسائل دعائية وأجهزته المخابراتية المتخصصة لا سيما

ضباط «لاصاص».. أن يوهمها ويغالطها بأنه قضى على الثورة قضاء مبرما، وأن لا حل أمامها إلا الخضوع له ومبايعته على مصيرها.

كل هذه الاحتياطات اتخذناها في نهاية 1959 بحيث أصبحت ولايتنا تضم ست مناطق عوضا عن خمس مناطق سابقا. ونقلنا فضاء المعركة من الجبال والقرى والمداشر إلى المدن والتجمعات السكانية الكبيرة بعد أن كانت قصرا على جيش العدو وبعض نشاطنا السياسي وكانت هذه النقلة الجديدة صفعة دوخت العدو وخلطت أوراقه وصار الحديث عن المجاهدين في أوساط المعمرين والخونة كالحديث عن العفاريت الهادفة من السماء وأصبح المحافظ السياسي في جيش التحرير هو هدف العدو الأول لأنه يقوم بدور المربي والمحرض والموجه في أوساط الجماهير ومصدر تمويل المجاهدين بالسلاح والأموال واللباس والغذاء..

وهكذا تمكنا رغم خسائرنا الباهضة من تفويت الفرصة القاضية على العدو وتحاشينا مواجهته في معارك غير متكافئة بحيث تعاملنا مع قواته الكلاسيكية بأسلوب تكتيكي، محلي يقوم على المفاجأة والسرعة والاستنزاف اليومي... مستغلين عنصر معرفة ميدان المعركة ودعم الجماهير لنا.. وخبرتنا الواسعة في الحرب... وهكذا فشل شال في تحقيق مشروعه كما اعترف شخصيا بذلك... وسقطت أسطورة الجيش الفرنسي الدولية ورفع عن الخونة والمعمرين وهمهم بأنهم في مأمن من ضربات المجاهدين الذين يشبهونهم بذئاب الغاب... بل واستردت الجماهير ولا سيما سكان المدن ثقتهم في قوتهم وفي استمراريتها وتصميمها على التحرر...

3 - اجتماع وملابسات :

قرر مجلس الولاية الرابعة في أكتوبر 1960 في إطار إعادة تقسيم الولاية لمجابهة مستجدات الوضع... أضاف المنطقة السادسة التي تحتوي منطقة العاصمة والساحل وأقر ذلك في اجتماع عقد في ظروف خاصة ومكان خاص كذلك.

عقد هذا الاجتماع بإحدى ضواحي بئر التوتة، وتم فيه اعتماد التقسيم المشار إليه نظرا للقيمة الاستراتيجية لتلك المنطقة باعتبارها العمود الفقري للولاية الرابعة، ومركز تجمع سكاني كبير لا سيما من الأوروبيين، وتشمل منطقة عاصمة البلاد المركز العسكري والسياسي والتجاري... بموانئه ومطاراته وثكناته..

ورغم صعوبة التنقل والحصار المشدد.. وعيون العدو المنتشرة في جميع الأماكن والمداهمات والدوريات المستمرة... تمكنا من الوصول إلي بئرتوتة وعقدنا الاجتماع الذي نعتبره تاريخيا... في إحدى المزارع التي يملكها أوربي ولا تبعد عن محطة قطار بئر توتة إلا بضعة أمتار حيث تعج بجيوش العدو وإلى جانب الطريق الرسمي التي لا تهدأ فيه حركة السيارات والشاحنات ذهابا وإيابا ودوريات المراقبة والتفتيش المستديمة.

لقد وقع اختيارنا على هذا المكان لمغالطة العدو الذي لا يمكن أن يضع في حسبانه أن ضباط جيش التحرير قد يجتمعون في هذا المكان المحفوف بالمخاطر وفي مزرعة رجل أوروبي لا يصدق أن يخون من وجهة نظرهم وطنه فرنسا مقابل إرضاء «الفلاقة» .

لقد وصلت تلك المزرعة رفقة مساعديّ وهما بوسماحة محمد المعروف بمحمد البرواقية الذي عين في ذلك الاجتماع على رأس منطقة الجزائر العاصمة والساحل والمرحوم روشاي بوعلام المشهور باسم سي الزوبير وقد تم تعيينه يومها نائبا لسي بوسماحة.

حضر معنا الاجتماع الهام مسؤولو الناحية الساحلية وشهيدان هما المرحوم سي جعفر وأحمد البلي وكذلك شخصان آخران مازالا على قيد الحياة وهما خالد وحجال بناني.

وقد أمضينا في تلك المزرعة ليلتين صحبة مالك المزرعة الذي يعد من بين الأوروبيين الشرفاء الذين وقفوا إلى جانب الثورة والمجاهدين ودافعوا عن شرعيتها وأخلصوا لها أيما إخلاص ومنهم من استشهد جزاء موقفه الإنساني .. وقبل الاجتماع اتصل به بعض المناضلين في منطقة بورقيقة فوافق على أن تحتضن مزرعته الاجتماع الهام وكان من قبل يختلف إليه المجاهدون الذين ضاقت بهم السبل فيكرمهم. وأذكر أنه بعد الاجتماع أهدى لنا جهاز «ترانزيستور» جديدا وكان حديث العهد في بلادنا ونادرا جدا.. أهداه خصيصا إلى روشاي بوعلام لخفة روحه وإتقانه الفرنسية.. وسهولة تعامله مع الأوروبيين... وليس لأمر آخر إذ لم يكن يعرف أي أحد منا ولا يعلم شيئا عن أسمائنا وسبب تواجدنا بمزرعته ولا عن نوع المهمة التي جئنا من أجلها، إن كل ما كان يعرفه عنا أننا جماعة من المجاهدين جئنا نختفي في مزرعته طلبا للراحة بعد حصار وإرهاق كبيرين.

لكن روشاي بوعلام (سي الزوبير) رحمه الله أبى إلا أن يكرمني بهذا الجهاز (المذياع) مدركا حاجتنا إليه ونحن في الجبال نلتقط أخبار ثورتنا وأخبار العالم، أهداه لي لحظة وداع مؤثرة لا يمكن أن أنساها ما بقيت حيا لقد ودعت فيه إلى الأبد الرفيق الشجاع والشقيق الودود والصديق المخلص.. كان أقرب الناس إلى قلبي وفكري، قاسينا معا المرارة والعذاب وحلاوة الجهاد.. حاولت لحظتها أن أوقف دموعا انفجرت رغما عني فلم أفلح نظر إليّ سي الزوبير بعيون ترقرقت دمعا حارا وربت على كتفي قائلا: «أنا في طريقي الآن كما اتفقنا إلى العاصمة وأرجو أن لا يؤلمك فراقي فقد نلتقي وقد لا نلتقي ..وأهديك هذا المذياع وستستمع منه بإذن الله إلى صوت الجزائر نذيعه من الجزائر، لا من خارجها..».

وفعلا شاءت الأقدار أن أتابع على موجات ذلك المذياع صوت الشعب الجزائري وهو يتهدر ساخطا على العدو في مظاهرات 11 ديسمبر 1960 ونحن نرابط على أعالي الجبال قرب موزاية .

لقد قلبت تلك المظاهرات الشاملة جميع الموازين، وعرّت الاستراتيجية الفرنسية ومن ورائها الحلف الأطلسي، وأكد الجزائري من خلالها أنه لا يقبل بما دون الحرية والاستقلال التامين.. لكن رغم انتصار الجماهير في تلك الانتفاضة فقد فقدت الثورة مئات الشهداء إلى جانب أسر قائد تلك الانتفاضة ومخططها بوسماحة الذي جرح وألقي عليه القبض من قبل قوات العدو في منطقة بني موسى، وقد تم تهريبه بعد ذلك من قبل جيش التحرير في ظروف صعبة.

هذا وسأعرض لهذا الموضوع بالتدقيق لاحقا نظرا لأهميته على المستوى الذاتي والموضوعي.

تولى القيادة من بعده وعضده نائبه سي الزوبير الذي لم تسعفه الحياة طويلا فسقط شهيدا في هذه الانتفاضة الضخمة ورسم ببطولته رمزا للحرية فداه بحياته وحياة رفاقه المجاهدين.

إن استشهاد سي الزوبير في شوارع العاصمة وارتفاع تمثاله الأشم اليوم في ساحة بلكور دعامة وجواب لكل المشككين في تحدي الثورة كل أنماط الحصار والدعايات وإثبات أنها ليست ثورة مغاور وجبال ولكن ثورة عارمة تتوزع على

خارطة البلاد كافة وتقض مضاجع العدو في كل شبر من الوطن وتقلقه حتى فوق أراضيه الفرنسية نفسها من خلال عمليات فدائيينا هناك.

كثر الحديث وتشعب منذ الاستقلال إلي يومنا هذا عن حيثيات مظاهرات 11 ديسمبر 1960 واختلف المؤولون فيمن فجر هذه الأحداث الضخمة؟ ولا أحسب أن منْ تكلم في هذا الموضوع جاء بالحقيقة إلي اليوم، لذا رأيت من واجبي وأنا الذي خططت مع رفاقي لهذا الحدث الجلل أن أدلي بشهادتي للتاريخ والله على ما أقول شهيد.

إذن بفضل تلك الحفنة من ضباط جيش التحرير الوطني، تؤازرهم جماهير غاضبة رافضة هيمنة العدو تحقق انفجار 11 ديسمبر العظيم ولم يكن عملا عفويا جانبيا قامت به الجماهير بعيدا عن تخطيط جيش التحرير.

إن القبض على بوسماحة في بني موسى جريحا والحكم عليه بالإعدام من قبل قوات العدو واستشهاد سي الزوبير وعدد من ضباطنا وجنودنا من بينهم خير الدين الذي كان برتبة نقيب في جيش التحرير، والسعيد بوراوي والضابط عبد الرحمن المدعو الوناس بحي باب الوادي وخالد وسي رضا في البليدة وسي توفيق في برار، وسي اسماعيل وسي اعمر سقطا في بوفاريك... وإلقاء القبض على تقية محمد الخ... إن هذه القائمة المقتضبة لا تترك مجالا للتشكيك في أن المخطط والمدبر والمنفذ مع جماهيرنا هي الثورة المسلحة التي كانت على أتم الوعي بما ستجنيه في الداخل والخارج من تلك الانتفاضة الشعبية الرافضة ... ولم تكن مجرد مغامرة دفعت فيها الجماهير إلى الانتحار.. كما يحلو لبعض المزيفين أن يزعموا.

زلزلت حوادث 11 ديسمبر كيان العدو، وأثبتت له أن يد الثورة تتعدى الجبال إلى المدن وتحرك الجماهير متى تشاء وكيف تشاء وتدمر مؤسساته العسكرية والمدنية على السواء وهي فوق ذلك كله رسالة بالغة البيان موجهة إلى القيادة الفرنسية وعلى رأسها ديغول المتغطرس، والرأي العام الدولي الرسمي والشعبي، بأن الشعب الجزائري مصمم على استرجاع سيادته مهما كان الثمن وظروف التصدي.

ما زالت حروف الرسالة النارية التي بعث بها إلينا من قلب الأجيج قائد الانتفاضة روشاي بوعلام قبل أن يستشهد وشاء القدر أن تصلني بعد أن فاضت روحه إلي بارئها بعد أكثر من عشرة أيام فكانت خطاب شهيد لم يمت حتى أوقد جذوة نور في سراج الدرب الصعب.. ثم رحل منتصرا.. رسم إلينا البطل في رسالته حجم الانتصارات والدمار الذي حققه الشعب ضد العدو في الداخل وصورته الأسطورية في الخارج عند الحكومات والمنظمات والدول والشعوب، وعندما أجلس اليوم في صمت أرمق ذلك الدرب الرهيب والسراط المسيج بالموت والنصر أسأل نفسي كيف كنا قلة وكان العدو كثرة وكنا ضعفاء وكان الأقوى وكنا عزلا وكان المدجج.. وكان الفرق بيننا وبينه كالفرق بين السماء والأرض ومع ذلك تمكنا من أن نتصدى لمخططات جنرالاته العتاة وترسانته الضخمة المزودة بأعلى وأدق الأسلحة والأجهزة الالكترونية الفتاكة والغازات المحرمة دوليا يلقيها علينا من الجو والبحر والأرض وطائراته النفاثة وأسلاكه الشائكة ومخططات أجهزته الاستخبارية المتقدمة... كيف استطعنا أن نواجه كل هذا وغيره ونفشل عملياته وننقل معاركنا من الجبال إلي المدن ونحدث الزلزال الرهيب في عقر داره على مرأى ومسمع ضباطه ومراكزه وثكناته وقواعده.. ونحول نظرية الهزيمة إلى نظرية للنصر المحتوم في الداخل والخارج..؟

أسئلة يستحيل الجواب عنها خارج منطق ثورتنا التحريرية المتميزة.. ويصعب استيعاب ديناميتها دون معايشة ضميرها الداخلي، ذلك السر الذي يحدس ويعاني على مستوي الوجدان وفي أغوار الروح ولا يلمس ظاهريا... أنه التزام الضمير وانضباط الإرادة والتوحد في الشهادة أو النصر وأشياد أخرى لا نعلمها، كلها معطيات تجانست وتناغمت لتصوغ بيان الواجهة وإعلان النصر..

4 - ذكريات وأبطال: من عبان رمضان إلى بن مهيدي

قال - بعضهم أن الرجل يكتشف لما تمتحنه الصعاب - ولا نحسب أن المقاتلين الجزائريين والقيادات الجزائرية امتحنت في فصائلها وإقدامها وصبرها، وعبقريتها الثورية بمثل ما امتحنت في ثورة التحرير العظيمة.

إن بعض المواقف والبطولات تعد من الخوارق أحيانا لفرط ما أبدع فيها الرجال المؤمنون بقضيتهم.

مازالت بعض هذه المواقف لبعض الرجال عالقة بذاكرتي لا تفارقها أبدا.

لقد حدث أن ألتقي أول مرة قادة كبارا من قادة ثورتنا مع فوج مسلح في جنوب الشريعة بغابة مورفة وذلك قبل انعقاد مؤتمر الصومام 1956 والقادة هم العربي بن مهيدي وعبان رمضان وبن يوسف بن خدة قدموا جميعا من العاصمة، وكان في استقبالهم الإخوة المجاهدون:

- أوعمران، وسي الصادق.

- والشهيدان: امحمد بوقرة والطيب الجغلالي.

أول مرة وقعت عيناي على رجال طالما سمعت عنهم وأحببتهم... وتمنيت رؤيتهم، وقد كتب لي الله أن أسمع من بعضهم حكما خالصة، من هؤلاء الشهيد العربي بن مهيدي، هذا الرجل الذي جمع صفات الحكيم وميزات القائد كان متوسط القامة هادئ الطبع يهمس حين يتكلم له بريق تشعه عيناه فيمنع عن الناظر التحديق فيه.. في وجهه بقايا طفولة تستأنس بها فيخيل إليك أنك تعرفه منذ الأبد، بسيط في سلوكه وهندامه يضع برنسه فوق زيه العسكري ويحمل مسدسه لا غير.

أما عبان رمضان، فكانت تبدو عليه مظاهر الصحة ممتلئ الجسم عريض المنكبين لا بالطويل ولا بالقصير سمح الوجه مستديره نظراته لا تستقر على شيء معين.. لما يتحدث ينتفض جسده من فرط الانفعال، كان كل حديثه إلينا باللغة الفرنسية مما اضطر بعض الرفاق لأن يترجموا فحوى كلامه إلي العربية... ارتدى «قشابة» أخفت بذلته العسكرية وسلاحه، كان اللقاء مفاجئا ومفيدا بحيث لأول مرة نرى قادتنا الكبار عن كثب ونستمع إليهم.. وقد صادف أن شبانا جزائريين من المجندين في الجيش الفرنسي فروا يومها والتحقوا بالثورة بقيادة الشهيد البطل عمر بوشاوي الذي أشرف على تنظيم عملية الالتحاق بالثورة وذلك بعد أن خبر قدرة مجموعته علي حرب العصابات التي تعلموها في الفيتنام وشهدوا هزيمة ديان بيان فو، فقالوا في أنفسهم لم لا تكون «ديان بيان فو» جديدة في الجزائر...؟ كان أحدهم يحمل مدفعا رشاشا من نوع 29/24 يثير شهيتنا جميعا ونعتقد أن الذي يفوز به يكون كمن ملك الدنيا كلها لكونه يعادل يومها كل ما لدينا من بنادق.

أثارت هذه القطعة الحربية نقاشا وجدلا طويلين حول من يقاتل بها العدو؟ وبعد لأي تدخل عبان رمضان وقال كلمة ما فتئت تمخر ذاكرتي وتتردد عبر عقود الزمن.. قال رحمه الله: «إن قوة الثورة لا تكمن في السلاح فقط ولا في نوعيته، ولا حتى في شجاعة الرجال وحدها بل تكمن أساسا في قوة التنظيم والانضباط...». على بساطة هذا المنطق وعفويته وعمقه تمكن عبان أن يحسم إشكالية عظيمة ويجيب عن مئات الأسئلة المحيرة ويقنعنا نحن الذين كنا في بداية طريق الثورة كمن يطأ باب نفق مظلم طويل لا يدري نهايته، فمن منا كان يستوعب محتوى هذا الكلام الذي يدعونا إلى الانضباط والتنظيم في الوقت الذي كانت حاجتنا إلى السلاح أكثر من حاجتنا للحياة..

وبعد أن تمرست بأحداث الثورة وعشت حقيقتها من بدايتها إلى عمليات شال وانتفاضة 11 ديسمبر.. أدركت مغزى حكمة ذلك الرجل العظيم ونظرته الثاقبة في صميم المستقبل.

تحياتي وتحيات إخواني الذين سبقونا إلى الشهادة وتحية المخلصين من مجاهدي ثورتنا لذلك الذي أعطى حياته للوطن وبقي نشيدا خالدا يردده أطفال بلاده إلى الأبد.

أما الحكمة الأخرى التي استقيتها في ذلك اللقاء فقد انبثقت من معلمي وقائدي الشهيد العربي بن مهيدي في بساطته وهدوئه المعهودين، استقصى الإخوة الذين التحقو بنا فرارا من الجيش الفرنسي من غابة بوشاوي عن أمورهم، فتبين أن من بينهم شخصين من الغرب الجزائري وهما الشهيدان حدو عبد القادر من وهران والمحفوظ من تلمسان، سألنا القائد بن مهيدي عن أقرب مدينة منا فأجبناه: «تابلاط» عندها حدد كلمة السر وأمر أن تتجه مجموعة من المجاهدين في دورية استطلاعية تلتقي فيها بمجموعة أخرى من الغرب الجزائري في نواحي تيارت بين أفلو وفرندة وتكون كلمة سر مجموعة الوسط تابلاط ترد عليها مجموعة الغرب بتيموشنت وقد حمل خطابه بهذا الشأن إلى شخصين .. على أن تقوم الدوريتان بعمليات عسكرية رمزية مشتركة... بهذا المدلول البسيط في التعامل الثوري علمنا بن مهيدي درسا خالدا في الوحدة الوطنية وفي صنع المعجزات بكل تواضع .. فمن أين لفرنسا وأجهزتها الاستخبارية أن تكشف هذا السر وتدرك مدلول الحكمة الثورية البسيطة والعميقة في نفس الوقت..

إن سر انتصار ثورتنا ينبع من هذه العفوية وما فيها من صدق السريرة وتصميم على الفوز وإقدام وإخلاص تحركه إرادات رجال من أصول فلاحية يتمتعون بسرعة البداهة وصفاء الحدس وحب مفرط للوطن، لقد كان القادة يتخذون قراراتهم في أوقاتها المناسبة وتحمل على التنفيذ بكل انضباط ودقة ولم نكن نحمل شعارات دون أن نمارسها.

كتب لي الله أن أكون ضمن الدورية التي أمرها بن مهيدي حاملة كلمة السر للالتقاء بأختها في الغرب الجزائري ثم ودعنا مع رفاقه طالبا سفوح أكفادو الشاهقة لحضور مؤتمر الصومام، وبدأنا نحن رحلتنا يوم 25 جوان 1956 ووصلنا فرندة في أواخر شهر جويلية 1956 عشنا خلال تلك المدة أحداثا جساما واشتبكنا مع العدو في معارك عديدة كانت ضارية فقدنا فيها شهيدا واحدا جاءنا من بلكور، كان تعداد مجموعتنا خمسا وأربعين مجاهدا بقيادة الشهيد البطل سي عبد العزيز المعروف آنذاك بصوت العرب لشدة حرصه على سماع إذاعة صوت العرب التي كلما التقط جهازه موجاتها أمر الجميع بالتزام الصمت والسكوت حتى أطلق عليه المجاهدون اسم صوت العرب، كان نائبه في دوريتنا سي عيسى، اصطدمنا في معركة ثالثة مع قوات العدو الفرنسي يوم 14 جويلية 1956 بقرية البراكنية جرح فيها مجاهدان.. وبعد يومين من هذه المعركة اشتبكنا من جديد مع العدو في معركة أخرى في الونشريس...

حملنا الجريحين اللذين معنا حتى وصلنا مدينة تيارت وقد اشتدت آلامهما في غياب الاسعافات وانعدام الدواء وكادا أن يموتا متأثرين بجراحهما مما استدعى القائد سي عبد العزيز إلى المغامرة والقيام بدور خارق للعادة للعثور على الدواء.

5 – دورية وأبطال أو الصداقة مع الشيوعيين! :

نزل القائد سي عبد العزيز إلى السوق الذي يعج بالناس جاؤوا لقضاء حوائجهم من كل صوب يبيعون ويبتاعون.. أما هو فكان هدفه العثور بجميع الوسائل على دواء للجريحين.

ولكي يموه على العدو ويضلل طريقه اشترى حمارا وذهب يسوقه وصادف أن رأى شخصا كان يعرفه تحاشى أن يلاقيه مباغتة ريثما يتأكد منه جيدا، اقترب

منه وذكره باسمه دون أن يكشف عن سر وجوده في هذا السوق.. ثم انتحي به مكانا بعيدا عن العيون وذكره بأيام الدراسة التي جمعتهما سابقا في جامع الزيتونة المعمور. ولما تأكد سي عبد العزيز من عواطف زميله ولد العربي (أو سي جعفر فيما بعد).. وافق على دعوته والذهاب إلى منزله.. وعلى طاولة الغداء تجاذبا ذكريات المراهقة واستذكرا معا دراستهما بجامع الزيتونة المعمور.. وفي غمرة الود الشديد صارح سي عبد العزيز زميله بحقيقته وعن سبب مجيئه إلي السوق، تفاجأ الرجل ولم يصدق أذنيه لكنه تدارك الوضع وقام مسرعا لشراء الدواء وجميع اللوازم الضرورية الأخرى، ورافق سي عبد العزيز متخفيين حتى انتهيا إلينا ليلا.. واستمرت العلاقة الحميمة مع سكان تلك المنطقة إلي أن حاصرنا العدو على إثر وشاية أحد الخونة.

تصدينا له في بداية المعركة ولكن نظرا لكوننا نجهل جغرافية المنطقة آثرنا الانسحاب على المواجهة ، وحتى لا نعرض سكان تلك القرية إلى انتقام العدو على عادته، وأثناء عملية الانسحاب صادف أن عثرنا في طريقنا علي خيمة تسكنها امرأة وزوجها يحرسان الحلفاء.. كان الزوج غائبا يومها فتولت المرأة دور الدليل في الفجر الباكر وقادتنا في اتجاه مكان آمن بعيدا عن العدو وجواسيسه وكنا نسمع على مقربة منا صليل آلياته الحربية الكبيرة وعرباته المجنزرة التي دفع بها إلى ساحة المعركة، ومن العجيب أن المرأة قادتنا بذكائها الفطري إلى مكان يقام فيه حفل زفاف قروي كبير كان من بين مدعويه زوجها.

كانت كل مظاهر الفرح والغبطة حاضرة في ذلك الحفل البهيج، النسوة والأطفال والرجال والخيل وبنادق الصيد وأصوات الدفوف وصيحات المزامير تملأ أجواء القرية.. الجميع يمرح في هذا العرس الجميل...

استقبلنا أصحاب العرس بغبطة جمة وأحاطونا بالرعاية والإكرام بعد أن تيقنوا أننا جنود جيش التحرير، والتحمنا بهم وشاركهم بعضنا ألعابهم البهلوانية على ظهور الخيل وتحولنا من «فلاقة» تلاحقنا قوات العدو إلى مواطنين عاديين نعيش الفرحة بعفوية أهل الريف وكانت تلك حيلة موّهنا بها على العدو الذي كان جادا في ملاحقتنا والقضاء علينا.

اغتنمنا فرصة هذا الحشد الشعبي الكبير وحولناه إلى اجتماع ثوري متميز في جميع مواصفاته. بحيث قمنا بعملية شرح وتوعية واسعة تحدثنا فيها عن

أهداف ثورتنا ودور القلة المؤمنة بالجهاد ورسالة الجماهير في أداء الواجب الديني والتاريخي وذكرناهم بمآثر مجاهدينا من الصحابة والتابعين وكل ثوار الجزائر المشهورين وبصرناهم بفضائل الاستقلال وخيراته التي ستعود على شعب الجزائر كله.. واستمرت هذه الحملة يومان كاملان أنجزنا خلالها عملا ثوريا لا مثيل له حتى أن السكان الذين اجتمعوا في ذلك العرس أهدونا بنادقهم وذخيرتهم وأعطونا المؤن وشاركهم في ذلك كل أجوارهم ثم تولى قائدنا تنصيب بعض أبناء المنطقة مسؤولا عليهم.. شعرت بحدسي أن أرواحهم قد التحمت بنا أو كأنهم من أهل الكهف الذين استفاقوا بعد قرن وربع القرن من التخدير والعذاب والقهر ويعود الفضل في هذا الإنجاز العظيم إلى تلك المرأة البدوية العزلاء في تلك الخيمة المقفرة، وقد قادتنا ببصيرة الصدق وعفوية القلب في ذلك السبيل الخيّر.

لم يسعفنا الحظ كي نلتقي بمجموعة المجاهدين في غرب البلاد طبقا لأوامر القائد العربي بن مهيدي، لكن كفانا ذاك العرس فضلا حيث ربحنا ثقة الجماهير ودعمها وجندناها في صفوفنا يتقدمها سي جعفر زميل قائدنا في الزيتونة الذي أصبح مسؤولا على تلك المنطقة ورقي فيما بعد إلى رتبة نقيب في جيش التحرير بالمنطقة السابعة في الولاية الخامسة إلى أن ألقي عليه القبض في سنة 1959 وظل سجينا إلى غاية الاستقلال.

بعد هذه المهمة عادت دوريتنا إلى ولايتنا الأصلية وفي طريق العودة التقينا مجموعة مسلحة تنتمي إلى التنظيم الشيوعي وعلى رأسها شخص يدعى «المرشح مايو» الذي توفي في أفريل 1956 بقرية بني دوال، حاول الفوج الشيوعي أن يعرف المزيد عن الثورة التحريرية فكان أن دار حوار طويل وشامل بيننا شرحنا فيه كل أسباب وأهداف ثورتنا وأسلوب عملنا الثوري... لكنهم اغتنموا الفرصة وسألونا لم لا ننظم في حركة غير منظمة الحزب الشيوعي؟ واجهناهم بنفس الأسلوب ودعوناهم أن ينظموا إلى ثورة الشعب الجزائري.. فأبوا وبقي كل على دينه ولم يمنعهم ذلك من أن يسلمونا قطعتي سلاح عربون صداقة واحترام ثم افترقنا كل في طريقه ولم نرهم ثانية ولم نحاربهم، لأنهم كانوا يقاتلون نفس العدو الذي نقاتل دون اعتبار لاختلافاتنا الإيديولوجية والمذهبية. لم تكـن هـذه المرة الأولى التي التقينا فيها الشيوعيين وعبروا عن حسن نيتهم

في التحالف معنا بحيث كانوا قد أرسلوا إلينا كمية من الأسلحة متكونة من عشر رشاشات رفقة امرأة أوربية يقال أنها شقيقة «المرشح مايو» تحملت المخاطر والمشاق وظلت حلقة وصل بيننا وبين الشيوعيين وكان وسيطنا إليهم الشهيد سي الشريف الربيع من قرية اولاد سلامة التي كانت تابعة لبوقرة، وقد تمت عملية تسليمنا الأسلحة في قرية بولبان قرب حمام ملوان... هذا في الوقت الذي كان المصاليون يحاربوننا في كل مكان على قوتهم وتنظيمهم ويفتكون بالجماهير العزل.

6 - البطل القومي: من فلسطين إلى الجزائر

ظل سي عبد العزيز قائدنا في تلك المهمة الكبيرة التي دامت عدة شهور معلما عبقريا وأخا وفيا وقائدا محنكا ومجاهدا مضحيا بحياته مؤثرا أي مجاهد من أتباعه على نفسه، وما مهمته التي أداها يوم نزل سوقا لا يعرفها.. إلا شهادة ثمينة على وفائه لمبادئ ثورته التي آمن بها.. وكان بإمكانه أن يأمر أحد جنوده فينزل السوق ويبتاع الدواء لجرحانا، لكنه آثرنا على نفسه وجازف بحياته .. فكان الله في عونه وأكرمنا به فكتب له الفوز ونصر به المجاهدين في تلك المهمة الناجحة.

لم يكن سي عبد العزيز مجاهدا عاديا ولا شخصا كأي من الناس، بل كان من رهط الرجال الأسطوريين بدأ حياته النضالية طفلا ولبس حلة البطل القومي وهو مراهق.. حتى لقي ربه وروحه على كفه.

بدأ سي عبد العزيز حياته النضالية بمغامرة لا يصدقها عقل، بحيث ما أن علم أن الجنود المجاهدين العرب خرجوا لمحاربة الجيش الصهيوني علي أرض فلسطين العربية وتحرير القدس عام 1948 وهو دون العشرين من عمره حتى هب لنصرة القضية وخرج من مقر سكناه بالعاصمة متوجها مشيا على الأقدام إلي فلسطين... غير عابئ بأخطار الطريق ولا بما قد يصيبه... وقد تمكن من اجتياز الصحراء الجزائرية الليبية بمشقة كبيرة... رغم الحصارات الأمنية الفرنسية والإيطالية والإنجليزية.. المشددة، لكنه وقبل أن يدرك فلسطين علم بهزيمة الجيوش العربية على أيدي عصابات الجيش الصهيوني تدعمها اللعبة الدولية.. أدركته هذه الأخبار المحبطة وهو في الأراضي الليبية فقرر أن يحط الرحال

بقاهرة المعز، ويحول مشروع الجهاد بالسلاح إلى مشروع جهاد الجهل والأمية اللذين فرضتهما عليه فرنسا في وطنه فتوجه إليه ودخل الأزهر الشريف في القاهرة العظيمة.. تلك المدينة التي يصعب على الغرباء مثله أن يصادفوا فيها مقاما، لكن فضائل الأزهر عوضته عما شعر به من غربة... وتأقلم بسرعة مع محيطه وصار من طلبته المتيمين بعلومه وحلقاته وشيوخه الأفاضل...

أقام الشاب عز الدين بالقاهرة مدة من الزمن يعب من علوم جامعتها ويتعلم من نضالات أحزابها ويتعرف يوميا على مجالات جديدة لم يعهدها في وطنه الذي بسط العدو فوقه سلطة القتل والتجهيل، ولم يلبث أن فكر ثانية في الارتحال إلى بلد عربي آخر... وكان أن حل بتونس وانتسب إلى جامع الزيتونة المعمور وهناك أحس أنه قريب من موطنه الجزائر.. يتابع أخباره ويلاحق مستجداته... واحتك سي عبد العزيز في تونس بالطلبة الجزائريين الموجودين بأعداد كبيرة وكان من بينهم الطالب ولد العربي الذي التقاه بعد ذلك صدفة في سوق مدينة «سوقر» في صيف سنة 1956 وتعرف أيضا إلى السيد أحمد عبد اللاوي أحد ضباط جيش التحرير الذي مازال على قيد الحياة إلى اليوم.

ولما أتم تعليمه العربي عاد إلي الجزائر، حتى اندلعت الثورة فكان من أوائل السباقين إليها... فخدمها بعلمه وعرقه ودمه... بعد أن لقن العدو دروسا في التخطيط العسكري والتضحية وألهم جنوده قيما لا غنى عنها... التحق بالرفيق الأعلى ليحيى عند ربه مع الأنبياء والصديقين.

الفصل الثالث
سي صالح زعموم يتفاوض مع ديغول

1 – سي صالح في قصر الإيليزي مع ديغول:

كثر الحديث عن موضوع ذهاب قائد الولاية الرابعة سي صالح زعموم إلي قصر الإيليزي صحبة بعض رفاقه من قيادة ولايته والتقائهم بالرئيس ديغول في ظروف سرية وغامضة، وتعددت التأويلات حول شخص الرجل وأسلوب تفكيره والنوايا المبيتة من وراء هذا اللقاء الذي خرج به عن الإجماع الثوري وتخطى حدود قيادته وصلاحياته كقائد ولاية من بين ست ولايات أخرى حتى أن البعض رماه بالخيانة والتهور وما إليه من التهم..

آليت على نفسي إلا أن أقدم شهادة صريحة عن شخص سي صالح وعن جميع ظروف وملابسات ذلك الحدث الكبير الذي لو فصلناه عن تلك الحيثيات والملابسات والعراقيل التي عشناها داخل ولايتنا لحق لنا أن ندين سي صالح ونعتبره مرتجلا في القضايا المصيرية وربما خائنا للإجماع. والقضية إذن من هو سي صالح؟ وكيف كان يفكر؟ وما هو أسلوبه في قيادة الثورة؟ ما موقعه في نظر رفاقه المجاهدين ولدى قادة الولايات الأخرى؟ كيف راودته فكرة التوجه إلي فرنسا ومقابلة ديغول؟ هذه قلة من أسئلة عديدة بطرحها المرء على نفسه سعيا لمعرفة الرجل وتمثل واستيعاب ما أقدم عليه أحسن تمثل واستيعاب.

تعرفت شخصيا إلى سي صالح في قرية بني مسيرة في شهر أكتوبر سنة 1956 وكان لقاؤنا الأول إثر عودتي ضمن الدورية التي نفذناها في غرب البلاد كما ذكرت سابقا. أما هو فقد عاد من مؤتمر الصومام رفقة سي امحمد بوقرة، كانت مناسبة اللقاء شرح قرارات وتعليمات مؤتمر الصومام، وقد علمت يومها فقط أن سي صالح أصبح عضوا في قيادة الولاية الرابعة.

كان رحمه الله طويل القامة رشيقها، قليل الكلام وإذا تكلم يدرك ما يقول يتقن العربية جيدا والفرنسية، واسع الثقافة لم يتجاوز وقتها الثلاثين من عمره

يحظى باحترام الجميع، انتقل سي صالح إلي الخارج في نهاية سنة 1957 لأداء مهمة رسمية كلفته بها ولايته وكان الهدف منها:

أ - جلب الأسلحة من الخارج إلى الثوار.

ب - تحسين سير الأفواج التي كانت تنتقل من الولاية الرابعة إلي شرق البلاد وغربها، وكثيرا ما تعرضت لمضايقات تصل أحيانا حد التصفية الجسدية... تنقل سي صالح عبر الجبال والمغاور والكهوف والوديان حتى وصل المغرب الشقيق فالتقى أفرادا من القيادة في الحدود المغربية ثم تركهم ليلتحق بقيادة الخارج في مقرها الرسمي بتونس، لكنه سرعان ما اكتشف تناحرهم وخلافاتهم الهامشية فباءت مساعيه بفشل ذريع. فقرر العودة لكنهم منعوه عارضين عليه أن يضطلع بمهمات في الخارج ويأتمر بأوامرهم، أصيب سي صالح بصدمة نفسية حادة وآلمه أن يرى قيادة الخارج، رغم ما هم عليه من بذخ ونعيم يتآمرون على بعضهم البعض ويكيلون المكائد ويتناحرون من أجل منافع شخصية لا ناقة للثورة فيها ولا جمل، بدا له جحيم مواجهة العدو في الداخل خير له ألف مرة من ذلك النعيم المزيف الذي يتبارى فيه هؤلاء باسم الثورة والثوار فقرر العودة فارغ اليدين إلاّ من كتاب ما زلت أذكر عنوانه إلى اليوم: «العملية المزيفة» وقد أصبح بعد ذلك لا يفارقه كأنه طالعه أو هو الدرس الأول الذي استوفاه من مهمته التي استغرقت خمسة أشهر ثقال في الخارج.

استأنف نشاطه بكل جد وتفان إلى جانب سي امحمد بوقرة وقد كان مساعده إلى أن عقد اجتماع عقداء الداخل بعد مؤتمر الصومام في الولاية الثانية. أطلعه قائده سي امحمد بوقرة على نتائجه وكلفه بتنفيذها كاملة.

عملنا في بداية الأمر على إرسال وحدات رمزية إلى الولايتين الأولى والسادسة بهدف وضع حد للخلافات التي كانت قائمة، لكن ذلك لم يدم طويلا حتى فقدت الثورة بعض دعائمها المتمثلة في شخصي القائدين عميروش والحواس، وبعد شهرين فقط استشهد سي امحمد في جنوب المدية يوم 5 ماي 1959، وهكذا أصبح الأخ صالح زعموم آليا قائدا رسميا للولاية الرّابعة.

عرفت ولايتنا في عهد توليه القيادة جملة من المشاكل الهامة، بحيث شغر مجلس قيادة الولاية من إطاراته لا سيما بعد خروج عمر أوصديق والرائد

عز الدين إلى الخارج.. كما اشتد الحصار على الثورة وتكثفت عمليات العدو الكبيرة والمركزة، فعندما حاول سي صالح زعموم سد بعض الثغرات فأمر بعقد أول اجتماع يحضره بوصفه قائدا للولاية يوم 14 جانفي 1960 في الروابح قرب شمال بوغار، وبعد أن قيم تلك المرحلة الصعبة ونتائج عملية «لاكروا» اختار أعضاء مجلس ولايته وكانوا على التوالي:

1 – سي صالح زعموم قائد الولاية.

2 – محمد بونعامة نائبا له.

3 – عبد الحليم مسؤولا سياسيا، وقد اختير لهذا المنصب بناء على ما يتمتع به من ثقافة واسعة ولكونه تخرج من الكلية الحربية المصرية.

4 – سي لخضر مسؤول الاتصالات والأخبار.

وأن هذين الشخصين الأخيرين كان لهما دور مركزي في تحضير اللقاء الذي جمع سي صالح بالجنرال ديغول في قصر الإيليزي لاحقا.

ومن نتائج ذلك الاجتماع ضم المنطقة الخامسة إلى ولايتنا بعد أن كانت تابعة للولاية السادسة وقد وقع ذلك إثر الحوادث المؤسفة التي جرت في الولاية السادسة وكان من نتائجها اغتيال سي الطيب الجغلالي النائب الأول للقائد سي الحواس وضباط آخرون وهم:

– سي خالد كاتب الولاية السادسة.

– الضابط حميد الذي عين على رأس الفيالق المتوجهة إلى الولايات المتضررة.

– سي جيلالي قائد فرقة رجال الصاعقة «الكومندوس» الذي كان مكلفا بمكافحة المصاليين في جبل بوكحيل.

كما تقرر في ذلك الاجتماع الهام إيفاد مبعوثين إلي الولايات:

الأولى والثانية والسادسة للنظر فيما إذا كان ممكنا تطبيق بعض أو كل قرارات اجتماع العقداء قبل استشهادهم؟

2 – سي صالح القائد الحكيم:

من مظاهر الحكمة التي تحلى بها القائد سي صالح الموقف الذي اتخذه بشأن بعض الحوادث إبان قيادته للولاية الرابعة، ففي بداية توليه القيادة اتصل مباشرة بالقيادة العامة الموجودة وقتها في المغرب الأقصى لإطلاعها على المستجدات في الداخل بعد استشهاد قائد الولاية وما اتخذ من ترتيبات جديدة. تم الاتصال أولا بالعقيد هواري بومدين عبر «الشفرة» الخاصة، فرد بدوره أن أعطونا مهلة للدراسة واستخلاص النتائج على أن يقدم الجواب في اتصال لاحق.

وفي الغد وأثناء نفس التوقيت الليلي، تم اتصال ثان بالقيادة في الخارج وجاء الرد هذه المرة غير واضح ولا قابل للتصديق، اجتهدت أجهزتنا لفك رموز المكالمة وبعد محاولات عديدة تأكدنا من محتواها (...) ولكن ظننا أن العدو استطاع بما لديه من أجهزة تصنت واستخبار دقيقة أن يكشف أمرنا ويرسل إلينا ذلك الجواب المخزي في كلمة وقحة ونابية بهدف إحداث البلبلة والشك في صفوفنا وقد تعود أن يفعل كلما تمكنت أجهزة مخابراته من كشفنا فيدس لنا برقيات عاجلة وموجهة.

وبكل هدوء وحكمة طلب القائد سي صالح مرة أخرى الاتصال بالعقيد هواري بومدين عبر جهاز الراديو وبلغة «المورس» للتأكد نهائيا من الحقيقة.. لكن سرعان ما اكتشف العدو الأمر واشتعلت بيننا وبينه حرب اتصالات، وأدرك نوع الموجة التي نرسل عليها خطابنا، فواجهنا بوضع اسطوانة للمطرب العربي عبد الوهاب، فاختلط صوت العقيد هواري بومدين بصوت المطرب والموسيقى ... التي كانت تصدح بأغنية «بافكر في اللي ناسيني وأنس اللي فاكرني..» وقد تعمد العدو الأغنية بمحتوى كلماتها المواتية للظرف...

بدت بوادر الطمأنينة والارتياح على وجه سي صالح إذ اعتقد أن اللعبة من صنع المخابرات الفرنسية وأن الكلمة الوقحة التي صفعت أذنيه بالأمس هي أيضا من قبل المخابرات المعادية.. لكن هذه الحقيقة لم تعمر قليلا حتى ذهل مرة أخرى عندما تأكد أن تلك الكلمة المكتوبة بالشفرة أمس هي نفسها التي صدرت من فم بومدين في مكالمة اليوم.. وقد كان رفقته سي بونعامة.. لم يرد على الوقاحة بمثلها لكنه تصرف بما تسمح به الحكمة إذ كتب مباشرة إلي تلك

القيادة في الخارج وقال: «أشعر بمسؤوليتي التاريخية تجاه ما تقومون به من أعمال... وإني لأقترح عليكم أن تولوا مسؤولا على الولاية الخامسة وليكن مسؤول المنطقة الرابعة أو أحد تختارونه، وإذا لم توفوا بذلك سأكون مضطرا لأن أخبر القاعدة الجماهيرية بما يجري بيننا وأعلمها بتصرفكم الأرعن المنافي لأخلاق الثورة...».

ما إن أتم خطابه حتى جاء الرد سريعا وفيه مظاهر خوف قيادة الخارج من انفضاح أمرهم أمام الجماهير في الداخل فوافقوا على تعيين السيد طارق قائدا بالنيابة للولاية الخامسة، وهكذا بدأ تعاون نزيه بين الولاية الرابعة والخامسة فأرسل قائدنا إثرها سي لحسن الخطيب في مهمة اتصل فيها مباشرة بمسؤولي المناطق في الولاية الخامسة ولما وصل إلى منطقة البيض (سيدي الشيخ) اشتبك مع العدو فاستشهد رفقة البطل المجدوب والبطل مغربي يحيى... وهذه شهادة صريحة على وجود نية التعاون الثوري المشترك بين قائدنا وقائد الولاية الخامسة بالنيابة ... بحيث بقي سي صالح يسير على هدى قائده ومعلمه سي امحمد بوقرة الذي كان يعتبر الجزائر وحدة لا تتجزأ وأن القتال من أجل استقلالها يحملنا على الشهادة فوق جميع أراضيها دون تمييز...

كما أرسل سي صالح مبعوثين آخرين إلى كل من الولاية الأولى والسادسة تتميما للمهمات التي كان يشرف عليها سي امحمد بوقرة ويرسل إليها مبعوثيه، وأوفد كذلك سي بونعامة إلى الولاية الخامسة... ولأسباب عملية أكيدة ذهب محله سي حسان، وأذكر أني بقيت على اتصال دائم بمبعوثي الولاية الأولى والسادسة سي حليم وسي لخضر بوصفي مسؤولا على تنظيم الأفواج ومرافقتها إلى خارج حدود ولا يتنا.

3 – محادثات قصر الإليزي..

ما زال لقاء «الإليزي» المشهور الذي جمع قادة الولاية الرابعة سي صالح قائد الولاية ورفيقه سي محمد بونعامة المسؤول العسكري وسي لخضر المسؤول السياسي يوم 10 جوان 1960 والرئيس الفرنسي ديغول، مازال هذا اللقاء مثار جدل وتأويل نظرا للسرية الكاملة التي تم فيها ونظرا لامتناع المقربين من الموضوع عن الحديث والتزام الصمت ... وبصفتي واحدا من هؤلاء

فإني أرى من واجبي الوطني أن أعيد تمثيل الحقيقة التاريخية كما حدثت أول مرة، وأن أضع القضية كلها في إطارها العام حتى تحدد مسؤولية هؤلاء القادة إن لهم أو عليهم..

إن تجربة القائد سي صالح مع القيادة العليا في الخارج كما ذكرنا بعضها كانت مريرة ومحبطة بالإضافة إلى ما عانته ولايتنا من عزلة عن ولايات الأطراف ذات المنافذ إلي الأقطار المجاورة التي كان من الممكن أن تخفف علينا مرارة العزلة بمدنا بالسلاح والذخيرة... فضلا عن الحصار المضروب حولنا والذي تجاوز كل التقديرات لا سيما عند مجيء الجنرال ديغول إلى السلطة... وفصل الجماهير في محتشدات عن الثورة واعتبار كل الأرض مناطق محرمة... واستمرار القتال اليومي في عمليات مسح كبرى كان هدفها القضاء على جيوب الثورة... وعدم تمكين قواتنا من فرص إعادة بناء نفسها وتجديد رجالها... لكن هذا الوضع على أهميته لم يكن هو الوحيد الذي كان يقف وراء لقاء «الإيليزي» وأن اللقاء لم يكن بدافع اليأس والخضوع للأمر الواقع وهو ما يبرره حديث القائد سي صالح ومواقفه تجاه مقترحات «De Gaulle»«ديغول» في قصر الإيليزي.

مقدمة اللقاء:

أعدت ترتيبات اللقاء بمشاركة أطراف جزائرية وأخرى فرنسية وكان آخر مراحلها لقاء 02 جوان 1960، الذي عقد بمدينة المدية وتقرر فيه نهائيا سفر سي صالح زعموم إلى قصر الإيليزي ومقابلة ديغول يوم 9 جوان 1960 هذا على أثر وصول العقيد الفرنسي جاكان «Le colonel JAQUAN» سرا إلي مقر دائرة المدية صحبة ثلاثة أشخاص ووجدوا في انتظارهم برنار تريكو «B. Tricot».

والعقيد ماتون «Mathon» وثلاثة من قيادة الولاية الرابعة... تولى في ذلك الاجتماع سي لخضر القائد السياسي للولاية تقديم رفاقه قائلا: «أيها السادة أعرفكم بسي صالح زعموم مسؤول الولاية، وسي محمد بونعامة المسؤول العسكري، أما سي عبد اللطيف فلم يحضر هذا اللقاء نظرا لانشغاله بمهمات أخرى...».

انحصر الاجتماع في ضبط اللمسات الأخيرة لمقررات اللقاء المنتظر.. وصعد الجميع بعدها مباشرة إلى مدارج طائرة هيلوكوبتر في حدود الساعة الرابعة بعد

الزوال، وطارت بهم إلى مطار الدار البيضاء حيث كانت طائرة انجليزية الجنسية في انتظارهم لتقلهم إلى العاصمة باريس.

تناول الجميع على متن الطائرة وجبة العشاء الخفيفة وامتنع القائد سي صالح ورفيقيه عن تناول لحم الخنزير وشرب الكحول واكتفيا بأكل الخبز والجبن وبعض الفاكهة..

وقد ذكر الصحفي والمؤرخ الفرنسي إيف كوريار «Y.COURRIERE» في الصفحة 94 من كتابه «نيران اليأس»، أن سي لخضر أتى على علبة الجبن بأكملها.. لأنه لم يعرف من قبل مذاق «الكامنبار» لكن الكاتب نسي أن فرنسا الاستعمارية حرمت الشعب الجزائري قرنا وربع قرن من أدنى ضروريات الحياة البسيطة وأن سي لخضر مثله في ذلك مثل بقية أبناء الشعب الجزائري البسطاء المحرومين الذين عاشوا لا يعرفون غير الخبز واللبن وبعض الخضار، وبعد انتهاء العشاء استأنف الفريقان الحديث من جديد في موضوع اللقاء... وفاجأ سي صالح محدثيه بقوله: «لا بد أن تسهلوا لي مهمة لقائي مع بن بلة وبقية الزعماء المسجونين»، ارتبك المسؤولون الفرنسيون... وكانت خدعة سياسية أراد بها سي صالح أمرين اثنين:

1 - أنه ورفاقه جزء لا يتجزأ من القيادة في الداخل وفي الخارج على حد سواء.

2 - دفع السلطات الفرنسية إلى اعتبار الزعماء الخمس المسجونين لديها أصحاب حقوق وطنية وليسوا مجرد أسراء خارجين عن القانون كما روجت لهم وسائلها.

رد برنار تريكو عليه قائلا: «إن مقابلتك ببن بلة تجعله يخبر الحكومة المؤقتة ويفسد عليكم بالتالي لقاءكم الرئيس ديغول».

ابتسم سي صالح ولم يضف.

تدارك تريكو الأمر من جديد وأردف قائلا: «حسنا سأعرض طلبك على الجنرال».

نزلت بهم الطائرة في ناحية معدة مسبقا في مطار أورلي ودون ترقب وجدوا ثلاث سيارات في انتظارهم رفقة رجل واحد وقد لف الظلام المكان، أما الرجل فهو حاكم دائرة رامبوي في باريس «Rambouillet».

لم يكن الحاكم على علم بهؤلاء، ولا من أين جاؤوا، أو لم جاؤوا كل ما كان يعلمه أنه مأمور عليه أن يرتب ظروف إقامة الرجال الخمسة ليلة أو ليلتين فحسب.

أركب الحاكم في سيارته الخاصة القائد سي صالح ومرافقه الجنرال تريكو، أما الجنرال نكو« NICOT » الرئيس العسكري لديوان ميشال دوبري، فقد أركب سي محمد بونعامة في سيارته، بينما تسلل العقيد ماتون خلف مقود سيارته ليصطحب معه سي لخضر.. تحركت السيارات الثلاث مشعلة أضواءها الخافتة في طريقها إلي رامبوي.

توقفت عند مدارج قصر فخم تلفه غابة كثيفة الأشجار الباسقة وهو قصر رئاسي رتب خصيصا ليكون مقر إقامة القادة الثلاث.

طلب القادة من المسؤولين الفرنسيين حرية البقاء مجتمعين في غرفة واحدة... فكان لهم ما طلبوا وبقوا في غرفة واسعة تحتوي على مستلزمات الإقامة وتفضي بدورها إلى غرفة تريكو عبر باب مشترك...

وفي صباح اليوم الموالي عاد العقيد الفرنسي ليقول لسي صالح ورفيقه علي مائدة فطور الصباح: أن إجراءات لقاء الجنرال ديغول تمت وأن الموعد تقرر يوم 10 جوان 1960 على الساعة العاشرة ليلا بقصر الإيليزي.

طلب القائد سي صالح من محدثيه تحديد رزنامة عمل تتقيد بما اتفقوا عليه في اللقاءات السابقة بالمدية وتكون محاور الحديث مع الجنرال ، ثم أضاف: هل تتم مخاطبتنا الجنرال بمناداته سيادة الرئيس أو أيها الجنرال؟

أجابه تريكو: «ناده أيها الجنرال « Mon Général» .

تعمد سي صالح طرح هذا السؤال ليتأكد من أن ديغول سيفاوضهم بصفته العسكرية أو بصفته المدنية..؟

ثم سأل سي لخضر تريكو من سيشارك إلى جانب الجنرال في هذا اللقاء؟

قال تريكو: «لا أحد غيري وماتون» ومرة أخرى أخطأ الفرنسيون.

غادر الجميع القصر في الساعة الثامنة من ذلك اليوم على متن ثلاث سيارات اخترقت بهم شارع الإيليزي بمحلاته الفاخرة وأضوائه الزاهية ومقاهيه

وقاعاته السنمائية... وشبابه النشوان بسعادة الحرية. أين هذا النعيم من عذاب وشقاء الجزائر وتشريد شعبها، وذبح أطفالها على أيدي عساكر فرنسا وأقدامها السوداء...».

غرق كل القادة في البحث عن العلاقة بين حياة الفرنسيين الغزاة وحياة الجزائريين المضطهدين علي أرضهم...؟

أما رفاقهم من الضباط الفرنسيين فكانوا حيرى ومصدومين بالصيد الثمين الذي أوقعوه في شباكهم ... دون أن يعلموا عن مصير أكله وهضمه مستقبلا..؟

توقفت السيارات الثلاث أمام قصر الإيليزي بعد أن أخلى من موظفيه وحراسه... وأغلقت مكاتبه.. وقاعاته.. وقف أمامهم العقيد الفرنسي دو بونيفال «De bonnival» دقائق قبل الدخول على الجنرال تعلوه علامات القلق والحيرة.. هل يفتشهم كما جرت العادة عند كل دخول أي زائر مكتب الجنرال...؟ مرت هذه اللحظات الحرجة ... وتذكر العقيد أنه رتب كافة الشروط الأمنية في مكتب الرئيس بحيث نصب في أعلى القاعة وراء الستار رماة مسلحين بأسلحة أوتوماتيكية بقيادة حارس الجنرال الشخصي هنري دجودر «H.Djouder» صوبوا جميعا أسلحتهم نحو سي صالح ورفيقيه على أهبة إطلاق النار عند أي حركة تحدث من قبل القادة.. في الوقت الذي حمل كل من تريكو و ماتون مسدسات.

فتح باب مكتب الجنرال عند الساعة العاشرة بالتحديد وظهر ديغول واقفا بقامته الفارعة وذراعيه الطويلتين... وأشار إليهم بالجلوس قائلا بصوته الغليظ المتميز: «أيها السادة تفضلوا بالجلوس»، توسط سي صالح رفيقيه قبالة الجنرال وإلى يمينه جلس سي لخضر وعن يساره جلس سي محمد بونعامة، وكان الجنرال يتوسط معاونين وهما تريكو و ماتون.

كان سي صالح يدرك أن ذلك اللقاء ليس هدية يقدمها للعدو، وأنه لا يفاوض من فراغ.. ولا من موقع الضعيف المهزوم... وإنما يعتمد على تاريخه الشخصي والنضالي وإلى الانتصارات العسكرية التي حققها جيش التحرير على أرض المعركة والانتصارات السياسية التي حققتها ديبلوماسية الثورة النشيطة في

الرأي العام الدولي وفي دورات الأمم المتحدة المتعاقبة... وأن الفرنسيين يعلمون حق العلم رصيده النضالي في المنظمة الخاصة التابعة لحزب الشعب وأنه رفيق كريم بلقاسم و أوعمران ومن بين الأوائل الذين التحقوا بثورة التحرير، إلى جانب كونه من المقربين من القائد العظيم سي امحمد بوقرة ومحل ثقة الجميع وأنه قائد محنك وسياسي داهية..

فتح باب التفاوض مع الجنرال ديغول وهو على بينة من نتائج المجلس الوطني في دورته الثالثة التي انعقدت في طرابلس ودامت من يوم 16 ديسمبر 1959 إلى 20 جانفي 1960، وقد سجل فيها الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الجزائري ولوحظ فيها اهتمام الرأي العام الدولي والإفريقي بالخصوص والعربي بالأخص بموضوع تحرير الجزائر وظهر بعد ذلك جليا في ندوة رؤساء الدول الإفريقية في أديس أبيبا وفي أروقة منظمة الأمم المتحدة حيث اعترفت بها سبعة عشر دولة...

وهكذا جلس على مائدة المفاوضات الند للند مقدرا حجم المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقه، مدركا خطورة ديغول كشخصية حربية وعسكرية من الطراز الأول، عرفت الثورة في عهده أخطر مراحل حروبها وأكثرها بشاعة وإجراما... فضلا عن كونه رجل المراحل الصعبة والظروف الحرجة في تاريخ فرنسا المعاصر فهو الذي قاد حركة مقاومة النازية في الأربعينيات.. وجاء لينقذ بلاده من جديد في حربها ضد الشعب الجزائري مستعملا جميع الأساليب والطرق العسكرية لإخراج بلاده وقوات الحلف الأطلسي من مأزق كاد أن يعصف بوحدة فرنسا نفسها وقد وظف كافة وسائل الفتك والدمار والتفرقة والدس وبذلك يكون قد تجاوز في خطورته دور النازيين المحترفين، فحول الجزائر إلى فرن تكتوي فيه لحوم شعب بأكمله... ومع ذلك كله فشلت القوة في القضاء على الإرادة الجماعية...

انطلقت جولة المفاوضات بين طرفي الصراع... كان هم سي صالح ورفاقه استثمار جملة من المعطيات أهمها فشل فرنسا في تدمير الثورة بقوة السلاح طيلة ست سنوات مما أدى إلى تعاقب سقوط الجمهوريات وكانت آخرها الجمهورية الرابعة...:

- إرغام ديغول للحصول منه علي مبدإ تقرير مصير الشعب الجزائري.
- الدفع بالحوار إلى مداه الأخير.
- استغلال حالة التململ والتصدع المستشري داخل قواته بين دعاة الجزائر الفرنسية وغيرهم.

استهل ديغول اللقاء بقوله : «أريد أن أقول لكم قبل أن نبدأ الحديث، أن موقفي الذي أعبر عنه هو موقف فرنسا..».

وفي أقل من ساعة واحدة تم عرض وتلخيص كل ما جاء في المفاوضات الأولية في المدية.. وبعد أن استمع الجميع لهذا العرض الذي قدمه أعوانه.. استأنف الحديث من جديد وقال: «إن استفتاء سيقع بشرط أن يضع المقاتلون الجزائريون أسلحتهم في أماكن يتم تحديدها مسبقا والاتفاق عليها بين الطرفين».

تدخل سي صالح وتلاه سي محمد بونعامة ثم سي لخضر وانتهى الطرفان إلي الاتفاق على مبدإ تقرير المصير طبق شروط موضوعية وسلمية أضاف سي صالح قائلا لديغول: «أرجو ألا تعتبروا مجيئنا إلى الإيليزي هو موقف انعزالي أو معارض لأي من رفاقنا في جيش وجبهة التحرير الوطني».

وتلاه سي لخضر بقوله: «سنعمل على الاتفاق مع باقي المسؤولين والقادة في الداخل... وعليه لا بد أن تسهلوا مهمة تنقلنا عبر مختلف الولايات» . وافق ديغول على هذا الطلب وأردف قائلا: «سيوجه نداء إلى الحكومة المؤقتة ندعوها فيه مرة أخرى إلى وقف إطلاق النار».

تناول الكلمة من جديد سي صالح وقال: «لا بد أن نوافي كافة مسؤولي الولايات الأخرى بما بحثناه واتفقنا عليه هنا... وإذا استمعت الحكومة المؤقتة لندائكم واستجابت لطلبكم وهو ما نرجوه عندها لم يعد بد لمفاوضاتنا معكم ولا حتى للقائكم لأننا لا نملك صلاحيات حوار باسم مصير الثورة أما إذا رفضت مقترحاتكم فإننا سنستمر من جهتنا في دفع حركة التفاوض والحوار بهدف وقف شلال الدم من الجانبين».

هكذا انتهت المحادثات ووقف ديغول وهو يقول:«أيها السادة أتمنى أن نلتقي مرة أخرى وعندها أتمنى أن يكون باستطاعتي أن أشد على أيديكم. أما في هذه المرة فتحيتي لكم، تحيتي لكم تحيتي لكم».

وقف سي صالح ورفيقاه يردون التحية العسكرية في انضباط واحترام وفتح تريكو باب المكتب واستبق الجميع الى البهو الخارجي فيما ظل ديغول واقفا يراقب خروج الجميع، وأسدل الستار بعد ذلك عن هذا اللقاء السري الذي خرج بمقتضاه القائد سي صالح ورفاقه عن الاجماع الثوري وتصرفوا تصرفا خاطئا لكن لا أعتقد أنه تصرفا خيانيا... وقد ظل هذ اللقاء الى اليوم مثار جدل خلاف أسال حبرا كثيرا بقدر ما أسال دما فياضا... وبقي جرحا ينزف في الضمير ويشدنا بأطراف الحيرة إلى تلك الأيام العصيبة.

ولا أضيف شيئا للحقيقة بعد أن تقادم العهد، وتعاقبت السنين اذا قلت أن التصدع الذي أصاب قيادة ولايتنا جرى رأبه من داخل الولاية وتمكنا على بساطة تفكيرنا وضالة تجربتنا من تجاوز المحنة دون تدخل من أحد وتحملنا مسؤولياتنا التاريخية بالتصدي الحاسم والفوري لمخطط لقاء الاليزي الانفصالي وقضينا عليه في المهد وإني لأعجب اليوم من أولئك الذين يزعمون دون حياء أنهم هم الذين قضوا على مايسمى «بقضية سي صالح» وقد راحو يفتعلون الأحداث ويختلقون بطولات ليسوا أهلا لها ويشوهون صورة هؤلاء الرجال دون جمع القرائن وتحليل الأحداث في أطرها التاريخية وملاباساتها العامة...

4 – خطة إحباط نتائج لقاء الاليزي:

طلب مني الأخوان لخضر وحليم يوم 02 مارس 1960 الالتحاق بهما في منطقة «تابلاط» على أن يكون اللقاء في منتهى السرية ودون أن يرافقني إليها أحـد، حضرت إلى قرية الباكـرية في ناحية تابـلاط فوجدتهما هناك، وكان من المفروض أن يواصلا سيرهما نحو أهداف المهام التي كلفا بها في الولاية الأولى والسادسة لكن لم يفعلا..؟ أمراني في هذا اللقاء بالكف عن إرسال الأفواج إلى الولايات الأخرى وسألاني عما إذا انطلق سي بونعامة في مهمته فذكرت لهما أنه توجه إلى المنطقة الثالثة ومنها سيتحول إلى الولاية الخامسة. وأذكـر أني التقيـت سي بلقاسـم هني مسؤول المنطقة الأولى في ذلك اللقاء، وقد تم استدعاؤه لكي يمكنهما من الدخول إلى الولاية الثالثة كما كان مقررا قبل أن يتغير رأيهما...

بقيت برفقتهم من 12 إلى 18 مارس 1960 وفي هذه الأثناء التحق بنا سي عبد اللطيف طلبة مسؤول المنطقة الثانية الذي عاد لتوه من مهمة كلف بها..

كنت أجهل خلفيات تلك المهمة رغم أني نائبه، طلب مني سي عبد اللطيف أن أصحب تلك المجموعة فيما بعد إلى حيث يريدون التوجه وأذكر أن اتصالات حثيثة كانت تجري على مقربة من مكان تواجدنا دون علمي بحقائق الأمور...

لكن خيوط العملية بدأت تنكشف مع تسارع الوقت وتطور الأحداث بحيث اتضحت مهمة سي عبد اللطيف في لقائه بأحد قضاة مدينة المدية ويسمى مريفي قدور، وهو الذي كلف بالاتصال بالوكيل العام لدى محكمة الجزائر.

وهكذا بدأت أطراف الموضوع تتآلف لتنظم لقاء الإيليزي الذي كاد أن يعصف بالثورة ويغير جميع معادلات المرحلة.

لا أزعم علم الغيب ولا سرائر الأمور، لكن النقاء الثوري وهداية الله كانت وراء ذلك المنهاج الذي توخيته طيلة المرحلة الصعبة.

أمرني سي عبد اللطيف بعد يومين بالالتحاق بالمجموعة التي كلفتني هي بدورها بالذهاب في الحال إلى المنطقة الخامسة من الولاية الرابعة وقد تم اختياري لكوني أكثر الناس معرفة بالمنطقة.

لكن لماذا أمروني بالذهاب إلى المنطقة الخامسة على أن أعود إليهم بعد يومين؟ ولماذا لم ينفذ حليم ولخضر مهمتهما...؟ ولماذا سألوني عن سي بونعامة ما إذا كان قد انطلق في تحقيق مهمته..؟

ولعل أخطر تلك الأسئلة جميعا هو عدم مساءلتي عن القائد سي صالح المقيم في مقر الولاية ورسمهم لي طريق الذهاب والعودة من وإلى المنطقة الخامسة لمقابلة مسؤولها سي بابا علي بشير ... وأتشكك فيما يخططه رفاق السلاح ضمن السرية والتكتم فعمدت فورا إلى تغيير وجهة مهمتي متخذا طريقا تعودت أن أسلكها وتوجهت رأسا إلى مقر الولاية في بوغار ناحية (قلابة) لعلمي بوجود قائد الولاية يومها هناك.

ودون مقدمات أطلعته على كل ما رأيته من وقف للأفواج نحو الولايات إلي تراجع حليم ولخضر عن مهماتهما واجتماعهما مع عبد اللطيف ولكن لم أفاتحه

بما كان يختلج في صدري من شكوك وريبة، وبسرعة البديهة أدركت أن سي صالح كان آخر من يعلم ثم تأكد لي ذلك بعد أن ناولته الرسالة التي حملوني إياها كي أسلمها إلى مسؤول المنطقة الخامسة...عندها لم أستطع صبرا وقلت له بالحرف الواحد أني لا أعلم شيئا عن كل ما يجري، بل أن ما شاهدته شد انتباهي وها قد جئت أخبرك... وأضع نفسي رهن إشارتك فيما تراه خيرا للثورة والوطن... ». نظر إلي طويلا دون أن تبدو عليه علامات التغير، فلم أميز بين ما إذا كان حزينا أو متألما أو مرتاحا لهذه المستجدات، وبعد لحظة صمت ثقيلة أمرني أن أذهب فورا إلى المنطقة الخامسة وأتم تنفيذ المهمة التي كلفوني بها.

قلت بيني وبين نفسي لينظر الله فيما يدبر لنا، ويممت بوجهي شطر قيادة المنطقة الخامسة، لم تتوقف هواجسي وأنا في طريق إلى تنفيذ مهمة لا أعلم من أمرها شيئا، قررت أن أبعث رسالة إلى محمد بونعامة الذي كان وقتها في المنطقة الثالثة بالونشريس يهيئ الأفواج التي سترسل إلى ولايات أخرى وطلبت منه أن يأذن لي بالالتحاق به وقد حملت رسالتي مبعوثا خاصا وبعد مدة قصيرة جاء جوابه مخيبا كل آمالي.

إذ رد علي بقوله: «اذهب واخبر قائدك سي صالح لأنه المسؤول الأول ومسؤوليته فوق الجميع...» ، لم يهجرني الأمل في أمر يقوم به فعاودت الكرة وأرسلت له رسالة ثانية رفقة نفس المرسول الأول وأكدت له فيها أني فاتحت القائد سي صالح في الموضوع وكانت في تلك الأثناء قد وجهت مجموعة لخضر وحليم رسالة إلى سي بونعامة بعد أن وصلته رسالتي الثانية وهو في طريقه إليهم في الوقت الذي كنت أواصل سبيلي إلى المنطقة الخامسة.

انهيت مهمتي وعدت إلى الجماعة تنفيذا للأوامر ولشدة ما كانت دهشتي عندما لقيت سي صالح إلى جانبهم بعد أن أشعروه بدورهم في رسالة بما خططوا له.

كانت الأحاديث في ذلك اللقاء سرية، ولم يتناه إلى سمعي إلا اسم القائد طارق الذي كان قائدا للولاية الخامسة يومها بالنيابة... اشتد توجسي وتأكدت أن أمرا خطيرا يحضر في الخفاء التام..وما كان من تلك الجماعة المجتمعة إلا أن تكلفني بمهمة عاجلة إلى المنطقة الأولى وفي الطريق أخذت مني الوساوس

مأخذها ولم يعد بإمكاني تصور مخرج من معضلة ما يحضر في الخفاء وفي سرية مطبقة لثورتنا... لجأت كاليائس في آخر محاولة إلى السيد بوسماحة وكان قائدا للناحية الرابعة وقتها بعد أن استخلفني فيها لأصبح مسؤولا على المنطقة.. لجأت إليه ولم أكن على معرفة جيدة به لكنه بدا لي نشطا وأشد الجميع حماسة للثورة ... وأكثرهم إخلاصا لها، لم أصارحه بما في نفسي فور لقائنا ولكن تماديت معه في عموميات حتى لمست فيه قدرا من الاطمئنان والثقة، وكان الليل قد ذهب نصفه..ودون أن يمهلني أدرك أني جئت لأمر هام، فبادرني بقوله

من نفس الصحفة هذه العوامل رجحت في ساعة امتحان القوة كفة جبهة التحرير لكن الحركة الوطنية لم تزل عسكريا بعد تصفية بلونيس؟

يثبت من خلال تحريره لهذه السطور ان بلونيس كان السند القوي للحركة الوطنية ضد الجبهة، وبالتالي ضد مصلحة الوطن والشعب . أخاله يتألم من فقدان بلونيس وضياعه لأنه شبه خليفته (سي مفتاح) بالبطل، إذا كان الخليفة بطلا فماذا نقول وبماذا نسمي القائد؟

5) لم يكتف حربي بما ذكره من سلبيات عن جبهة التحرير ورجالها المخلصين بل راح يدعو إلى استنهاض الهمم ودعوة المتكاسلين من أعضاء الحركة الباقين على قيد الحياة أن يسلطوا الضوء على هذه المرحلة من تاريخ حركتهم (السطرالأول من الصفحة 142).

نراه يدعو إلى الفتنة من جديد لأنه لم يكتف بأنهار الدم التي سالت خلال حرب التحرير حيث يقول في ذلك أن الحركة الوطنية الجزائرية لم تستطع التقاط أنفاسها من جديد ولم تقاوم الضربات القاسية التي وجهتها إليها جبهة التحرير التي كانت تسيطر كليا على المحيط المباشر للمدن الكبرى (السطرالثالث من نفس الصفحة).

6) يتساءل الكاتب لماذا نجحت جبهة التحرير، وقبل أن يتيح للقارىء المثقف ويترك له فرصة للرد على سؤاله يجيب نيابة عنه.

هل كان ذلك فقط لأنها جرؤت على اطلاق الرصاصة الأولى، يا له من تفسير بسيط لمحلل بارع!!! هكذا وبكل بساطة يقول لنا أن ما نردده يوميا على شفاهنا وما يتعلمه أطفالنا في كتب التاريخ وما اعترف به العدو نفسه من أن الجبهة هي التي فجرت الثورة، هكذا وبكل بساطة يطلق عليها كلمة التبسيط ويتجاهل الحقيقة تجاهلا تاما، بل نراه يقارن بين هذا (التبسيط من وجهة نظره طبعا) وبين القوة والتعقيد فيما يخص ما قامت به الحركة الوطنية من مآثر وأمجاد وما نال أفرادها من اعدامات وتنكيل بدعوى أن جدارا من الصمت قد لف الموضوع بكامله؟

ليتك لو اكتفيت بهذا السرد الغير المنطقي والغير منهجي وأنت أستاذ الصربون المثقف والسياسي المحنك ليتك لم تواصل تجريداتك السياسية وعبثك

الأدبي حيث تقول في السطر17 من الصفحة 142 : يجب التسليم بأنه كانت هناك رغبة بوحدة المقاومة (أي رغبة المسيطرين على الثورة حسب تفكيره سواء في مصر أو في فرنسا) وهو لعمري تناقض غريب لا يمكن لأي إنسان أن يتجاوزه أو يتحدث عنه فما بالك وحربي يتحدث عن الأسطورة والواقع .

تناقض صارخ عندما يدعي أن البعض في مصر وفرنسا كان يرى في جبهة التحرير الوطني بديلا عن الحركة الوطنية الجزائرية، وأن جبهة التحرير أداة عصرية علمانية بعيدة عن العروبة والإسلام.

التناقض الصارخ يبرز من خلال نقطتين اثنتين :

أولا: نداء أول نوفبرلا يحث على العلمانية ولا على الابتعاد عن العروبة والإسلام بل على العكس من ذلك .

ثانيا: استخفافه بمصر وفرنسا وجعلهما في سلة واحدة فكيف ذلك، فمصرلا تقبل بغير العروبة والقومية العربية... ولا فرنسا تقبل بالإسلام وهي الدولة الأشد تمسكا بالمسيحية ولسنا في حاجة إلى التذكير بالحروب الصليبية التي قادتها فرنسا ضد صلاح الدين أولا ولسنا نحن كذلك في حاجة للتذكير بمواقف الناصرية من القومية العربية فكيف اذا تلقى مصر وفرنسا في تأييدها لجبهة التحرير الوطني ؟

7) يلصق السيد حربي صفة الشيوعية بحزب جبهة التحرير الوطني ودون أن أجادله في هذا الموضوع فاني أحيله ليقرأ نص الرسالة التي كتبها الشهيد(بوشمعة لخضر) قبل إعدامه بلحظات أحيله إلى قراءتها ليستفيد منها فيما (يخص الشيوعية والشيوعيين) ليستفيد من رسالة رجل عرف مكانة الثورة وقيمتها وعرف كيف يصنف الثورة الجزائرية سياسيا في اللحظات الأخيرة من حياته (أنظر الملحق) .

أي جدلية وأي كلام يمكن أن نصدقه ونعتمد عليه في مراجعنا من خلال صفحات كتابه الـ 361 صفحة . يذهب السيد حربي بعيدا عندما يتحدث عن حزب جبهة التحرير وكأني أراه يتحدث عن حزب جديد أنشيء اليوم في كاليدونيا أو في نيكاراغوا أو كأنه يتحدث عن تجمع عمالي جديد في إحدى

المناطق الفرنسية عندما يظفي الصبغة التروتسكية على الحركة الوطنية والسياسية على حزب جبهة التحرير الوطني فيقول في السطر الأخير من الفصل الحادي عشر:

«ليست المساعدات التي وجدتها الحركة الوطنية الجزائربة لدى بعض التروتسكيين هي التي توضح الجدال»، إلى أن يقول في السطر الأخير: «هذا التحالف يساهم في الواقع في جعل الحركة الوطنية الجزائرية سلالية».

8) وتحت عـنوان اجتمـاع عقداء الداخل (1958/12/6) وفي السطر الرابع يقول:

انعقد الاجتماع في شمال قسنطينة بالولاية الثانية إلى أن يقول وقد اعتبر العقيد (علي كافي) أن اجتماع الولايات مناورة من جانب "كريم" نفذها عميروش وأكد أنه حل رموز الرسائل المتبادلة بين الرجلين بهذا الصدد وفي الواقع أن مصالح إشارة الولاية الثالثة لم تعد تعمل وكانت رسائلها تمر عبرالولاية الثانية.

لم يشأ أن يذكر بالتحديد من هو الشخص الذي وشى بمثل هذه المعلومات الخاطئة والذي اتهم بالباطل أشخاصا عرفوا بالوطنية والبطولة لا لشيء إلا لتشويه الثورة، فعلى سبيل المثال فقط (على كافي) لم يحضرالاجتماع فمن أين له أن يعرف وأن يطلع على الخلل الذي أصاب مصالح الإشارة التابعة للولاية الثالثة وأخبر جماعة الخارج بذلك ونال عن المجهود الذي قام به ما يتمناه.

9) في السطر 21 من الصفحة 306 يتحدث عن الولاية الرابعة حديث الرجل الجاهل بالأمور الذي لا يعرف حقيقة الأشياء والذي يتشدق بالباطل في حين أن سطوره تقطر سما، يقول في تناقض عجيب:

في إقليم "أوراليون فيل" والجزائر توجهت الحركة الاجتماعية لشغيلة المزارع الأوروبية منذ شهرجوان نحو طرق جديدة ليس بدون تخبطات ورغم عناد الهيئة المؤقتة وتحت ضغط قائد الولاية الرابعة تجاوبت هذه الأخيرة مع مطالب تلك القاعدة واتخذت تدبيرا يمنع كل شراء لمزارع أو محلات أو منقولات عائده للأوروبيين، لكن الدسائس البورجوازية التي سهلها فساد كوادر الولاية بدأت أقوى، ففي 9 سبتمبر أعاد مجلس الولاية الرابعة إرساء حرية البيع والشراء

وعن هذا الجانب حتى لا يقال عني أني أتفاخر بالولاية الرابعة فإني أحيل الأمر إلى الوثائق الصادرة في هذا الشان وإلى شهود العيان الأحياء .

في الأخير وبعد أن أعدت قراءة الكتاب البالغ عدد صفحاته بالهوامش والفهرس (361) صفحة أعدت قراءته أكثرمن مرة كي لا أقع في أي خطأ وكي لا أسبب في ردي جرحا لصاحبه (وأنا أعرف أنه شديد الحساسية) أقول له ليتك لم تكتب هذا الكتاب كي تبقى بالنسبة للجيل الصاعد ولنا نحن الجيل القديم أسطورة يتردد اسمها من حين لآخرويذكرونك بالرغم من أنك لم تشارك مشاركة فعالة في الثورة المسلحة ولم يكن لك نصيب فيها إلا أنهم يتذكرونك لأنك واحد من الأسماء اللامعة التي فصلت على مقاسها بذلة تناسب جميع المناسبات لتظهر بها في المحافل والاجتماعات ومن بينها محافل كتابة التاريخ وتبقى أسطورة من بين الأساطير التي نجهل عنها الشيء الكثير لأنها بدت مجهولة ووصلت إلى قمة السلطة ثم انتهت مجهولة...

من اليسار الواقفون: – أرسلان – علال (من موزاية) – العقيد سي امحمد بوقرة – العقيد صالح زعموم – يحي بوسماحة (من البروافية) – مصطفى بن الحاج رابح (من المدية) – محمود (شهيد) رئيس منطقة – نصير (شهيد)، آخرهم توفيق من القليعة (شهيد).

الجالسون: – بومدين العربي (توفي بعد الاستقلال) – لعروسي (مازال حيا) – العقيد الطيب الجغلالي (شهيد) – حسان بوديسة من المدية (جامعي) – العقيد علي ملاح المدعو سي شريف (شهيد) – كلاش من المدية

الفصل الثالث عشر
جهاز مخابرات الثورة وعلامات استفهام
«LE M.A.L.G»

1 - جهاز مخابرات الثورة والأجهزة المضادة «LE M.A.L.G»

لا مندوحة لي في آخر هذه الصفحات من مذكراتي إلا أن أذكر بعض المعلومات ذات الارتباط الوثيق بجانب من جوانب ثورتنا التحريرية وهو جانب المخابرات.

إن في بداية كل حرب وطيلة اشتعالها وبعد استتباب الأمن فيها... لا يتوقف دور المخابرات ولا يكل بل هي الحرب المشتعلة أبدا وان كانت في الظل.

حكمتنا فرنسا طيلة سنوات الاستعما ر بالاعتماد على أجهزة استخباراتها التي لم يتوقف نشاطها على متابعة ومراقبة أنشطة الجماهير وتحركاتها... بل وعلى الدس عليها، وزرع بذور الخلاف والتمزق بين أفرادها مستغلة جميع معطيات التفجير الديني والعرقي (الاثني) والطبقي... لكن عمل الثورة الخلاق وأسلوبها العنيف في رسم الحدود أمام الجميع... أعاد خلط الأوراق أمام العدو وأبرز قيما جديدة متطورة وصهر المجتمع على أسس قوية... الأمر الذي أفشل الكثير من تحركات المخابرات الفرنسية... لكن هل كان لثورة التحرير جهاز مخابرات يتصدى للعدو؟ وما هو تنظيمه وامكانياته ودوره الثوري؟ وكيف كان يتصدى لمخططات الأجهزة الفرنسية في الثورة...؟.

من المعلـــوم أن للثـــورة جهـــاز مخابرات أطلق عليه اسم «المالـــق» «LE M.A.L.G» وقد تأسس خارج الثورة وأن مؤسسه هو عبد الحميد بوصوف الذي ظل أهم شخصية مشرفة عليه إلى أن استرجعنا سيادتنا...

وأقرر منذ البدء أن هذا الجهاز لم يؤد دوره الذي تأسس من أجله داخل الثورة بل كان وسيلة تصفية حسابات بين قادة الخارج... وطعنة لبعض قادة الداخل واجهت شخصيا جهاز «المالق» يوم أن عثرت على رسالة الشهيد

بوشمعة لخضر وهي الرسالة الوحيدة التي سلمت من العبث والتمزيق وكان الشهيد مسؤول جهاز أمن الولاية الرابعة في الثورة... اشتملت الرسالة على عبارات تحذرنا من الوقوع لقمة سائغة لجهاز المخابرات الذي لا يعترف بحدود ولا توقفه صعاب... وهو الشهيد الذي وقع ضحية هذا الجهاز ودفع حياته ثمنا...

وقد أطنب الصحفي والكاتب الفرنسي "Yves Courrière" إيف كوريار في الحديث عن جهاز المخابرات الجزائرية... وان كان جل ما ذكره مجرد دعاية للبعض وتغميط حق البعض الآخر ومبالغة تصب كلها في هدف تقزيم الثورة... وإظهارها كأنها شريط بوليسي محبوك القصة متكامل الأحداث...

اجتهـــد "إيــف كوريـــار" كثيرا في الوصول إلى قادة الولاية الرابعة والحصـــول على معلومـات يحشو بها كتبه العديدة عن الثورة لكنه لم يفلح... فلجأ إلى ضعاف النفوس الذين راحوا يحدثونه عن الثورة من صنع خيالهم ووحي تطلعاتهم الشخصية...

في الوقت الذي كانت أجهزة المخابرات الفرنسية تعربد داخل الوطن وتكيد لقادة الثورة وتغتال البعض وتغالط البعض كما جرى في الولاية الثالثة مع قصة "الزرق" "Les bleues"... وتقتفي آثار المخلصين وتمد القوات المسلحة بدقائق المعلومات التي تحصلت عليها بالتعذيب أو عبر شراء الذمم ... والابتزاز...الخ . في هذه الظروف كان جهاز مخابرات الثورة "المالق" غارقا حتى النخاع في معارك هامشية بين من هم في قيادة الخارج...

صرح الجنرال "سيمون " بعد اندلاع ثورتنا في قسنطينة فقال : «ان منطقة الأوراس هي فعلا عرين الثورة إلا أن الأوراس سيصبح مقبرة لهذه الثورة».

كان الجنرال واثقا مما يقول ويدرك أن أجهزة مخابراته ممسكة بخيوط المؤامرة... ولم تطل الأيام حتى دبرت عملية اغتيال قائد منطقة الأوراس وأحد أكبر الأدمغة المفكرة والمنفذة لثورة التحريرالشهيد البطل مصطفى بن بولعيد... وقد ترتب عن موته مصاعب لا تحصى سواء في منطقة الأوراس أو خارجها وبقيت ندوب تصفية كبار الثورة إلى اليوم من أكبرالكوارث على مستقبل الجزائر الثائرة والمستقلة على حد سواء.

ومن مخططات جهاز المخابرات الفرنسية أن أحد الصحفيين الفرنسيين جاءنا إلى الولاية الرابعة وادعى أنه من أصل مجري... وأنه ظل سنوات عديدة يحاول الوصول إلى قلب الثورة ويجتهد في التعرف على المجاهدين لينقل إلى العالم قضيتهم ويحسس الرأي العام الدولي بما يكابده الشعب الجزائري تحت نير الآلة الاستعمارية... أتقن الصحفي دوره بحيث أفلح في إيهامنا بأنه صحفي مجري محايد من اللفيف الأجنبي... دفعته رسالته الإعلامية وواجبه الإنساني لأن يتجشم المصاعب والحياة بيننا في الجبال والأودية... ليشهد الحقيقة ويبلغها للرأي العام الدولي... بكل أمانة إعلامية.

صدقنا زعمه... ووجدنا فيه ضالتنا... واعتبرنا وجوده بيننا تضحية كبيرة وفرصة يعلمنا فيها بما يجري في السياسة الدولية في تلك الظروف العصيبة التي كنا نعيش انفصالا كاملا عن العالم الخارجي... طلب الينا الصحفي أن نطلق عليه اسما عربيا وكان "جلول " وأكد لنا أنه من محترفي التصوير الفوتوغرافي... لاقت هذه المهنة هوى في نفوسنا... وكان عزيز على قلب المجاهد أن تلتقط له صورة مع رفاقه تحت ظل شجرة أو على حافة نهر... فالصورة هي وسائل استمرارنا على قيد الحياة بطرق أخرى... كان الصحفي لا يرفض طلب المجاهد بل كان يصورنا بمحض إرادته ويوزع علينا صورنا...لكن كان يحتفظ بأصل الصورة... انصهر الصحفي انصهارا تاما في حياتنا وصار يقاسمنا الأتعاب والمأكل والإقامة رغم قسوة الحياة... ويتظاهر بالمحبة والعطف والتقدير لعملنا الثوري، ويصفه بالتاريخي والتحريري... وكان يسجل كل ما يراه ويدقق في أسلوب كل منا ويستقي أسرارنا بدافع الفضول والمعرفة... مستعملا جميع الطرق حتى اذا ألم بجميع أسرارنا... استغل أول هجوم كاسح للعدو ضدنا فاختفى... وقد ظننا أنه قتل في المعركة الشرسة... فحزنا عليه أشد الحزن... وبحثنا جادين عن عنوان عا ئلته بالمجر حتى نتأكد من مصيره واقترح بعضنا أن نعزي عائلته بعد أن اعتقدنا أنه مات في ذلك اليوم المشهود...

استمرت الثورة إلى أن حققنا النصر وكدت أنسى إلى الأبد "جلول" الصحفي ولما خرج علينا الجلاد الفرنسي الجنرال "ماسو بمذكراته وقد حملها أجمل الصفحات عن ذاك الصحفي المزعوم ... أيقنت يومها أنه جاسوس دسته أجهزة

استخبارات العدو في صفوفنا.. وكان يمدها بجميع أسرارنا العسكرية والتنظيمية والسيكولوجية وعلاقتنا بالجماهير وأسماء المجاهدين والمسبلين الذين كنا على صلة بهم...ولم يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها في تقريره المخابراتي.

ودس جهاز استخبارات العدو جاسوسا آخر في صفوف المجاهدين في منطقة تنس بحجة أنه مراسل صحفي أيضا وقد أتقن الجاسوس دوره أفضل إتقان وركز في مهمته الاستخبارية على نقطة خطيرة جدا هي تقليد دور القائد في جيش التحرير في كلامه ومأكله وملبسه وبساطة حياته واستقامته وتضحياته ولا سيما الكشف عن سر تعلق المجاهد بقائده وحبه الأبوي له... ولما استبد بالمعلومات الضرورية غادرنا إلى مركز قيادته... ومن يومها... بدأ بعض قادة الجيش الفرنسي يقلدون نفس الأسلوب وكان خير متقن لهذا الدور "الجنرال بيجار" الذي كان يجمع المظليين ورجال القوات الضاربة ويقوم بينهم خطيبا على طريقة ضباط ثورة التحرير في بساطة وإقناع، وهدوء ملقنا إياهم مبادئه الوطنية والتضحية من أجل الحرية والمثل العليا... وكثيرا ما امتدت أصابعه لتعبث بأزرار قميصه قائلا لجنوده : «أنظروا إنه قميص بسيط مما تلبسون...»، بل وكان يتقدمهم أحيانا في تنفيذ العمليات... ليوهمهم بأنه شديد الحرص على حياتهم وشجاع يقاتل المجاهدين بعقيدة ووطنية خالصة... وهو بذلك يؤصل فيهم قيما قتالية جديدة لاعهد للجيوش الكلاسيكية بها من قبل...

وذات يوم أرسل الجنرال بيجار رسالة إلى زوجه حملها شكواه وعذابه في ليالي الصقيع وما يكابده من خوف على حياته وأتعاب تنوء بها الجبال... موضحا حالته النفسية قبل بداية كل معركة... وهي شهادة اعتراف من أحد أصلب جنرالات العدو وأكثرهم فاشية... وما ذاك إلا شعور إنساني يصدر عن طبيعة الإنسان الضعيف.

ومن الخطير أنه ما إن استردت الجزائر استقلالها حتى هرع بعض ضعاف النفوس إلى الجنرال بيجار وصافحوا يده الملوثة وترجوه أن يقص عليهم بطولاته في حربة ضد الجزائر وفتحت له وسائل إعلامنا الوطني(*)، أبوابها ليروي، من خلالها أحداث الثورة من وجهة نظره الاستعمارية الحاقدة على الجزائر لأجيالنا الصاعدة...

(*) يقصد الكاتب هنا، أسبوعية «الجزائر الأحداث» قبل أكتوبر 88 عندما أرسلت لـ- محرزي لمحاورة بيجار. (الناشر).

2 - جهاز المخابرات وعلامات استفهام ؟.

- إن بنية جهاز "المالق" أو جهاز مخابرات ثورة التحرير لم تقم على أسس غير سليمة لأن هذا الجهاز نذر نفسه منذ البدء لمهمة غير وطنية... بحيث تأسس لأغراض غير أغراض مقاومة أجهزة العدو وتفكيك مخططاتها ومقارعته على أرض الثورة كما أن عملية اختيار رجال الجهاز كانت خاضعة لمقاييس محددة غير مقاييس الكفاءة والإخلاص للمبادىء.

اختار جهاز"المالق" بعد تحريات عديدة... الطالب بوخروبة محمد الذي سيصبح فيما بعد العقيد هواري بومدين... اختاره أو اصطفاه من بين مئات الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الوطن العربي وفي كافة بلدان العالم لتوفر شخصيته على جملة من الشر وط والمواصفات الخاصة... وجرى تدريبه مع غيره... قبل أن يأتوا به على متن الباخرة المعروفة (ديانة) التابعة لأسطول المملكة الأردنية... وهنالك بإحدى ثكنات الثورة المتواجدة بالأراضي المغربية تم تدريب بوخروبة وتلقينه دور المناورة وحروب الظل... وقد تأثر بسلوك معلمه عبد الحميد بوصوف في التآمر والدس والاطاحة بغيره وراح يتدرب على مختلف الأساليب البوليسية إلى أن استولى على عرش السلطة.

وقد شهد بوخروبة... معارك جهاز المالق في المتاجرة بالسلاح وتكديس المعدات والتجهيزات العسكرية في الحدود الغربية والشرقية... لقد كان نوع الأسلحة والمعدات من العصرية والحداثة بحيث يستحيل على أي كان اقتناءها من معامل الأسلحة الأمريكية... الأمر الذي يحمل على الاعتقاد بوجود أياد خفية تيسر الطريق... أمام البعض لاختراق غابة جهاز الاستخبارات الأمريكية (CIA) والاستئثار بما في المعامل الأمريكية من تجهيزات الكترونية وأسلحة عصرية... كان حلم المجاهد في الداخل الحصول على قطعة سلاح... أوحذاء أوقشابة تقيه جحيم الصقيع فكان عليه أن ينتصر على عدوه القوى... ويفتك منه سلاحه ومؤونته ليكمل مشوار التحرر... كنا نقاتل بخطة طارق بن زياد: العدو أمامنا والجوع والعراء والشر وراءنا... لكن كان سلاحنا الايمان بالله وبالقضية العادلة...

ومن حقنا أن نسأل جهاز "المالق" اليوم عن الهدف من تكديس تلك الأسلحة الكبيرة المتطورة وراء حدود الوطن دون التفكير في إدخالها إلى ساحات المعركة والاحتفاظ بها إلى ما بعد الاستقلال... ؟

إن الرجل الذي كشف ألاعيب جهاز "المالق" ومناوراته هو المرحوم (طوالبة عبد اللطيف) كان طوالبة في زيارة إلى الخارج وبالتحديد إلى المغرب الأقصى وصادف أن رأى فصلا بين جنود الثورة وضباطها في الأكل والإقامة ... فثار ضد هذا السلوك المنافي لأخلاقيات الثورة ورفض أن يتناول وجبته في مطعم الضباط... أغاض سلوكه قادة "المالق" فعمدوا إلى اعتقاله وتأديبه... وقد كان مسؤول سجون "المالق" وقتها المسمى رابح يملك صلاحيات واسعة جدا... ويتصرف بحريات لا حدود لها وقد ثبت رسميا أنه كان عميلا لدى المخابرات الفرنسية فنفاه مسؤولو جهاز "المالق" ليستقر في مدينة طنجة المغربية...

تمكن طوالبة من الفرارمن سجنه بمساعدة بعض الشرفاء الذين غلبوا على أمرهم من قبل جهاز "المالق"... والتحق بالولاية الرابعة رفقة الدكتور فارس في ظروف لا تطاق... وفور وصوله كتب طوالبة عبد اللطيف تقريرا مفصلا عن ممارسات جهاز "المالق " في الحدود الجزائرية المغربية... وعن دوره غير الوطني وممارسته في تعذيب واغتيال المجاهدين الشرفاء... وقد كان لصدمته هذه أثر خطير أدى به إلى التفكير في حل منفرد مع العدو... ودفعه إلى تنفيذ مخططه مع بعض رفاقه الذين خططوا ونفذوا عملية «الإليزي» الشهيرة... غير عابئين بنتائجها على المستوى الوطني وما تسببه من انحراف في وحدة الثورة وإضعاف لمركزها التفاوضي مع العدو... فلولا جهاز "المالق" بانحرافه الخطير ودوره المشبوه ما كان لجماعة الولاية الرابعة أن تنحرف ويأتي عملها كانعكاس شرطي لفعل سابق... إن أزمة الإليزي لم تبدأ على قمة ربوة في الجزائر وانما بدأت في زنزانات جهاز "المالق" ومكاتبه في مدينة وجدة المغربية... إن التآمر على الثورة جاء من بين جنبات أولئك الذين كانوا يفكرون في مرحلة ما بعد الاستقلال بعيدا عن مخاطر الموت الذي كان يترصد الثوار في كل ثانية...

كانت الثورة في الداخل تعاقب المجاهدين لأبسط الأسباب حفاظا منها على سلامة الخط الثوري وضمانا لطهر صفوفها... فكانت تكفي سيجارة يشعلها

بعضنا بعد صدور أوامر تحريم التدخين حتى يجدع أنف المدخن أو أن ينفذ فيه حكم الإعدام إذا زنى... في الوقت الذي كان فيه ضباط الخارج يرفلون في نعيم البذخ والترف ويغدقون على عناصر "المالق" الأموال والأوسمة بحيث كان هؤلاء العناصر يرسلون في حافلة خصوصية مكيفة من وجدة إلى مدينة الدارالبيضاء مرة كل أسبوع للترفيه والاستجمام وكم كانت زياراتهم الصالونات الليلية وعيادتهم الحانات للعربدة والمجون... محفوفة بالأخطار... في مناطق موبوءة وملغمة بجواسيس المخابرات الفرنسية "والأنتربول".

لقد تمكنت المخابرات الفرنسية أن تتسلل إلى صفوف أولئك الشباب في لحظات الخمر والهذيان... وتغتصب من أفواههم معلومات قاتلة . بحيث تمكنوا من معرفة العدد الإجمالي الدقيق للجاهدين الذين يغادرون الحدود المغربية باتجاه الداخل، ونوعية الأسئلة التي يحملونها وأرقامها والطرق التي يسلكونها وأسرار الاتصال وقد تمكنت بذلك قوات العدو من إبادة أكثر من مائة مجاهد دفعة واحدة... ولم تنج من المجزرة المنظمة إلا فصيلة واحدة (25 مجاهد) بعضهم مازال على قيد الحياة إلى اليوم يذكرون عجائب وأهوال تلك الكمائن التي كانت تنصبها لهم قوات العدو بدقة وإتقان مستغلة جميع معلوماتها التجسسية ...

أدركنا بما لدينا من معلومات.. خطر التجسس على مصير الثورة فاعتمدنا على أنفسنا ووضعنا منهجا وقائيا في إطار جهاز يتولى شؤون الأمن داخل حدود ولايتنا ... وينسق بطريقة سرية مع الولايات المجاورة لنا... ومن بين المهمات الناجحة التي نفذها هذا الجهاز...هي انتقاء أفضل العناصر من المجاهدين وإقناعهم بدور التجسس على العدو داخل صفوفه... وذلك بعد أن أخضعناهم إلى تمارين دقيقة تتعلق بسلوكهم داخل ثكنات العدو... وبكيفية الحصول على المعلومات مع مراعاة الأولوية والخطورة... ومنحناهم وثائق مزورة مكنتهم من دخول ثكنات العدو على أنهم عملاء... مطاردون من قبل جيش التحرير ونشيع في القرى والمداشر خبر خيانتهم وعمالتهم... وكانوا عيوننا الحارسة داخل قلاعه الحصينة... إن المجاهد وجواج عبد القادر الذي مازال على قيد الحياة ما فتئ يتذكر تفاصيل تلك المرحلة وطريقة تجنيده وزرعه في صفوف العدو... وقد نجا بأعجوبة لما اكتشف أمره الأعداء... بعد أن أخبر عنه أحد المحافظين السياسيين في ولايتنا وكان هو الذي كلفه بتلك المهمة الصعبة؟ .

إن ضحايا جهاز "المالق" من المجاهدين المخلصين كثيرون... في المغرب وتونس ومصر الخ.. فقد جرى اغتيال خيرة المجاهدين لأنهم رفضوا الانقسام... وثورة القصور والمهرجانية السياسية تحت أضواء أجهزة الكاميرا... وكان من ضحاياها الشهداء لعموري وعبان رمضان، وطوالبة عبد اللطيف... وآخرون... ألم يكن بالإمكان سجن هؤلاء الرجال أو معاقبتهم عقابا آخر لا يرقى إلى درجة الاغتيال الجبان...؟ ومهما كانت أسباب الاختلاف معهم أيعقل أن يعدم بطل كلعموري أو عبان...؟ أو أن يدفع بالعقيد لطفي ورفيقه لأن يموتا ميتة فيها من السيبة والإهمال ما يحمل على الشك والريبة...؟ امتدت يد جهاز "المالق" لتغتال أحد الجزائريين في القاهرة... وادعت كذبا أنه انتحر بأن رمى نفسه من الطابق الخامس في العمارة ... لكن جهاز المخابرات المصرية الذي كان على بينة من تجاوزات بعض رؤوس "المالق" اكتشف الحقيقة ووضع المجرمين أمام الأمر الواقع.

كان بإمكان جهاز المالق أن يقدم خدمات جليلة للثورة في الداخل والخارج لو لم يرتبط بدعم مراكز نفوذ بعض قيادة الخارج ... ولم يتورط أعضاؤه في تصفية رجال الثورة والتجسس عليهم... إن الدعايات المغرضة التي أفشوها بحق وبدون حق عن تجاوزات بعض القادة في الداخل... من ذلك ما أشيع عن القائد عميروش بأنه أمر بقتل عشرات المجاهدين في مؤامرة دبرتها له مخابرات العدو بالدس والمؤامرة... هذه الدعاية وإن صح بعضها فله ما يبرره... لأنه ليس بامكان أي قائد في الداخل تحيط به الأخطار من كل جهة وتتربص به المؤامرة على الثورة من كل صوب أن يتسع له المجال فيحاكم المتهمين في هدوء ويتثبت في أمرهم، ومن أين له أن يعرف حقيقة المخلص من العميل.. ؟ ان الجرم كل الجرم أن يغتال المالق مجاهدي الثورة على أرض أخرى باسم تهم شخصية لا تمت إلى الثورة بصلة...

أليس من واجبنا اليوم أن نسأل من المجرم...؟ ومن تحق عليه إدانة التاريخ... أهم أولئك الذين امتلكوا القوة باسم الثورة ووضعوها في قتل إخوانهم المجاهدين...؟ أم رجل جاهد في ظروف لا تطاق... فاخطأ وأصاب وكان خطؤه واصابته في سبيل إرضاء الله والثورة، إلى أن استشهد على قمة جبال الجزائر... ولم يعرف عميروش يوما بذخ القصور... وتقاعس الصالونات... وكانت أقرب إليه من لمس الوريد لو أراد؟

تطورت علاقة رجال المالق مع جهاز المخابرات الأمريكية (CIA) لتصبح علاقة صفقات مربحة ومتاجرة بمعلومات خطيرة... وما الصفقات الاقتصادية الخيالية مع شركة استغلال النفط الأمريكية في الجزائر (EL PASO) البازو، الا أحد ثمرات قرصنة رجال المالق ضد أمن الثورة وثروات الجماهير الشعبية.. كشف الطالب الجزائري مقداد الحافظ أثناء بحثه وتنقيبه في وثائق خاصة بالطاقة النووية بمعهد الدراسات الاستراتيجية كشف معلومات سرية تؤكد أن الولايات المتحدة الامريكية نابت عن الحكومة الفرنسية في البحث والتنقيب عن البترول وتحديد نقاط تواجده في الصحراء نظرا لما لديها من وسائل رصد المعادن وحفر وتكرير مادتها وميزتها في توظيف الأجهزة الالكترونية المتطورة... وقد تمكن الأمريكان من معرفة مصادر الطاقة في صحرائنا وتحديد أماكن تواجده في جوف الأرض... لكنهم أخفوا كل هذه المعلومات عن الحكومة الفرنسية التي كانت تخوض حربا ظالمة ضد الشعب الجزائري... واحتفظوا بها إلى ما بعد استرجاع السيادة الوطنية بالتنسيق مع بعض رجال المالق الذين تولوا القيام بدور المفاوض في الاتفاقيات مع شركة البازو الأمريكية...

إن جهاز المالق ضليع في تعامله مع جهاز المخابرات الأمريكية والتنسيق مع دوائره... الأمر الذي دعم تحركاته في الترصد وتصفية الكثير من قادة الثورة... ومكنه من امتلاك قدرات تجسسية بأدوات متطورة وأجهزة حديثة كان بإمكانه أن يخص بها الثورة ورجالها فيتصدون لمخططات أجهزة الاستخبارات الفرنسية التي كانت ترتع بحرية في حقل الثورة على كافة التراب الوطني وخارجه.

الخاتمة

يلاحظ القارىء أني لم أضع بين يديه كتابا مؤسسا على منهجية علمية مرسومة الأبعاد ومدروسة المحتوى، وإنما طرحت عليه بعض انشغالاتي وهمومي العامة كما عشتها وعاينتها بعفوية المجاهد ابن القرية... وصدق المناضل الذي لا يعتقد أن السياسة هي احتراف الوصول إلى الكرسي والاستدامة فيه، مهما كانت الوسيلة التي توصله لهذه الغاية... وإنما السياسة هي مواصلة رسالة الجهاد التي فطرت عليها بأسلحة مغايرة...

إذن لا أدعي أني أخرجت إلى الناس كتابا في التاريخ أو السياسة أو الاجتماع... ولكن كل ما أصبته من غرضي إنما حررت إرادتي من عقدة الصمت... فألقيت بعض ما في نفسي من تراكم التجربة التي عشتها مع رفاق درب التحرر وعشاق الشهادة ، إن في مرحلة الثورة المسلحة أو ما بعدها... وسجلت لطلائعها المثقفة الواعية بعض ملاحظاتي ومعاناتي وآرائي... على تعلاتها، أملا أن تكون لهم مادة أولية.. ومقدمة بسيطة إلى جانب محاولات عديدة لرجال جيلي ممن عاشوا نفس المرحلة وواجهوا نفس الامتحان الصعب.

إن سنة الله في خلقه أن يرث الخلف السلف، وأن يأخذوا عنهم مايفيد وينفع ليجعلوه منطلقا إلى أهدافهم التقدمية.

ولا أحسب أن أعز شيء على طالب الحقيقة التاريخية من أن تقدم له شهادة أو وثيقة... أو معاناة صادقة... ولو كانت شخصية وغيرممحصة... لأن ذلك يجعله في مأمن من الفراغ القاتل والشك المريب... ناهيك إذا كانت هذه الوثيقة أو الشهادة من مجاهد أو مناضل عاين الأحداث أو كان من صانعيها... فكل محاولة وطنية على تواضعها وبساطتها تعد كنزا لا يفنى لعقول المستقبل ومكتبات الأجيال الصاعدة... وتعتبر ترسا واقيا لهذه الأجيال من حملات

التشويه والتحريف المعادية... التي تريد بدعايتها هدم مالم تستطع هدمه بالسلاح والجيوش الجراره...

أعتذر لدى القارىء من فرط ما علق بهذه الصفحات المتواضعة من تكرار وأخطاء وذاتية... وعدم الالتزام الصارم بمنهجية محددة في الأسلوب والمحتوى... وأعد القارىء بأني رغم وعيي بضعفي... سأحاول أن أقدم الجزء الثاني من هذه المحاولة في وقت لاحق علني بذلك أخفف من وطأة الضمير على نفسي وأفي بالوعد الذي ضربته على نفسي مع الشهداء والمخلصين من أبناء هذا الشعب العربي المسلم.

وما توفيقي إلا بالله فهو خيرموجه وخير نصير.

لخضر بورقعة

الجزا ئر سبتمبر 1990

صورة لمجزرة قام بها رجال الحَرْكَة (القومية) ضد المواطنين في شلالة العذاورة (المنطقة الخامسة بالولاية الرابعة).

الملاحق

ملحق 1 :

قيادة الولاية الرابعة تنتقد الحكومة المؤقتة وجهاز مخابراتها

هذه ترجمة للرسالة التي بعث بها سي لخضر بوشمعة ، مسؤول جهاز الاتصالات والأخبار (المالق) بالولاية الرابعة، إلى أعضاء الحكومة المؤقتة .

وهي رسالة طويلة كتبها الشهيد سي لخضر بوشمعة في شكل تقرير انتقد فيه أعضاء الحكومة المؤقتة وعناصر المالق.

ونظرا لكون الرسالة تحتوي على انتقادات شديدة اللهجة، ارتأينا نشرها وترجمتها إلى اللغة العربية إلى جانب النسخة الأصلية، وهي النسخة الوحيدة الموجودة عند سي لخضر بورقعة (توجد نسخة مصورة من هذه الرسالة محفوظة في أرشيف الثورة).

عندما تلقى السيد عباس فرحات هذه الرسالة من طرف الشهيد سي لخضر بوشمعة كان يعتقد أن صاحبها هو السيد لخضر بورقعة! وذات يوم، التقى السيد فرحات عباس بسي لخضر بورقعة خلال اجتماع الحكومة المؤقتة وقال عباس لأعضاء الحكومة: «هذا السيد - يقصد بورقعة - هو الذي شتمنا وانتقدنا في رسالة وجهها لنا...» .

وهكذا اعتقد عباس فرحات بأن بورقعة لخضر هو الذي بعث هذه الرسالة .

ومن هذه الواقعة يبدو أن رئيس الحكومة المؤقتة كان لا يفرق يين الرائد بورقعة لخضر ومسؤول الاتصالات والأخبار سي لخضر بوشمعة (الناشر) .

الجمهورية الجزائرية
جبهة وجيش التحرير الوطني
الولاية الرابعة
إلى الحكومة المؤقتة

منذ ستة سنوات خلت تقريبا اختار عدد قليل من الوطنيين الجزائريين طريق الجبال من أجل استرجاع حرية هذا الوطن وكرامته، كان هؤلاء الوطنيون بدون إمكانيات مالية لكنهم كانوا مسلحين بإيمان قوي وبروح التضحية الكاملة، متجاوزين بذلك حدود التصور الإنساني ومنطق الأشياء انها ثورة الشعب مستبعد في سبيل الحصول على حقوق الإنسان الأساسية من حرية وكرامة وعدالة في ظل التقدم والاستفادة المشروعة من ثوراتنا.

وما لبثت هذه الشعلة أن انتشرت، ترعاها وتغذيها، ملايين النفوس المتحمسة من أجل إنجاز هذه المهمة النبيلة، وبأسرع ما يمكن أخذت تتدفق على الوطن موجة عارمة من الأمل توقظ الضمائر وتحول آهات المضطهدين إلى صوت جعلنا نستشف فجر التحرير اللامع منذ السنة الأولى من الكفاح .

ومنذ ذلك الحين شاهدنا العملاق الفرنسي يترنح عدة مرات، غيرأن آمالنا في النجاح لم تكن لتتحقق بصفة كاملة .

لقد استشهد رواد الثورة واختفى عدد كبير من الرفاق وما زالت أرواح ديدوش وبن المهيدي وبن بولعيد وزيروت تحوم على الجبال، لكن الفراغ الذي تركوه وراءهم كان من الاتساع بحيث جعل الأعباء تتراكم على كواهلنا . وشيئا فشيئا تغير وجه ثورتنا تغيرا يعرف اتجاهه جميع المجاهدين .

لقد عشنـا كل حدث وكل مرحلة من مراحل هذا التغيير في الجراح التي في أجسادنا، وفي نزاعـاتنا وخيبة آمالنـا وفي مصاعبنـا ونداآتنـا التي لم تجد من يستجيب لها.

فلنقدم الحساب مع بداية السنة السادسة من الكفاح: لقد دفع الشعب الجزائري الباسل الضريبة، في السجون والمحتشدات ما انفكت تجلجل بآهات إخواننا المناضلين فليس هناك عائلة واحدة لم تبك واحدا من ذويها، ولم يبق منزل ولا كوخ لم يعرف الحرب بما تحمله في طياتها من بؤس ودموع وآلام، ولم تنج من فداحة القمع أية فئة ولا طبقة: بن زرجم والعربي التبسي، وجميلة والآلاف بل مئآت الآلاف من المواطنين أغنياء وفقراء، نساء وأطفالا وشيوخا، هؤلاء جميعا استجابوا لنداء التضحية في سبيل الحرية وشرف وطننا العزيز.

فهل نحن بحاجة إلى ذكر المآثر السامية والأعمال البطولية التي قام بها الفدائيون الجزائريون؟ .

إن عددا لا يحصى من قبور الشهداء تملأ قمم ووهاد التراب الوطني العزيز.

لقد كتب جيش التحرير الوطني بدمه صفحات من التاريخ ستسجل بين أروع صفحات الحروب التحريرية، وبذل الشعب والمجاهدون كل ما في وسعهم بذله والعالم أجمع يشهد على ذلك، اننا نعلل مختلف عوامل النصر بإرادة الشعب، ودعمه المعنوي والمالي، وطاعته العمياء للمبادئ الثورية، بالإضافة إلى ما يتحلى به جنود جيش التحرير الوطني من روح قتالية تثير الإعجاب واستعدادها دائما للتضحية القصوى .

إن العديد من الشعوب الشقيقة لا تبخل علينا بدعمها المعنوي والمادي وفي كل مرة يكون النجاح في متناولنا نضيع فرصة النصر الحاسم، لماذا؟ إن الشرعية التي تمنحها لنا مشاركتنا الدائمة في مختلف ميادين المعركة والشرعية التي تركها لنا الرواد

الذين اختفوا، تعطينا الحق وتفرض علينا واجب البحث والتشديد بمختلف الوسائل، عن الأسباب المؤدية إلى إضعاف الطاقة العسكرية للثورة .

لقد نظرنا في دور الشعب والمقاتلين في الكفاح فلم نجد تفسيرا خطيرا أولا يمكن إصلاحه.

علينا اذا بالبحث عن التقصير أو الخيانة في الهيئات المعتبرة كأجهزة قيادة الثورة والتي ما انفكت تمارس نشاطاتها خارج التراب الوطني وان كان القيام بالثورة وبالواجب يمكن أن يسوقنا خارج ميدان القتال، للاضطلاع بمهام يمكن ويجب ان تكمل انتصارات العمل المسلح...

إن تمثيل الشعب الجزائري المكافح أمام العالم الخارجي، مهمة ثقيلة تستلزم رجالا نبلاء ذوي شجاعة من بين المجاهدين يبرهنون على قدراتهم الثقافية والأخلاقية .

بيد أن عددا كبيرا منا أصبح يعرف منذ وقت طويل أن أعضاء قيادات منظماتنا الخارجية فقدوا أهلية تمثيل كفاحنا ومنذ وقت طويل جاء المقاتلون العائدون من الخارج وبعض الإخوان الذين عرفوا بفضل مسؤوليات هؤلاء الناس عن كثب بالدليل القاطع على أن الحكومة المؤقتة وحاشيتها قد حادت عن الصراط المستقيم .

فالهيأة العليا للثورة أصبحت عبارة عن شرذمة من المغامرين ومن ذوي الطموح غير المشروع الذين ينتفعون بكفاحنا لا يترددون أمام الاغتيال والاختطاف والرشوه والابتزاز لإشباع غريزة السيطرة وتكوين شخصية مناسبة لهم. فالبعض يعبث بأموال الثورة أمام الملإ، بينما يقتات يتامى الحرب في الونشريس والقطاع الشرشالي بالأعشاب والبعض الآخر غارق في اللامبالاة وعدم الاكتراث والجهل والصمت مما يجعله شريكا في الجريمة أسوة بالآخرين .

ولكي نفهم جيدا النتائج التي نريد الوصول إليها، يجدر بنا التذكير ببعض الأحداث والقرارات المؤسفة وانعكاساتها على مجرى كفاحنا. ففي صائفة 1956 تلقى الشعب والمجاهدون بشيء من الذهول التعليمات الأولى المتعلقة بإضراب الأيام الثمانية التي ظهرت علامات الفشل منذ الأيام الأولى للإضراب، وتخلى المضربون عن تعليمات القيادة، وجاءت نهاية الإضراب لتكريس الهزيمة السياسية والنفسية وحل معظم تنظيماتنا عبر الجزائر وبالعاصمة خاصة، الأمر الذي انتزع منا حظوظ دعم وتيرة الكفاح بالدرجة التي تجبر فرنسا على التفاوض، وهكذا أضعنا أفضل الأوراق الرابحة التي كانت بيد الثورة، مما جعل العدو يتعنت في مواقفه، والنزاع يطول مع كل ما يحمل من نتائج وخيمة معهودة : أي مئات الآلاف من القتلى .

إن المسؤوليات لم تحدد أبدا، بل أن المسؤولين المعنيين بتلك الأخطاء تحصلوا عل مزيد من الترقية.

وكذلك الشأن بالنسبة للإضراب عن الدراسة، هذه البدعة الحقيقية التي تقررت اعتباطيا، وبدون اتخاذ الاجراء ات اللازمة لاستقبال المضربين والاستفادة العقلانية الكاملة من الطلبة الشبان.

وإذا كان قسم كبير من العدد الهزيل، الذي التحق بصفوفنا قد سقط في ميدان الشرف، فكثيرون هم الذين لم يعودوا يؤمنون بالنصر من جراء خيبة الأمل والضياع الناجم عن النقائص وقلة التفهم.

وكانت نتيجة هذا الخطأ ما يلاحظ في صفوف الطلبة من تحفظ على الالتحاق بجيش التحرير الوطني.

ويتسم عمل قيادة الخارج على الصعيد الدبلوماسي بديماغوجية إجرامية ففي الوقت الذي يتهم عمرأو صديق بالخيانة العظمى نجده على رأس وفد في زيارة للصين.

إن الشعب والجيش لا يمكن أن ينسيا هاته الإهانة التي ألحقت بشهدائنا، ومن العبث تعداد التصريحات المتناقضة والمضرة والتي تثير الغضب، وكانت نتيجتها المباشرة مزيدا من الضرر بقضيتها، فلنذكر على سبيل المثال شعارات مثل: "البترول لن يمر" في حين أنه بعد بضعة أشهراحتفل (دبري) وأصدقاؤه بتوصيل أنابيب البترول إلى بجاية!

ولا تتحرج الحكومة المؤقتة، عشية انقلاب مناهض للثورة في الجبال، من التأكيد بنوع من اللاوعي الجنوني على إرادة الشعب بمواصلة النضال عشر سنوات أخرى، لكن الخيانة الصارخة نلاحظها في الميدان العسكري، لأن جميع المجاهدين يرونها ويشعرون بها.

ففي1957 ولم يكن خط موريس قد مد بعد، لم نستطع أبدا الحصول على الأسلحة التي كانت تتعرض للتلف بمخازنها في الشرق والغرب (*)، لقد كان الحصول على الأسلحة وتوزيعها يتم لصالح الولاية الخامسة، التي كان قادتها يمنعون عبور وحداتنا المكلفة بنقل السلاح بحجة أنهم يتكفلون بالنقل بأنفسهم.

وبالفعل كانت آلاف القطع الخفيفة والمدافع الرشاشة الموجهة إلى جبال الوسط، تضيع في الطريق، هذه القضية الخطيرة المتمثلة في السرقة أثناء الحرب، لم تر النور أبدا رغم كل مساعينا وقد كان هذا العمل الاجرامي سببا مباشرا في موت آلاف المجاهدين العزل من ولايات الوسط، وآلاف من الشباب الذين ذهبوا إلى تونس بحثا عن أسلحة سرقها منهم وحوش مجرمون، هؤلاء الوحوش المجرمون هم قادة الولاية الخامسة بالأمس

(*) يقصد تونس والمغرب – الناشر.

بوصوف وبومدين والذين يمسكون اليوم بمقاليد الأمور في الحكومة المؤقتة مع شركائهم كريم بلقاسم وعمر أوصديق .

وقد التزمنا الصمت لحد الآن حفاظا على وحدة الثورة، وعلى أمل أن يزول هذا المرض، وأن ينهض رجال نزهاء لتصفية هؤلاء المغامرين، وما زلنا لحد الآن نتحفظ على كشف بعض المظاهر وبعض الحقائق المنافية للأخلاق والتي تعني الغاصبين المقيمين بالخارج، لكن السكوت في الساعة الراهنة يعني المشاركة في الخيانة التي تخرب ثورتنا، لقد تفاقم المرض وكل تأخر من شأنه أن يقلص من حظوظ حماية الحقوق التي اكتسبناها طيلة خمس سنوات من التضحيات .

فالماضي السياسي الغامض لبعض الخونة في الخارج وميولهم السياسية الحالية وأساليب الخيانة التي استعملوها للوصول إلى غاياتهم، بالإضافة إلى الموقف الراهن للشيوعيين الجزائريين بالتنسيق الكامل مع الحكومات الاشتراكية أو شبه الا شتراكية كل ذلك لا يمكن إلا أن يثبت قناعتنا في هذا الصدد. لقد بسطت المادية الملحدة رقابتها اليوم على المنظمة الخارجية هذه المادية المغرضة المنافقة التي قاومها العديد من الشهداء، لقد نبهنا في كثيرمن المرات إلى محاولات تفريغ الجبال من قبل الشيوعيين، وبعد القضاء على هذه المحاولات في المهد أبعد المناضلون الحمرأو المتعاطفون معهم إلى الخارج، وقد كشفت عملية وقف استنطاق مناضل شيوعي تسلل إلى صفوفنا فيما بعد النقاب عن أساليب الشيوعيين وتعليماتهم وأهدافهم: التشويه المنظم لسمعة إطارات الجبهة وسياستها، وضرب معنويات المجاهدين، والإضعاف المادي لجيش التحرير بمختلف الوسائل وحتى بتسريب معلومات إلى العدو إذا اقتضى الأمر، المهم هو تحقيق هدف تخريب الثورة من الداخل، وتمكين العناصر الشيوعية من الوصول إلى مراكز القيادة كأمر ضروري في نظر الجماهير، وبعد فشل هذا المخطط في الداخل اتجه الشيوعيون إلى الخارج حيث نجح مشروعهم في اتجاه الرأس المتعفن الذي يبدو سهل المنال.

لقد استطاع قادة العصابة الحالية تحييد كل معارضة والظهور بمظهر المدافع الصالح عن القضية الجزائرية، وذلك بتوظيف غضب البعض تارة وجهل البعض تارة أخرى، وايقاع آخرين في الخطإ، وخنق الرجال النزهاء بواسطة تشويه سمعتهم.

وفي الساعة الراهنة وبعد معرفة وسائل وأهداف الثورة المضادة ومصدرها الحقيقي، يحق أن نتساءل عن الأسباب والظروف الدقيقة لتصفية بن بلة وبن مهيدي، وعبان وبن بولعيد وغيرهم من المسؤولين الذين اختفوا في ظروف غامضة .

إن كفاحنا وانتصاراتنا لم يكن ممكنا إلا بفضل الاندفاع (الصوفي) لشعبنا المهدد بالمسخ، وثورته من أجل الحفاظ على التقاليد المداسة وبعث لغته المحاصرة ودينه المشوه

وشرفه المدنس، لكن بعد خمس سنوات من الكفاح العنيف والتضحيات الجسيمة ها هو الشعب الجزائري وجيش التحرير مهددان مرة أخرى من طرف الأمبريالية الجديدة الملحدة التي وضع مرتشو المنظمة الخارجية أنفسهم في خدمتها .

إن هذه الأمبريالية لا تقل خطورة عن سابقتها لأنها تستهدف أيضا الخضوع إلى قوى خارجية بل ربما كانت أخطر لأنها لا ترمي إلى استبعاد الأجسام وحسب بل كذلك إلى خنق النفوس وكل القيم الروحية.

ان جزائرنا الشهيدة المنهكة بضياع خيرة أبنائها الذين سقطوا تحت ضربات الخيانة، لن تلبث أن تسقط فيما يعانيه الشعب العراقي البائس حاليا من تمزقات وجرائم، فالكفاح النفسي مهم في الحرب التي تخوضها وكل ثوري عليه أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار، لا سيما إذا كان يتحمل مسؤوليات كبيرة، فأعمالنا وتصرفاتنا وأقوالنا ينبغي أن تكون مدروسة وموجهة بالمبادىء المقدسة للثورة .

فكم من الجزائريين وجنود جيش التحرير الذين أنزل بهم شديد العقاب رغم مواقفهم الشجاعة أحيانا، لانهم حادوا عن مبادئ الأخلاق، أو ضعفوا في القتال أو أضاعوا سلاحهم أو ارتكبوا أخطاء في التقدير كانت سببا في موت بعض الإخوان لكن ما أكثر ما حاد الغاصبون بالخارج عن مبادىء الأخلاق والشرف والثورة .

إن الجيش الفرنسى رغم قوته الجبارة وأساليبه اللاإنسانية لم يلق من الأذى بجيش التحرير طيلة خمس سنوات، ما ألحقه به خونة الخارج في سنة من التسيير المدمرة، وعليه فإن هؤلاء الأشخاص يستحقون الموت والخزي الوطني .

ان عدالة الشعب ستعرف عاجلا أو آجلا كيف تقتص من هؤلاء المجرمين، وهناك بلاء آخر خطر ينبغي التنديد به يكمن وراء هؤلاء الخونة للأمة، لأنه يدعم ويغطي ويزكي الأعمال الشريرة الصادرة عن الغاصبين أعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وهذا البلاء هو من صنع أفراد أو حكومات أجنبية تدعي أنها شقيقة لنا في العرق والدين، وتزعم أنها صديقة لقضيتنا، لكنها مع ذلك شاركت بطريقة أو بأخرى في المؤامرة الكبرى على الثورة بسبب ترددها وعلاقتها الاقتصادية والدبلوماسية مع فرنسا، إن أعمالهم أو قلة أعمالهم الإيجابية تكذب أقوالهم، إن تضامنهم ليس في المستوى الذي تفرضه عليهم صفتهم كعرب وكمسلمين في حالة الجهاد .

لقد أصبح كفاحنا مجرد وسيلة للبروز أمام الرأي العام وتكوين شخصية ومكانة دولية لكسب تعاطف الشعوب.

إنهم يتباكون على بؤس ومعاناة الشعب الجزائري في الصحافة والاذاعات، لكن لحد الآن مازال الشعب الجزائري الشهيد يكافح وحده أعظم دولة استعمارية

ومسيحية في العالم، ليس في سبيل تحرره فقط، بل من أجل شرف الشعوب العربية والإفريقية ونهضـــة الإسلام، مقدما بذلك درسا لمجاهدي الصالونات. وأبطال المآدب وحفلات الاستقبال...

إننا لم نعد نقبل أن يظل المليون من شهدائنا مجرد شعار إ شهاري، والآن وقد فقعت الدملة من العبث أن نتوقف طويلا عند الادانات، فما وقع وقع، ويتعين علينا أن نفكر في الوسائل والأسلوب الذي ينبغى اتباعه لإيجاد مخرج من المسدود الذي أوقعتنا فيه السياسة المدمرة للحكومة المؤقتة .

ومن الأكيد أن العديد من مقاتلينا ومناضلينا يتساءلون مثلنا في الوقت الراهن عن تحقيق أهدافنا ، ترى ما هي وسائلنا بالتحديد؟ هل يمكن أن نطلب بمثل هذه الوسائل مزيدا من الجهد من الشعب ومن جيش التحرير الوطني؟ وإلا فما هو الطريق الذي ينبغي اتباعه لضمان وترقية حقوقنا في تقرير المصير المعترف بها لشعبنا؟

إن قادة الجيش بالداخل كانوا دائما على أتم الاستعداد لمواجهة العدو حتى في الساعات الصعبة من كفاحنا ، رغم قوة العدو الضخمة، والخيانة الداخلية والخارجية.

فسمعة الجزائر الشهيدة، ومصلحة الأمة العليا ، هي القضية الوحيدة، والهدف الوحيد لجهود هؤلاء الصحفيين.

إن اطلاعنا على واقع الأمور وبصفتنا مسؤولين على المجاهدين، لم يعد يسمح لنا أبدا أن نضحي بعد الآن بجزائري واحد، وبناء عليه ينبغي أن نوقف المعركة العسكرية فورا وندخل المعركة السياسية خدمة للمصلحة العليا للشعب والجيش. وفي الوقت الراهن فإن موقعنا يسمح لنا بمعرفة ما يمكن إنجازه وما مدى تأثير التصريحات التضامنية الصادرة عن جماعة الخارج والبلدان الصديقة. ومن الواضح أن النظام الاستعماري القديم هو بصدد الزوال من على سطح المعمورة كلها. ومن المؤكد أن جيش التحرير الوطني ساهم بقدركبير في ذلك .

وهناك استعمار آخر لا يقل خطورة ونذالة عن الاستعمارالقائم، لأن يراهن على الشهداء وعلى بؤس الشعوب وآلامه، وهذا الاستعمار يتمثل في ديكتاتورية البدع والطمرح المريض المموه بضرورات كاذبة كالوحدة العرقية والأيديولوجية أو الدينية والتي تؤدي في نهاية الأمر إلى نظام سياسي أساسه عبادة الشخصية والعقم الاقتصادي والاجتماعي أي إلى حرية وهمية واستقلال مستلب.

لقد عانينا كثيرا لهذا يجب أن نعمل على تهيئة الظروف المواتية لنجعل من وطننا قوة حقيقية، وبديهي أن قوة أي بلد يطمح إلى الاحترام وتبوؤ مكانة مرموقة بين

الأمم، لا تكمن في الخطب الجميلة ولا تتوقف على بضعة أسراب من طائرات الميغ وإيليوشين السوفياتية، إن القوة الحقيقية تكمن في المقدرة على مواجهة مختلف المشاكل التي تطرح نفسها على كل بلد مستقل.

القيادة، التنفيذ، مواجهة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، في كل هذه الميادين ستعرف بلادنا، نظرا لموقعنا الاستراتيجي وثرواتنا الطبيعية وقضية التعايش بين الطوائف، عددا من التحولات والتطورات المعقدة والعاجلة لذا يتعين علينا لمواجهة هذه المصاعب أن نكوّن عددا كبيرا من الكفاءات لاحتلال المناصب السياسية والتنفيذية في جميع فروع النشاط الوطني، وستكون مرحلة التكوين والتربية أشد مرحلة من معركتنا السياسية، ويجب أن نحرص في هذا الصدد على وضع برنامج تكوين للإطارات السامية والتقنية تستفيد منه الشبيبة الجزائرية بمختلف فئاتها الاجتماعية، وفي نفس المرحلة علينا أن نحرص كل الحرص على وضع الكفاءات في مواقع تحمل المسؤولية في مختلف أقسام إدارة البلاد، بدون تمييز سياسي بين هذا وذاك، إنها مهمة صعبة تستوجب طول النفس، وتعبئة جميع الوطنيين سواء كانوا داخل التراب الوطني أو خارجه :

ولا شك أن النجاح سيكون حليفنا إذا تمسكنا بوحدتنا وبالثقة المتبادلة بيننا.

إن سلوكنا اليوم مثل الأمس نابع من المصلحة الحقيقية للشعب الذي عانينا في سبيله معاناة كبيرة، هذا هو طريق العقل، طريق الحرية الحقيقية والسيادة العملية على الصعيدين الوطني والدولي .

22 مارس 1960 (*)

سي لخضر بوشمعة

الولاية الرابعة

(*) الرسالة محفوظة في أرشيف الثورة، والنسخة الأصلية موجودة لدى الكاتب - الناشر.

الملحق : 02

تأثير ضباط المكتب الثاني من خلال عمليات غسل الدماغ

هذا الملحق يحتوي على رسالتين بعث بهما السيد عمي عبد القادر، الأولى إلى قيادة الولاية الرابعة أي إلى السيد سي لخضر بورقعة والثانية إلى صديقه خالد .

في الرسالة الأولى يحاول الجندي عمي عبد القادر أن يبرر وجوده ضمن «الخدمة العسكرية» داخل الجيش الفرنسي بعد إلقاء القبض عليه خلال المعركة.

والرسالة الثانية تثبت (حسب اعتقادنا مدى نجاح المكتب الثاني في عملية غسل الدماغ، بحيث نلاحظ، من خلال الرسالة التي بعث بها عمي عبد القادر إلى صديقه سي خالد، كيف تراجع كاتب الرسالة عن مبادئه وندم عن مشاركته في الثورة . .

وللقارىء وحده أن يحكم من خلال الرسالتين - الناشر .

الرسالة الأولى :

إلى الإخوة في مجلس الولاية الرابعة 04

أو في مجلس الناحية 02 الولاية 04

الاخوة الأعزاء

بعد تتبعي لإضراب الجوع الذي جرى تنفيذه فى 1956 من قبل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين «U.G.E.M.A».

التحقت بصفوف جيش التحرير الوطنى في بداية عام 1957 وقد اشتغلت تدريجيا : جنديا في الكتيبة "حمدنية" وكاتب قطاع ثم كاتب منطقة وكاتب ناحية وأخيرا كاتب الولاية الرابعة في الوقت الذي كان على رأس قيادتها الوجه القديم الذي ظل محفورا في ذاكرتي العقيد سي امحمد. وأثناء هجوم 59 الشهير كان العقيد سي امحمد قد سقط فى ميدان الشرف تمكنت من أداء مهمتي الشاقة التي لم تسلم لي من قبل مسؤولية تماثلها: وهي الحفاظ على مجموعة مركز حراسة الولاية 4، وإنقاذ العتاد "TRANS" وكذلك وثائق مركز القيادة 45 وأربعين مليون فرنك كان قد عهد بها إليّ الشهيد سي امحمد الذي كان وقتها قائد الولاية ، وأثناء الاشتباك مع القوات الاستعمارية لقي الملازم الأول الاخ عبد النور الناحية الأولى ، الولاية الرابعة الشهادة في غمرة بطولة نادرة وأسر جنديين فرنسيين بمركز قيادة الولاية الرابعة (انظر المراسلات

الموجهة إلى C.O.M الشرق سنة 1959) وكان أحدهما قد توفي والثاني جرح، كما صدرت الينا الأوامر بقتلهما لمجرد حدوث أي اشتباك مع العدو في ذلك الوقت كان عمري لا يتجاوز سبعة عشر سنة.

بعد تجاوز هذه الوضعيات الصعبة وأداء مهامي فيها كاملة تقدمت بسرعة بطلب للقائد سي محمد ليعفيني من مثل هذه المسؤوليات وينقلني لأداء مهمة بالقطاع الثاني المنطقة الثانية الناحية الثانية، لكن بعد سبعة أشهر من ذلك وفي 20 فبراير 1960 على التحديد وقعت أسيرا على بعد كيلومتر واحد شرق (المدية) حيث انفجرت عبوة ناسفة 75 على بعد مترين مني أثناء الاشتباك فأدت إلى إحداث جروح خطيرة بجمجمتي ووجهي حيث مازالت آثارها شاهدة إلى اليوم.؟

أوافيكم بهذه التدقيقات الصغيرة والتي ربما تبدو لكم جزئية جدا لكنها ذات قيمة في إبراز الأسباب التالية:

1 - لقد راجت ادعاءات بأني لم أسجن ولكني لجأت إلى العدو وذلك ليس صحيحا ! وبإمكاني أن أثبته بالطريقة الآتية :

أ - أن مناضلة قديمة تدعى (الحضرية) عمرها ستون سنة تقريبا جرت الاشتباكات بقربها بإمكانها تقديم صورة للأحداث والظروف التي أسرت فيها إنها مازالت على قيد الحياة والحمد لله توجد حاليا بالبليدة.

ب - كنت جريجا في غرفة الانعاش، بعدها جرى نقلي إلى مستشفى المدية وعالجت عدة أيام كما رآني عدة مناضلين وبإمكانهم أن يشهدوا على الحقيقة .

ج - بعد خروجي من المستشفى نقلت إلى الزنزانة، عذبت وأهنت أكثر من شهرين وتمكنت من داخل زنزانتي الاتصال بعدد من الاخوة السجناء مثلي من بينهم: سي علال مختص (تقني) سابق في"TRANS" الاتصالات السلكية بمركز قيادة الولاية الرابعة والذي نقل بعد ذلك إلى سجن وهران ومازال على قيد الحياة بفضل الله وبإمكانه أن يوافيكم بصورة عما كانت عليه حالتنا النفسية والجسمية .

بإمكاني أن أزعم أن نهايتي في الجهاد كانت مشرفة ومنضبطة وشجاعة أيضا . كان عمري 18 سنة فقط لما استشهد رفيقاي وغنمت بندقية مات 49 من على جثة قومي سقط على مقربة مني، لم أضعف لحظة واحدة لقد قاتلت طويلا وحيدا ضد قوة مدمرة إلى أن حطمت الدبابات البيت الذي كنت فيه وسقطت فاقدا الوعي تحت الأنقاض.. لقد نجوت بأعجوبة.. وقاتلت إلى آخر رمق وأنا اليوم معتز بذلك، إن هذه الذكرى الغريبة المثيرة لهي فرحي الوحيد المتبقى في هذا العالم ولا حق لأحد أن يعرفه...

لاحق لأحد أن ينزع مني هذا الخير. فبعد إيقافي طيلة شهر ونصف الشهر مدة التحقيق في المكتب الثاني لم يحدث أيّ شيء في القطاع الثاني ولا الناحية الثانية فكل ما أعرفه ما فتيء على حاله، إن إخوة آخرين جرى إيقافهم في نفس الناحية ونفس القطاع من بينهم بشير(R.L.R.2.Z2) القائد السابق للناحية الثانية المنطقة الثانية والنقيب السابق عبد

اللطيف وبما أنهم كانوا مسؤولين كانوا يعرفون بدقة برنامج قطاعي وكل المنطقة والناحية، فإن ثمانية وأربعين ساعة لاحقا كان هناك تدخل عدواني بشع ليس فقط بالقطاع الذي كنت فيه ولكن أيضا بكافة الناحية حتى أن المصالح التي لم أكن أعرفها جرى كشفها بما في ذلك مركز قيادة المنطقة الثانية ومركز الذخيرة بالناحية، ومركز الملابس ومركز قيادة القطاع الثالث وأن أسلحة أجهل شخصيا وجودها غنمها العدو(F.M لدجباسة سلمها بشير) انه من الواضح توجد في مفترقات قاعدتنا التحتية بعض الأسرار وبعض المنغرسات التي لا يعرفها القطاعي وعليه لا يمكن أن يبوح بها تحت أثر التعذيب...

لقد اتبع المكتب الثاني أثناء استغلاله تلك المعلومات إجراءات "ماكيافلية" بهدف زرع الشك والغموض في الأذهان بحيث كان يحملنا إلى الأماكن مغلولي الأيدي بادين للعيان لكي يرانا المواطنون في الوقت الذي يخفي فيه بدقة مخبريه الحقيقيين لأنه ما زال في حاجة إلى معلوماتهم أما أنا بوصفي معروفا من قبل كل المدنيين بما فيها منطقة العملية أبدو وكأني بحت بكل شيء بل ودليت المحتلين على ذلك المكان وغيره أما بقية نسج مثل هذه الدعاية فسهل تصورها .

إن ضميري مرتاح، وقلبي في أمان على العكس من البعض الذين أسروا وانهاروا (لضعف أمر إنساني) فكانوا سببا بما أباحوا به من أسرار ومعلومات في استشهاد عدد من الإخوة أو تحطيم قاعدتها التحتية (الأساسية) .

أما فيما يخصني فقد احترمت حرفيا ما عاهدت عليه أمام العقيد سي محمد سنة 1959 عندما أقسمت :

"أقسم بالله وبكتابه الكريم... أن لا أفشي السر ولو في الممات "وبفضل الله تعالى لم أعط أية معلومة صحيحة للعدو لذا فأنا معتز بذلك ولي حججي الدامغة .

كيف تفسرون الذي جرى بعد أسري بالقطاع الثاني في الناحية الثانية بحيث أن عددا من الأشخاص الذين أعرفهم والمنتمين إلى المنظمة المدنية في القطاع 2 والناحية 2 لم أبح بأسمائهم ولم يوقفو...؟ ذلك لأنني كنت الوحيد الذي يعرفهم وأعني بهم: نور فضيل خبير جهاز راديو لاسلكي بالمستشفى العسكري بالمدية وزوجته وابنته وكل عائلته التي تمثل أهم مصدر للأدوية والمعلومات بالنسبة للقطاع الثاني وكذلك محرور محمد عامل في مخيم الصنوبر مخبر القطاع الثاني، والممرضة الأوربية الشيوعية بمستشفيالبليدة وممرضتان أخريتان مسلمتان إحداهما تسمى (هدى) هؤلاء هم الذين يزودوننا بكميات معتبرة من الأدوية وبالأجهزة إلخ... إن الأشخاص الذين جئت على ذكرهم الآن مازالوا على قيد الحياة وفي نفس الأماكن وبإمكانهم أن يدلوا بشهاداتهم، لقد نجوت بأعجوبة من الموت والأغتيالات التي كانت تهدد كل سجين في أقبية المكتب الثاني، وضعوني في مركز إقامة طيلة أربعة أشهر و بعدها خيروني بين أداء الخدمة العسكرية وبين البقاء في السجن فاخترت الخدمة العسكرية ظنا مني بهذه الطريقة أن أكون نافعا لبلدي، أن رجلا ميتا أو سجينا لا ينفع في شيء. بعد أشهر

قليلة أحالوني على R.I 6eme فوضعت مخططي وحددت أهدافي: بأن أقتل بعض الضباط المسؤولين على جرائم الجيش الفرنسي وألوذ بالفرار، أو بكل بساطة أفر بأسلحتي وأهرب معي كمية وثائق هامة من المكتب الثاني بل لقد دخلت فعليا في عملية اتصال مع أحد الإخوة الذي صار من أشد الأعزاء علي ومازلت إلى اليوم أحتفظ برسالة منه يمكن أن أعدها وثيقة... وهو سي خالد L.R.2 الذي سقط في حقل الشرف بالبليدة.

لكن هنالك عامل لم أضعه في الحسبان... وهو أني كنت معروفا بدقة من قبل المواطنين وأن ارتدائي زي العـدو جعل لغو العامة وإشاعاتهم في تناقض وتعددت الأقاويل حول شخصي ووضعيتي.

إن استشراء هذه الإشاعات كان في وقت لا يملك فيه جيش التحرير معلومات دقيقة عن الحقيقة الكاملة، وهذا من شأنه أن عمل على تأكيد ما كان يشاع ويدعم المعلومات التي وصلت إلى جيش التحريرأثناء عمليات العدو في القطاع الثاني حيث أعلنت بصوت عال: «فإذا كان هذا ما تصوروا في القطاع الثاني فإنني من الآن سأتحول إلى الجهة الأخرى» وهي تقريبا الأطروحة التي يملكها جيش التحرير عني، ومن ذلك الوقت ظهرت فكرة الانضمام التي قلتها بأعلى صوتي، ومنذ شهر تقريبا وقع خليط من الكذب والنقمة علي ووضع مخطط لتصفيتي جسديا وأخشى ما أخشاه رغم كل الذي تحملت وأديت من أعمال جليلة أن أغتال دون أن تكون لي فرصة تبرير ساحتي والدفاع عن نفسي وشرح ما جرى بأنه قد وقع لبعض الذين سبقوني.

ان بعد الاستشهاد البطولي لسي محمد وخالد لم يفصل أي شخص بإمكاني أن أثق به حقيقة، باستثناء سي لخضر(*) قائد الولاية والذي أعرفه جيدا وأقدره كثيرا. إني حائر النفس منهوك مثبط العزيمة لا سلوى لي إلا البكاء في صمت على فراش بالليل، لقد بقيت على هذه الحالة البائسة 18 شهرا طيلة الخدمة العسكرية، ورأيت إخوانا أعرفهم جرى اعتقالهم، رأيتهم في نفس الظروف النفسية كالتي كنت عليها في زنزانتي، لم أستطع أن أقدم لهم معونة بل كنت شغوفا لأرى كيف كانوا يتصرفون...

هذا ما يؤرقني فعلا في وضعية كهذه، أن كثيرا منهم ضربوا وطرحوا أرضا.. ومن أجل إنقاذ حياتهم (وهو أمر إنساني لا ألومهم عليه) أدلوا للعدو بمعلومات كانت سببا مباشرا في قتل كثير من الجنود وتدمير منظمتنا وقد قلت بشأن هؤلاء ما كنت أفكر فيه فأفرغت ما كان بقلبي، لكن طيلة الوقت الذي كنت فيه عسكريا حافظت على كرامتي وحددت مبادئ والتزمت حدودي فبقيت منضبطا، إذ لا أحد بإمكانه أن يحي إلا بإذن الله، لم أكن سببا في موت أحد بعون الله. لم أنهب ولم أسرق ولم أغتصب بعون الله، لم أدس على حدود الله...

(*) يقصد سي لخضر بورقعة صاحب هذه المذكرات - الناشر.

نظرا لذلك ولوضعيتي تمكنت من أداء واجبي تجاه الشعب، هذا الشعب الجزائري الصغير الذي قاسى أكثرمن شعوب العالم كلها وتحمل تبعات أخطائنا كلها. له وحده الحق في الإشفاق علي، هذا الشعب وحده يستطيع أن يملي علي خدماته وأكون له خادما لأنه يستحق ذلك عن جدارة وهو الأولى به من أي كان في العالم. تجاه شعبي أعتقد أني وفيت واجبي.

أطلق سراحي في 30 نوفمبر 1961 بالتدقيق وإثر ذلك باشرت العمل لإعالة والدتي التعيسة التي تعمل هي بدورها لإطعام صغارها لقد سرى فى نفسي الأمل بعد الاعلان عن توقيف القتال ولم أتوقف عن محاولة الاتصال بمسؤول الولاية أو بمسؤول الناحية لكي أشرح له كل ماجرى لكن قد تجاهلني الجميع كما لو كانوا يحذرون جانبي أو لم يعرفوني جيدا وفي يوم 12 جوان 62 جاء ستة أشخاص مسلحين إلى بيتي حوالي الساعة 10.30 ليلا وبعد أن فتشوه بدقة انصرفوا، وبفضل الله تعإلى كنت غائبا ليلتها. إن مثل هذا التصرف لم يكن مضمون الجانب وإني الآن كما لو كنت سابقا وانتهيت إلى قناعة بأن لا عدالة في هذا العالم، أفكر الآن في الذهاب إلى فرنسا بأمل الالتحاق بالمعهد العسكري بستراسبورغ إذ بإمكاني نظرا لمستواي التعليمي وعلاقاتي الشخصية خلال سنة إن شاء الله أن أصبح ضابطا عاملا، كما آمل في الالتحاق بعد ذلك بالجيش الجزائري لأني أعتقد أن الأشياء ستتراكم وستكون الحكومة الجزائرية في موقع صلب . لم يعد بإمكاني ملاقاة أحد، كما كان يتهيأ لي قبل اليوم، لقد حقرت وأصبحت أخشى أن أموت في لا مبالاة تامة رغم أني بريء وأترك أسرتي وحيدة في هذه الحياة لا أحد يعيلها ماديا أو معنويا. لقد فقدت الثقة بالجميع ولم أعد أصدق أحدا إلا الله .

لم تعد هناك عدالة ولم يعد هناك أمل إن هاجس الهجرة يعذبني وقد أبكاني ليال بأكملها.

أدعوكم بكل بساطة أخوتي أعضاء مجلس الولاية أن تراسلوني في أقرب وقت ممكن وتعربوا عن رأيكم فى شخصي وفي شهادتي التي قدمت وأرجو أن تمنحوني تاشيرة مرور إلى تونس إذا أمكن لأني على أتم الاستعداد للتخلي عن موضوع التحاقي بالمدرسة العسكرية وأذهب إلى تونس... وهناك سأكون مستعدا لأي موقف ولو كان الحكم بالإعدام شريطة أن أكون هناك، لأنه يتهيأ لي أن الأمور بتونس تسير في اتجاه أكثر عادية وأرغب في أن يشار على خطتى بالالتحاق بالمعهد العسكري إن سلبا أو إيجابا وأفضل أن يشجعوني عليها.

ذلك كل ما لدى أن أقوله
وأدعوكم لأن تتقبلوا عواطفي الثورية وإخلاصي العميق
أخوكم عمى عبد القادر

الرسالة الثانية :

أخي - العزيز خالد

إني لفي وضعية تدعو إلى الحيرة، في وضعية لم يدر بخلدي أن أتصورها، انه لأمر خارج حدود التفسير، أحس بأني بعيد عن الندم الذي كان يجب أن يعتريني .

لكي أتحدث طويلا معك أعتقد أن ذلك مرده إلى الصداقة التي بيننا، فأنت الوحيد الذي كنت أتجاذب معه أطراف الحديث ونتبادل وجهات النظر بكل إخلاص، وإن وضعيتي الحالية تجري محاكمتها بشدة في أوساط المجاهدين وتنتقد ، ومهما كان الأمر فقد أحببت دائما أن أكون رجلا حرا، رقد قاتلت من أجل ذلك، ورغم سني فإن وضعيتي الحالية بعد موازنتها وبحثها قبلتها من نفسي، والشيء الوحيد الذي يمكن أن يؤثر علي إنما أنت الذي كنت وما تزال صديقي بل صديقي الحقيقي. لك أن تحاكمني كالآخرين. إن جملة من العوامل والغرائز التي يصعب شرحها والتي سأعلق عليها لك أنت دون سواك نظرا لحجم الود الكبير بيننا أرجوك لا تمزق هذه الرسالة اقرأها موضوعيا أعد قراءتها مرة أخرى وحاول أن تفهمني وأنا على يقين أنك ستفلح .

أنت تعرف ما هي الأفكار والمثل العليا التي دفعتني إلى الالتحاق بالجهاد هذه المثل التي مكنتني من تحمل أعباء ثلاث سنوات جهاد لم تكن كلها سهلة، تحملت فيها تضحيات جسام .

مازالت هذه المثل معي إلى اليوم فقد تغيرت الحالة العامة ستبدو لك رسالتي هذه ممجوجة لأن لي فيض من الأفكار والأشياء، أود شرحها لكن يصعب ذكرها بانتظام. إن حياتي الثورية تعرفها ولا داعي لتذكيرك بها لقد كنت مخلصا وشابا متعصبا قاتلت حتى الدقيقة الأخيرة بل بفكرة الموت، ثم لحظة غريبة حد الإثارة لا تصدق انتابتني لقد رأيت نفسي أضيع وحدي وأقاتل قوى مدمرة تلبستني فكرة الموت حتى كدت أنسى وبقيت على مبدإ واحد هو القتال القتال حتى النهاية .

من هنا بدأت الأمور عندي. لم أمت، إن آخر نظرة كانت لدي هي رؤية دبابة تطلق النار ولم أنتبه بعد إلا وأنا ممدد على فراش في المستشفى يغمرني ضباب كثيف في عالم شبه مفارق (جد غريب).

إذا تهوسنا بفكرة الموت من الصعب أن نلقى أنفسنا على قيد الحياة، إن شيئا تكسر داخل الذات وتلاشى فنتحول على أثرها إلى سلبيين وشبه سعداء لا نسترد ارادة الدفع إلى الأمام، لقد عشت أياما في شكل من السعادة الحيوانية غير واع، كما لو

كنت مخدرا إلا أني كنت على يقين من شيء واحد... شيء ما تدمر في نفسي لا أعرفه أظنه أمرا إنسانيا ولقد تحدثت مع جرحى آخرين عن هذه التجربة ووجدت لديهم نفس الانطباع، وذات صباح كان علي أن أغادر المستشفى، لكن إلى السجن، معافى نعم لكنني سجين، هي مجرد كلمة لكنها تعني أشياء عديدة، وتجربة جديدة لعلها الأقسى. لقد تحولت في الأيام الأولى من سجني إلى نوع من حيوان فضولي يأتيه الناس للفرجة والملامسة تقريبا ثم تتهاطل علي الأسئلة ثم الأسئلة ودائما أسئلة إلى حد لم أعرف معه الراحة إن وجوها من حولي منحنية علي وعيونا وآذانا صاغية تسجل دائما دون انقطاع، حقا لحظات مقرفة ربما بسبب العزلة الكبيرة التي نعيشها لقد لعبت فيها الورق الذي يبدو لي أكثر أولوية من غيره، وتحدثت، آه ليس بطبيعة الحال كثيرا، عن معلومات عامة يعرفها المكتب الثاني حق المعرفة أكثر مني تحملت 15 يوما ، برئت خلالها جراحي وأقبلت على الحياة بشهية لكن تغيرا غامضا وقع في بداية هذه المدة ثم بدأ يتطور مع الأيام ومن وقتها تضاءل إحساسي بأني سجين، طبعا أن أفكاري ظلت دائما معلقة داخل نفسي لكن المأساة هي هذا المصير الذي أخفق ، بكل تأكيد فإني لا أقاسمهم أفكارهم، لكن الحياة عادت، إلى مجاريها الطبيعية وبدأت أشعر أني في وضعية تكاد تكون جيدة بل أن حياتي أصبحت على قدر من القيمة التي لم تكن لها من قبل، أصبحت سعيدا بالحياة والفضل في ذلك يعود لله الذي أنقذ مصيري من الهلاك بحيث لم أعد أرغب في العودة إلى الجهاد فرغم أن بإمكاني الهرب لم أفعل ربما الارهاق والتعب أخذا مني مأخذهما لا أدري، كل ما أذكره أني راغب في الحياة أراني أتحدث كثيرا عن الجزئيات لكني حريص لأن تفهمني لأن هذه الأمور من الصعب كتابتها ، نعانيها (نحسها) وكلما حاولنا التعبير عنها تبدو لنا فقر الكلمات التي هي عاجزة عن حمل كل أفكاري من منطلق تلك اللحظة وجدت نفسي تقريبا حرا إلى أن تحققت هذه الحرية كاملة اليوم، إن الأحكام التي أتحمل تبعتها ، إنما التي أطلقها على نفسي، وقد جاءت هذه الأحكام وحدها فرحة بهذه الحرية المنقوصة . حرية روحية، لقد تمكنت من رؤية أشياء كبيرة تأكدت منها بمحض الصدق لم تكن مزيفة ولا مموهة، لست ادري هل أحسنت التعبير عن فكري، بل أرجو أن تتيقن بأن هذا التطور الذي جاء بطيئا لم يكن بتوجيه من أحد بل إنه من صميمي ولكي تفهمني من الافضل أن أعطيك صورة عن وضعيتي الحالية، إن جوهر فكري لم يتغير، بل وجد صيغا أخرى للتعبير، قد يتبادر إلى ذهنك أني تعرضت لعملية (غسل المخ) أو أني مأخوذ بالدعاية الفرنسية (ليست هناك أخوة بيننا وبينهم) كما أني لا أسعى إلى إقناعك بل أترك لك الحكم بعد قراءة هذه الرسالة فأعتقد أنك جد ذكي لكي تكشف من خلال هذه الأفكار أنني لم أتنكر لشيء (لم أخن) ولم أقع في حبال غسل المخ واستمرار الدعاية

الكلاسيكية التي حسب رأيي يمكن مجابهتها بقوة وتفادي تأثيرها، بالنسبة لي فإن مرحلة الوهم جرى تجاوزها وأريد فقط أن أكون واقعيا في إطار الوضوح دون حسابات ومغالطات وأن أعي الأمر بمنطق سليم وحقيقي، إن الثلاث سنوات التي قضيتها في الجهاد بروح المثالي المخلص عشتها بكثافة وتركت في نفسي ذكريات مقابل تضحيات قدمتها بإرادة راضية دفاعا عن أفكاري.

أخشى أن تكون هذه الواقعية غير كافية ومحبطة أيضا.. . أخشى أن تجعل مني مرفوضا... وعنده ما العمل؟ هل لا نقبله؟ أنبتئ منه أم نلغيه؟ وهل في هذه الأحوال لا أكون جبانا؟ ومنافقا نفسي وشعبي؟ ألا يكون هذا الموقف نهاية النذالة؟ هل يكون بعدها لي الحق أن أزعم بأني مجرد رجل موضوعي؟ وأن لي شخصية وأفكارا؟ أعتقد أن هنا يجب أن تتدخل عزتي وأكون في مستوى مسؤولياتي وأتخذ موقفا شجاعا لمجابهة هذا الواقع وأفهم أن تضحياتي أتت بثمارها وأنه من قبيل المحال متابعة الحرب وترك الشعب يشقى ويدفع دون جدوى ثمن الانغلاق السلبي والاشتراك في الجريمة مقابل قائمة الموتى التي تزداد طولا باستمرار. سوف لن أخجل من اتخاذ هذا الموقف بل على العكس. إنني أعتنق مثالا جديدا وأؤدي واجبا عندما أصيح بالحقيقة مناديا كل الشباب أن لا ينطلقوا خلف السراب فيتهورون ويندمون كما ندمت من قبل.

من الأفضل أن أحتفظ بخيبتي وتجربتي التي عشتها والنضج الذى توصلت إليه وأن لا أشرك في كل ذلك غيري كي لا أكون أنانيا أو مجرما.

من ناحية أخرى لا أتنكر لثلاث سنوات قضيتها مجاهدا بل أني فخور بها وأزعم أن نهايتي كمجاهد كانت جد مشرفة رغم رؤيتنا الخاطئة للجهاد لأننا لم نكن نرى إلا جانبا واحدا من الشيء. لقد تحدثت بحرية مع جموع الناس وقد حيرتني أفكار بعض الضباط الفرنسيين، فبعد حوارات طويلة تبين لي بما يشبه الصدق أننا في النهاية نتوصل إلى نتيجة واحدة مع فارق في الأساليب لكن تفضل في إطار الموضوعية أفكارهم تحسن الدفاع عن نفسها، لقد توصلت إلى التساؤل (التالي) هل بالإمكان كما في كل الحروب بشيء من الإخلاص التوصل إلى تفاهم ليس فيما يخص وقف إطلاق النار فقط بل وفي (التصالح) والاتفاق؟.

أنت تعرف أني موضوعي في أفكاري وأقسم لك اليوم أني صادق بعينين مفتوحتين وأمامي فرصة كبيرة لرؤية جانبي الشيء.

أظن أن خمس سنوات في صراعنا الحربي لم تذهب سدى، بل إنها على العكس من ذلك قد حددت النقاط والأحداث في مشكل كان يجب أن يطرح وهنا يكمن فيما أظن تطوري لأن خمس سنوات كافية والأمراليقين فيما أرى هو لابد من صبر كبير وتريث

للوصول إلى تليين بعض المواقف. إن الوضع الحالي لا يمكن معه ربح وقت ولا يجوز الذهاب فيه بسرعة، والعامل الأول في التطور كما نرغب فيه إنما عامل الوقت لأني على يقين إذا ما استمررنا على هذه الوتيرة، فإننا لن نربح بل ستكون الحقيقة يصعب تقديمها وكثير منا لن يفهمها. إن هذه الحرب لن تكون إلا مرحلة أولى أو مقدمة وبفضل القسط الأكبر للإنجاز وعندها ستحتاج إلى إرادة أكبر وتضحيات أعظم، في هذه الزاوية أنظر إلى أولئك الذين سقطوا «استشهدوا»، وإلى كل القيم التي ضاعت لأننا سنكون في حاجة ماسة إليها.

إن المستقبل غيرمؤكد ما عدا موضوع العمل الكبير المطروح للإنجاز، أكرر بأن حكمي يتعلق بهذه اللحظة. وعليه من الأفضل التوقف والانطلاق ابتداء من الصفر. ومهما كان الأمر والنهاية فيجب تحقيق هذا العمل في أقرب وقت ممكن.

هذا كل ما أردت أن أقوله ولك الحكم. لم أغير مواقعي ولكن تطورت فقط في رؤيتي والشيء الذي يهمني هو حبي لرؤيتك ولا أقترح عليك حلا انهزاميا ولكن أؤكد عليك بأن لون الديكور ليس كما أقنعوك بسواده أنظر اليوم كيف أنا حر، بإنسانيتي... ذلك شيء كبير.

أخي العزيز خالد احتظنك أصنع ألف أمنية لكي ألقاك ثانية يوما من الأيام وأشرح لك بصوت مسموع لأني أخشى رغم كل صدق إرادتي أن لا أكون وفقت فيما أقول أو بالأحرى فيما أردت أن أحسسك به، أرجو أن ترد على رسالتي.

عمي عبد القادر SP-87-193-AFN

P.S je ne suis pas militaire

الملحق: 03

مصاليون ينضمون إلى الجبهة ويعترفون بـ...

هذه الوثيقـة احتفظ بها سي لخضر بورقعة ضمن مئات الوثائق التي هي بحوزته منذ سنوات الثـورة، وهي وثيقة نشرت في نشريات الحكومة المؤقتة الصادرة في تونس آنذاك.

الوثيقة هي اعتراف لجماعة من المسؤولين المصاليين الذين غادروا الحركة الوطنية الجزائرية المصالية

«M.N.A» ويعترفون بتعاون حركتهم مع الاستعمار الفرنسي. وبعد هذه الوثيقة تأتي وثيقة ثانية عثر عليها المجاهدون في مكاتب المكتب الثاني وهي تحمل أسماء للعديد من العملاء المصاليين حسب ما قاله لنا سي لخضر بورقعة .

الحكومة المؤقتة

للجمهورية الجزائرية

وزارة الأخبار

تونس

- جمع من المسؤولين المصاليين -

ينضمون إلى جبهة التحرير الوطنى -

"جانفي 1959"

إننا جماعة من مسؤولي «الحركة الوطنية الجزائرية» التابعة لمصالي الحاج قررنا الانضمام إلى صفوف جبهة التحرير الوطني بعد التفكير الطويل مراعاة لمصلحة وطننا المكافح من أجل استقلاله .

لقد اتخذنا هذا القرار ونحن شاعرون بمداه، لكن علينا أن نشرح هذا العمل:

أولا: إلى المناضلين الذين كنا مسؤولين عنهم حق يفهموا المأساة التي كانت تعانيها ضمائرنا، ويرجعوا إلى طريق الثورة الجزائرية الحقة .

ثانيا: إلى الإطارات التي مازالت تعمل داخل "الحركة الوطنية الجزائرية" حتى يعينهم قرارنا على التغلب على التردد الحالي .

وأخيرا: إلى الذين يحكمون علينا من الخارج، والذين أدانونا على عمل لم نتبين أنه ضد مصلحة الشعب الجزائري إلا في الأحداث الأخيرة.

فطالما اعتقدنا أن حركتنا يجب أن تعمل على استقلال الجزائر بالتوازي مع جبهة التحرير الوطني. نعم لقد عرفنا مبكرا تفوق جبهة التحرير الوطني في ميدان الكفاح

المناهض للاستعمار، لكن بدا لنا أن «الحركة الوطنية الجزائرية» تستطيع بدورها أن تساهم في الكفاح .

وكان يبدو لنا أن جبة التحرير الوطني و (الحركة الوطنية الجزائرية) حركتان سياسيتان، تغذيهما مشاعر وطنية، وتقودان معركة واحدة ضد الاستعمار المشترك. وقد كنا نعتقد أن الخلاف الموجود بينهما ،إنما هو خلاف على الزعامة فقط، ولا يتناول أهداف الكفاح ذاتها .

وأول مرة ظهر فيها التشكك داخل المكتب السياسي «للحركة الوطنية الجزائرية» كان بمناسبة قضية "بلونيس" ، عندما علم بعض أعضاء المكتب أن الجنرال «سلان» هو الذي يتولى تسليح رجال "بلونيس"، ومدهم بالمال من ميزانية الحرب الفرنسية ونقلهم في سيارات العدو، وانهم كانوا يحاربون "تحت العلم المثلث" .

آنذاك طلب هؤلاء الأعضاء الإيضاحات اللازمة، فأجيبوا بواسطة "بلهادي" الناطق باسم «مصالي» أن هناك مباحثات جارية مع الحكومة الفرنسية ورفض مصالي أن يحكم على "بلونيس " بحجة أنه يجهل محتوى اتفاقيات "لاكوست - بلونيس".

فاقترح بعض أعضاء المكتب إيفاد مبعوث إلى "بلونيس"، يتولى عند رجوعه كتابة تقريرمدقق عن الوضعية . ولتحقيق هذا الغرض اتصل "بلهادي " أشهر طويلة مع "غي موللي " بواسطة المسمى "لينيك" الذي تبين فيما بعد أنه من قسم الجوسسة.

وأخيرا فهم المكتب السياسي أن الحكومة الفرنسية لا تريد أن يقع الاتصال مع "بلونيس"، وفيما بين ذلك ظهرت خيانة هذا الأخير إلى العموم، إلا أن "مصالي " رفض مرة أخرى أن يحكم على "بلونيس" الذي اشتهر بأنه الساعد الأيمن لمصالي في الجزائر.

آنذاك تبلور مرقفنا داخل المكتب السياسي.

ومنذ 20 أوت عندما شنت جبهة التحرير الوطني هجوماتها الواسعة ضد المراكز البترولية في فرنسا، اعترف بعض إطاراتنا بأن الجبهة تقود حقا كفاحا ثوريا ناجعا. وطلبت تلك الإطارات أن تقوم بالعمل المباشر في الجهات التي توجد فيها «الحركة الوطنية الجزائرية»، وسائلها المسلحة ضعيفة.

لكن الإدارة (أي مصالي وعيسى بن عبد اللي والأمين بلهادي وابن الصيد، إلى حد ما) رفضت معتذرة دائما بحجة الاتصالات الجارية.

وفعلا فإن الاتصالات لم تنقطع مع حكومات: موللي، وبورجيس مّونوري، وغايار، وديغول. وكانت الصحفية "كلود جيرار"، هي التي تتولى الاتصالات مع الديغوليين، و "دي شيزال" يتولى الاتصال مع الحزب الاشتراكي .

وقد بلغ من تدخل هؤلاء في شؤون "الحركة الوطنية الجزائرية" إلى درجة أن(موريس كلافيل) سمح لنفسه بأن يكتب للجنرال دي غول رسالة باسم مصالي، مما أجبر هذا الأخير أن يذكر دي غول أن الناطق باسمه هو (بلهادي) الذي نص على وجوده في باريس.

ثم جاء تشكيل "الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية" فوضع المكتب السياسي في مأزق حرج وأثار أكثر الأفكار تشككا. وطلبنا أن تتخذ الحركة الوطنية الجزائرية" موقفا من هذه الحكومة فتؤيدها أو تعارضها لكن (الادارة) رفضت أن تتخذ موقفا علنيا واضحا قائلة، أن تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، في الواقع هو شيء طيب لا يمكن إلا أن يعين على استقلال الجزائر ، لأنه يترتب عليه تضامن البلدان التي ستعترف بنا تضامنا أكثر فعالية، ولهذا فلو عارضت حركتنا الحكومة الجزائرية معارضة علنية، فإنها توشك أن تقضي على سمعتها (أي سمعة الحركة المصالية) في الجزائر، وفي البلدان الافريقية - الأسيوية .

فطلبنا من الإدارة أن تذكر لنا، ما هي الأسباب والعوامل التي تقتضي وجودنا بعد20 سبتمبر 1958 بوصفنا حركة منفصلة ومعارضة في الواقع للحركة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

ومنذ ذلك الحين اتضحت المعارضة أكبر من ذي قبل. وطلب المعارضون من المكتب أن يحكم على خطاب قسنطينة، لكن مناورات الإءارة حالت دون صدور حكم صريح على خطاب قسنطينة، واختار مصالي أن يختفي وراء تصريح بارد غامض .

وإذا نظرنا إلى الحركة من الناحية التنظيمية نجد أنها جامدة . فكثير من المسؤولين تحطمت معنوياتهم وصاروا يكتفون بجمع الأموال، وتسليمها إلى "مولاي مرباح " .

وكثير من الإطارات مثل: مروك، وبوحافة، ووقواق، أبعدوا لأسباب شخصية وأمور تافهة.

وأصبح التصرف في المال لا يخضع لأية رقابة وطلب بعضنا - بعد أن قضى 18 شهرا في السجن مناقشة التقرير المالي. لكن لم يستطع أي أحد من الذين كانوا مسؤولين عن المالية أن يقدم هذا التقرير المطلوب .

وأمام هذا الإفلاس الكامل لنشاط (الحركة الوطنية المصالية"، وأمام معارضة بعض المسؤولين معارضة جدية، قرر مصالي حل المكتب السياسي وتفويض كامل السلطات إلى (ابن الصيد).

هذه وضعية "الحركة الوطنية المصالية" من الناحية التنظيمية .

ثم اتصلنا بتفاصيل أخرى أقنعتنا أن الاتصالات مع الحكومات الفرنسية المتوالية، لم يكن لها إلا هدف واحد وهو التأثير على "الحركة الوطنية المصالية" واستخدامها ضد

جبهة التحرير الوطني. وفي مقابل ذلك تغض الحكومة الفرنسية النظر عن نشاط "الحركة الوطنية الجزائرية" التي يتنقل مسؤولوها بكل حرية في فرنسا بأوراق تعريف فرنسية.

بل أن بلهـادي منذ ثلاثـة أشهـر تحصل على جواز سفر فرنسي بدعوى السفر إلى الولايات المتحدة، وهو الآن يستعمل هذا الجواز ليتنقل في أوروبا للاتصال مع بعض الشخصيات .

إن تجربتنا المرة الفاجعة تحتم علينا أن نفضح خدام "مصالي "، واتصال الحركة الوطنية المصالية، مع الحكومة الفرنسية، فذلك واجب كل وطني جزائري.

وإننا إذ نعمل ذاك فإنما لاقتناعنا أننا لن نخون الذين كانوا إخواننا بل إننا نساهم في تعزيز الثورة الجزائرية التي ستطرد النظام الاستعماري من وطننا إلى الأبد.

ونظرا لاقتناعنا اليوم بأن نشاطنا كان مناهضا للثورة، وإن مواصلة عملنا داخل "الحركة الوطنية المصالية"، يكون معناه من الآن الخيانة المقصودة للشعب الجزائري، فقد اخترنا بمحض إرادتنا أن نخضع لأوامر جبهة التحرير الوطني التي تمكنت وحدها من قيادة الكفاح التحريرى بلا هوادة ولا ضعف أو تخاذل .

إننا ندعو إخواننا لكي ينضموا إلى صفوف جبهة التحرير الوطني حتى يساهموا - في ظل الشرف والكرامة - في الكفاح الذي يقوده جيش التحرير الوطني فوق تراب الجزائر.

إنه ما يزال في إمكان جميع الجزائريين المخلصين أن يعينوا الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في العمل على انتصار المثل الأعلى الذي هو هدف وجودها وهو الاستقلال الوطني.

عن جماعة مسؤولي: «الحركة الوطنية الجزائرية»
نصبة احمد بن عاشور المدعو (القلاوي الاكحل)
من مواليد «قمار» وادي سوف، عضو المكتب السياسي
للحركة الوطنية الجزائرية ومسؤول منظمة الحركة الوطنية في مرنسا

المحاكم العسكرية والعقوبات

جبهة التحرير الوطني
جيش التحريرالوطني .
الولاية 4 المنطقة 4
المقررة العامة رقم 18

تلبية لمطالب عدة محاكم عسكرية جعل مجلس الولاية المقررة رقم 18 أساسا لتحديد الغلطات والعقوبات اللازمة. فالمطلوب من مجالس المناطق نشرها على جميع المجالس والوحدات والمراكز العسكرية، وجميع الفروع (الهلال الأحمر، الممونون، المسبلون ،إلخ...) المطلوب من الجميع التنفيذ القاطع للمقرررة رقم 18 نظرا للمقررة العامة رقم 2 التي تطلب اجتماع محاكم عسكرية لبحث الغلطات.

نداء إلى الإطارات

أيها الضباط وضباط الصف أعطيت لكم مراتب لتحصيل الانتصارات بدون خسائر. الإطار يلزمه أن يفهم بانه جعل للتسيير. الواجب عليه أن يكون مطاعا ، والأحسن أن يحصل على الطاعة الاختيارية ولكن لا يقبل عدم الطاعة. الأوامرالصادرة دائما تكون موزونة حسب الحالة المدروسة وكل تأخير في التنفيذ هو تأخير لنظامنا الحربي ويكون ضررا لقواتنا المكافحة، ولكن من الأحسن احترام الامرعند تعيين صاحب التنفيذ، والمسؤولية المشتركة غيرصالحة وخطتناما يلي :

لكل عمل أو مشكلة أوصعوبة يلزم تعيين مسؤول واحد ووسائل موافقة، عدم الطاعة جريمة ضد النظام والوطن تجب محاربتها قطعا ، فعلى المسؤول أن يفهم كل ما ينقص من سلطته فهو ضرر لفائدة الجيش ويلزمه سيرة مثالية محمودة. الطاعة الثورية لاتنافي الاخوة بل تقويها غيرأن المزاح "الدسارة" يحطها. "كثرة المزاح تذهب الهيبة". «المزاح في الكلام كالملح في الطعام» .فعلى المسؤولين أن يفرقوا بين الاخوة والمزاح.

نداء إلى الجنود

الجندي الوطني يلزمه أن يفهم ضرورة الطاعة للمسؤولين والأمر مقدس وكل شيء يضر باتحاد الفوج فهو خطر للجماعة، والثورة كونت بيننا روابط مقدسة "والشهداء تركوا لنا إرثا من الواجبات" ولذا يجب علينا أن نتحد ونتحاب ونطيع مسؤولينا.

الطاعة

بعض الجنود يجهلون الطاعة الثورية المطبقة في جيش التحرير. يلزم أن نفهم بأن الحياة الاجتماعية لها قوانين وخصوصا في الجيش الذي يتطلب الاتحاد والسرعة في العمل والطاعة للمسؤولين مع الإيمان بقضيتنا التي هي سبب الانتصار. والرتبة لا تكون عرقلة في وحداتنا، والصبغة الثورية لا تنافي التسيير ولا الطاعة بل تكون الطاعة التامة بيننا. والفوضى جريمة لا يقبلها مجلس الولاية ويحاربها بدون تفريط، وعلى المسؤول أن ينصت إلى مقترحات نوابه، وعلى الجندي أن يعطي اقتراحاته لفائدة الكفاح التحريري، ثم تجب المناقشة على الحاضرين ليحصلوا على النتائج الحسنة. وطاعتنا تكون اختيارية لا جبرية، وهذه الطاعة تنطبق على أناس لهم فكرة نظامية وتضحية «أقوى من جميع الجيوش في العالم». والمناضل المكافح يجب عليه أن يضحى بفكرته لطاعة مسؤوله ، وزيادة على هذا يضحي بنفسه لكي يصل إلى النصر.

المحاكم العسكرية والعقوبات

العقوبات تصدر من المحاكم العسكرية والمحكمة الشرعية كما يلي:

رئيس ومستشارين وكاتب ومحام. يطلب من كل عضو في المحكمة أن يقوم بدوره كما ينبغي وعلى المحامي أن يدافع عن صاحب الغلطة بكل تفنن.

1 - الغلطات

الغلطات ثلاثة أنواع :

1 - الصغيرة :

1 - سب الدين .

2 - الاستماع لصوت البلاد

3 - ا لإنصات للأسطوانات المنافية للأخلاق

4 - قراءة الجرائد التي تمس معنوية الثورة .

5 - التلاهي مثل لعب الكرطة والدمين

6 - الاكاذيب نوعان : - 1 - تغييرالحقيقة، وو.. 2 - كتمانها

7 - العبث بالسلاح وتنظيفه وسط الجماعة

8 - الرشوة بالمال

9 - التفضيل الشخصي

2 - الخطيرة :

1 - عدم تنفيذ المقررات . الطاعة العامة تطلب قبل كل شيء تنفيذ المقررات، يجب على الإطارات ان يضربوا المثل في التفتيش على تطبيقها بذكاء مناسب للأوامرالصادرة. ويلزم درس المقررة ولا يكتف ببعثها كتابة ويلزم تفهيمها للمأمورين في اجتماع .

2 - النعاس في الحراسة .

3 - الشكوى المشتركة تبث داء التفرقة والتحزب ولذا كل طلب أوشكوى تقدم شخصيا .

4 - النسيان أوضياع الوثائق أو السلاح أو الذخائر أو الألبسة في المراكز أو الراحة.

5 - بث السر العسكري في المراكز المدنية أو العسكرية أو أمام من تهمه معرفته.

6 - الخصام بين المسؤولين أمام المأمورين أو المدنيين أو الشعب، يلزم المسؤول المحافظة على سلطته وبها يكون محترما وسلطة الجيش قوية والعكس بالعكس. يلزم كل مشكلة تخص من يهمهم الأمر وتسوى سريا .

7 - التفضيل: كل إنسان يعتبر بأن له قسم أو ناحية أو منطقة أو ولاية قد ارتكب جريمة تقسيم الجهات في الجزائر يكون لأجل الاستراتيجية الحربية يلزم فكرة الوحدة الجزائرية دائما تتقوى ويجب محاربة التفضيل النظامي وأن جيش التحرير الوطني موحد.

8 - الأخلاق الرديئة .

9 - التبذير .

10 - المكاتبة مع العائلة أو المدنيين بدون أمر من النظام .

11 - الدعاية المفشلة غيرمقبولة .

12- عدم كشف من ارتكب جريمة. واجبنا الثوري يدعونا لمحاربة الغلطات والمجاهد الذي يكشف الغلطات يقدم للنظام ويصحح الغلطات ويرجع أخاه إلى الطريق المستقيم.

13 - حادث السلاح بالعبث أو نظافته وسط الجماعة.

14 - التغيير في الأوامر، على المجاهدين أن يطيعوا الأوامر والمكلفين بها.

15 - حكم الإعدام بدون محكمة شرعية مهما كانت درجات الغلطات. الواجب يحتم علينا أن نكون محاكم في كل مرة وفي كل حادثة .

16 - التقارير المزورة لما يخفي الإنسان الحقيقة عن الحالة الحاضرة يكون قد ارتكب جريمة ضد النظام .

17 - الشهادة المزورة مهما كان الغرض فإنها مضادة لثورتنا وديننا.

18 - الغتبة في وحدة أومسؤول أمام وحدة أو مسؤول. إن هذه السيرة تحطم الطاعة وتقلب الأفكار وهي مضادة لسيرة المجاهد.

مشاكل العامة لوحدة أومجلس أوفرع تسوى وتبقى داخلية، والواجب إظهار الحقيقة أثناء الإجتماع. الانتقاد المفيد والإنتقاد الذاتي هو من خصال ثورتنا.

3 - الخطيرة جدا.

1 - الفرار: كل مجاهد يترك وحدته بدون إذن فهو فار. لا يجوز للمجاهد أن يذهب من وحدته بدون أمر مهما كان نوع السبب وهذا أيضا في شأن المسبلين وجميع جنود المراكز العسكرية والفدائيين. فعلى الجندي أن يقدم طلبه باحترام الدرجة في المسؤولية، ويجب أخذ الاحتياطات اللازمة عند فرار الجندي في أقرب وقت، ويجب نشر الخبر بسرعة.

2 - الخيانة ليست محصورة في الانضمام إلى العدر بل منها إفشاء أسرار الجيش ولو بالتعذيب وحينئذ يذهب للجندي الصبغة وشرف المجاهد.

3 - ترك المجروح أو السلاح أو الراية في ميدان المعركة.

4 - أعمال التمييز يعني تكوين أحزاب في صفوف جيش التحرير. الجزائريون الموجودون في جيش التحرير لهم وطنية تدل على حضورهم في الجيش لا فرق بين جميع المسؤولين في نظام واحد وتحت مراقبة المجلس الوطني للثورة الجزائرية. كل فرق مؤسس على اللغة أو الطبقة الاجتماعية أو على التفضيل فهو خطر على نظامنا. التربية ضرررة في هذا الشأن والثورة موحدة لا تقبل التجزئة.

5 - عدم الطاعة غيرمقبولة في الجيش وخصوصا في وقت المعركة. رالطاعة التامة ضررربة في نجاح أعمالنا. التنفيذ قبل كل شيء والطلب من بعد.

6 - الأنضمام إلى العدو مهما كانت الأسباب والمجاهد يحترم قدر الشعب والجيش ويدافع حتى الاستشهاد.

7 - السرقة تؤدي بصاحبها إلى الخيانة.

8 - استعمال اسم الجيش للأغراض الشخصية.

العقوبات

العقوبات مختلفة والمحاكم العسكرية حرة في اختيار العقوبات حسب الغلطات.

1 - عقوبات الغلطات الصغيرة : الزيادة في الحراسة، الزيادة في العمل، حلق الرأس، التوبيخ الخفيف، الدفن في الأرض، التوبيخ العنيف مع التسجيل في الدفتر العسكري .

2 - عقـوبات الغلطـات الخطيـرة: الخفض من المسؤولية، التجريد من الرتبة مؤقتا أومؤبدا .

3 - عقـوبـات الغلطـات الخطـيرة جـدا: الإعــدام بالرصـاص بدون تجريد المجاهد من الثياب .

تنبيهات

1 - الطاعة وقت المعركة: المجاهد تجب عليه طاعة المسؤول ويقوم بالتحركات التي تطلب منه مثلا: إطلاق النار، الهجوم، الانتقال من الموضع في وقت الاشتباك، الانسحاب، التفرق إن دعا إليه المسؤول بعدما يكون محل الملاقاة معينا. ويجب على جميع الجنود الوصول إلى المكان المعين في أقرب وقت والاهتمام بالاجتماع في مكان الملاقاة ويأخذ الاحتياطات اللازمة ويجب على المسؤول تبديل الموضع إن وقع جندي أسيرا في يد العدو.

2 - في مدة التفرقة يلزم طاعة المسؤول في الدرجة العالية وطاعة القديم عند تساوي الرتب .

3 - يجب على الجنود الحضور في الاجتماعات السياسية والمطالعة في الجرائد والمناشير العمليات الداخلية والمشاركة في المحادثات تقوي التربية، والتدريب العسكري يكون متتابعا باهتمام، والتربية السياسية للمجاهدين ضعيفة ولهذا يلزمنا الاطلاع على كل ما يصدر من الجبهة في الميدان السياسي ويلزم حفظ القوانين العشرة الأساسية لجيش التحرير والقانون الداخلي والدروس العسكرية والمقررات.

4 - الدوران والانتقال في المراكز ينبه العدو، ويمنع المدنيون من كثرة التحرك في المراكز .

5 - السير ليلا يكون بالصمت وله قوانين يجب احترامها ، والتكلم بالفرنسية تقع منه حوادث خطيرة .

6 - السيرة مع الشعب تكون محمودة ويجب على الجندي أن يستأذن مسؤوله في طلب ما يحتاج من الشعب .

7 – مراقبة الرسائل الخاصة دائما موجودة وتكون على يد المسؤول المباشر والمكاتبة هاته مرتين في الشهر.

8 – محاربة الأمية والجهل يكون دائما موجودة في جيش التحرير فعلى المجاهدين أن يوسعوا معرفتم في لغتهم الغربية.

9 – كل من نزع السلاح لأخيه المجروح قد ارتكب جريمة والواجب أن يترك له سلاحه والمجروح خطيرا يعطي له مسدسا وكل من يذهب إلى المستشفى له سلاحه.

10 – كل مجاهد ينتقل بإذن الولاية أو المنطقة أو الناحية يترك له سلاحه.

11 – يجب احترام الدرجات في الرتبة.

12 – يمنع ترك الجندي أكثر من ثمانية أيام بدون تعيين عمل .

13 – الصحبة والألعاب لا تغير الاحترام .

14 – يلزم التاكيد على نظافة الجسد والثياب وحمل آلة الحلاقة وما ينظف الفم لجميع المجاهدين .

15 – يلزم مراقبة الأكل من المسؤول المعين .

ملحقات

1 – تكرار الغلطة الصغيرة يصيرها كبيرة وتدل على صاحبها أنه مسيء السيرة والخطيرة، تصير خطيرة جدا .

2 – صاحب الغلطة عند انتقاله يجب علينا أن نعينه ليرجع إلى السيرة الحسنة.

عن مجلس الولاية 4
في 18 أكتوبر 58

ملحق رقم 05

ظروف وكيفية استشهاد العقيد (سي امحمد بوقرة)

اختلفت الآراء وتعددت الإشاعات، وكثرت الأقاويل حول ظروف استشهاد بطل الولاية الرابعة وبطل الجزائر الشهيد (بوڨرة) إلى درجة جعلت الكثير من الناس يصدقون كل الإشاعات ويعتبرونها حقيقة لا غبار عليها، والحقيقة التي لا مجال للشك فيها أنّ البطل أغتيل بنفس الطريقة التي أغتيل بها الشهيدان (عميروش والحواس) ولتوضيح ما ذكرته بالأدلة والبراهين أذكر بعض الحقائق التي دونتها آنذاك:

أولا: قبل استشهاد العقيد (بوڨرة) بيومين أجرى اتصالا لا سلكيًا مع مقر القيادة العامة في الخارج وأطلعهم -فيما أطلعهم- على سير العمليات في الولاية الرابعة وشرح لهم واقعة معركة "الرڨيطة" وأنهى المكالمة على أمل الاتصال بهم مرة أخرى إذا ما دعته الضرورة.

ثانيا: في اليوم التالي للمحادثة الأولى فوجئ العقيد بوڨرة بمكالمة لا سلكية عاجلة موجهة إليه من طرف القيادة العامة في الخارج، مما زاد في غرابة الأمر أنّ العادة جرت على أن يكون الاتصال من الداخل إلى الخارج وليس العكس، والأمر المثير للشك والجدل أن الاتصال تمّ عن طريق أرقام وشيفرة كان قد تمّ إلغاؤها نهائيًا بعد أن تمكن العدو من معرفتها، ثمّ أنّ المكالمة المستعجلة لم تطلب منه شيئا ذا قيمة. كل ما في الأمر أنها طلبت أن ينصب كمينا لقافلة عسكرية فرنسية قيل لهم أنها في طريقها من البليدة إلى قصر البخاري وتحمل معها ذخيرة وعتاداً، وحسب زعمهم أنّ معلومات وافية قد وصلت إليهم تنبئهم بتحرك القافلة من مكانها، وأنهوا مكالمتهم معه مؤكدين له باسمه الشخصي أنّ القافلة ستتحرك في تمام الساعة العاشرة من صباح اليوم الموالي.

من خلال ما تمّ عرضه من وقائع ندرك أنّ جهاز التقاط الصوت عند الأعداء قد تمكن بسهولة من معرفة المتحدثين ومطالبهم وبالتالي تمكن على ضوء تحليل المعلومات والذبذبات الصادرة من جهاز الاستقبال من تحديد مقر القيادة العامة تحديداً كاملاً.

وتمت المكالمة خلال يومي 23، 24 أفريل 1959، وكان القائد يتحاشى دومًا الاتصال بمقر القيادة العامة في الخارج إلا في الحالات الاستثنائية، وإذا ما اتصل بهم فإنّ الاتصال يتم بطريقة سريعة وغير منتظمة ولا يذكر شيئا في حديثه يمكن أن يستفيد منه العدو.

ومما زاد في خطورة الأمر هو استشهاد العقيدين (عميروش والحواس) الأمر الذي جعل القائد (بوقرة) يكثر من الحذر ويكثر من الحيطة إذا لم أقل أنه كان قلقا كثير الشك خاصة عندما يستعمل جهاز الاتصال مع الخارج وهو يشبه الجهاز الذي كان مع العقيد لطفي يوم استشهاده.

والشيء الذي أثار القائد يومها وجعله يفكر مليًا في المغزى والهدف من الاتصال به أنّ ذلك الاتصال المشؤوم وقع بعد يوم من اتصاله بهم ثمّ إنّ المعلومات التي أبلغه بها المسؤولون في القيادة العامة بالخارج معلومات عادية جداً لا تستحق عناء الاتصال باللاسلكي خاصة وأنّ اتصال الخارج بالداخل غير معمول به إلا في أضيق الحدود، في حين أن اتصال الداخل مع الخارج هو المعمول به دومًا، وذلك لسبب بسيط وهو أن القيادة في الجبال قيادة متنقلة غير ثابتة في مكان مستقر، ثمّ أنّ الظروف تفرض على المجاهدين التنقل باستمرار... عكس الجيوش الكلاسيكية في العالم، وعكس ما هو معمول به في الحدود الشرقية حيث تملك القيادة العامة مكاتب ومراكز ثابتة تمكنها من التصنت والاستماع لكل المكالمات التي تصل إليهم من جميع أنحاء الوطن، ثم أنّ المعلومات التي وردت إليه في تلك الليلة معلومات تافهة لا تتطلب العناء أو البحث عن القائد للتحادث معه، ثم من يثبت فعلاً وأنّ قافلة عسكرية ستتحرك في تمام السّاعة العاشرة صباحًا من النقطة (أ) إلى النقطة (ب) ثمّ أنه لو افترضنا أنّ الخبر المنقول إليه خبر صحيح فإنه من الناحية العسكرية لا يمكن لقيادة تشن حرب عصابات أن تأمر أفواجها بشن هجوم أو نصب كمين للعدو بسرعة متناهية، لأن الجنود غير متواجدين أمام مقر القيادة العامة حيث يوجد جهاز للإرسال، وتعبئتهم ليست بالأمر السهل (وهم يعرفون ذلك تمام المعرفة) وهذا ما جعل القائد سي امحمد بوقرة يعبر ليلتها عن قلقه وغضبه على القيادة العامة، لأنه أدرك -من خلال المكالمة- أنّ القوات الفرنسية قد تمكنت من تحديد مكان القيادة خاصة وأن الاستعمار كان لا يشغله شيء في ذلك الحين قدر انشغاله بالقضاء على قائد الولاية الرابعة، وكان الاستعمار قد ألقى بمناشير غداة اغتيال العقيدين (عميروش والحواس) كتب عليها

إننا نعزيك في موت رفيقيك عميروش والحواس واعلم أنك ستكون القتيل الجديد بعدهما وأننا نأسف عن هذا التأخير المتعمد في حقك !

كانت هذه هي الوضعية التي كان عليها الشهيد يوم تلقيه المكالمة المستعجلة من القيادة العامة بالخارج، وكان الشهيد مقيما في تلك المنطقة التي استشهد فيها منذ يوم 15 مارس 1959 ، حيث آثر البقاء في تلك المنطقة بعد أن شارك في معركة طاحنة جرت أحداثها قرب جبل اللوح (بأولاد خليفة) وكان القائد قد شارك فيها مشاركة فعالة أذهلت الجميع حيث كان السبّاق إلى إطلاق الرصاص وإلى الزحف إلى الأمام لتطويق العدو، وقد استشهد في تلك المعركة 14 شهيدا جميعهم يتسابقون نحو الاستشهاد الواحد بعد الآخر من أجل حماية محفظة العقيد (أو مكتب الولاية المتنقل) وما تحتويه المحفظة من وثائق وخرائط وملفات، وكان كلما سقط شهيد حمل المحفظة نيابة عنه شهيد آخر إلى أن انتهت المعركة (ولم تقع المحفظة بين أيدي العدو).

وكان القائد قد رمى بمحفظته إلى جندي كان بجانبه إثر إصابة أحد المجاهدين بجروح وكان الجريح من أقرب الناس إلى قلبه وأكثرهم عطفًا عليه نظرا لصغر سنه فحمله القائد وابتعد به عن ميدان القتال ثم عاد مسرعا ليشارك جنوده في المعركة.

بقي القائد معنا في تلك المنطقة وفي يوم 4 ماي 1959 وقبيل منتصف الليل حلت بيننا كتيبة الزبيرية قادمة من منطقة الونشريس بعد أن أدت مهمتها بنجاح تام والمتمثلة في القيام بعمليات عسكرية متعددة لتدعيم الوحدات الموجودة هناك.

اجتمع القائد معهم وتحادث مع كل فرد من أفرادها مستفسرا من كل واحد منهم عن الوضعية العسكرية والاجتماعية وعن المصاعب التي واجهتهم، وكان ليلتها منشرح الصدر رقيق الإحساس إلى درجة كبيرة، وكثيرا ما عانق بعض الجنود أو داعب رؤوسهم وقربها إلى صدره، وفيما نحن على تلك الحالة من الفرح والاستبشار أخبرنا رجال الاتصال أنّ التحركات الواسعة التي شرع فيها العدو منذ يوم 23 أفريل قد وصلت إليهم، عندها أمرني القائد أن أغادر المكان رفقة الكتيبة الزبيرية بعد أن أصبح مستحيلا البقاء معهم في مكان غير آمن، وأوصاني أن لا أعرّض الكتيبة، لأي اشتباك مع العدو إلا في حالة الدفاع عن النفس، لأنّ أفرادها مرهقون، ولأن ذخيرتهم غير كافية، وقال أنه سيعود إلى مقر قيادته كي يفوت على الأعداء فرصة الوصول إليه، وقبل أن أخطو بعض الخطوات توقّف عن السّير وناداني: لخضر يا لخضر، فالتفت إليه فأشار بيده أن أدنو منه... وقفت أمامه فقال هل فهمت ما أمرتك به؟ فقلت له نعم

فهمت ما أمرتني به جيّدا، فقال وهو يحتضنني بعينيه إذا ما حدث وتصادمت مع العدو فاستعمل أسلوب (La guêpe)، "بوزنزل" وحمل يدي بين راحتيه العريضتين وضغط بأصبعيه على ظهر كفي ثم سحب أصبعيه بسرعة وهو يقول هذا ما عليك أن تفعله "أقرص واهرب"، وودعني مرة ثانية متوجهًا نحو مقر الولاية في طريقه إلى (أولاد عنتر) من الجهة المقابلة لوادي الشلف واتجهت بدوري رفقة الكتيبة نحو (أولاد بن عيسى)، ولم أكن أعلم وقتها أنني أسمعه للمرة الأخيرة وأودعه آخر وداع.

سلكت طريقا محاذيا لحافة الجبل وتعمدت ذلك كي لا أصطدم بقوات العدو الذين تسلقوا الجبال، وكان يفصلني عن القرية التي نتجه إليها نهر تداعب مياهه الحجارة المترسبة فيه فيصدر عنه خرير رقراق رائع لا يعكس بأية حال نفسيتنا المتوهجة والقلقة، نهر يفصلنا عن قرية هوارة.

حلّ القائد بسرعة بمقر قيادته حيث وجد بعض الجنود ومعهم جهاز الإرسال (سبب البلاء) وهو نفس الجهاز الذي خصصت له المخابرات الفرنسية جزءاً كبيراً في تقريرها الرسمي المؤرخ بتاريخ 30 جوان 1958، بحيث تحدثت عن الجهاز في فقرة طويلة وعن المنطقة التي يوجد فيها وخصت بالذكر قرية (أولاد بوعشرة).

إلا أنّ الجنود أخبروه وأنّ عملية المسح التي يقوم بها جنود العدو مستمرة وأنّ أعدادهم غفيرة وأنّ مهمتهم هو تضييق الحصار على مقر القيادة والقضاء عليه وليس مجرد عملية عادية لتمشيط المنطقة كما كان يحدث دائما. اختار أن يعود إلى المكان الذي افترقنا فيه عله يجد دليلا يرافقه إلى المكان الذي نحن فيه وفعلا عاد من حيث أتى إلا أن ضوء النهار حال دون أن يبلغ هدفه فبقي في مكانه.

وفيما نحن عند سفح الجبل نسير بخفية سمعنا صوت طلقات الرصاص وكانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحًا وكنت أشاهد بعيني جنود العدو يزحفون على بطونهم نحو هدف معين كنت أرى ذلك بوضوح وأسمع أيضا أصوات نداءاتهم إلا أننا لم نكن نعلم أنّ المقصود بالهجوم أساسا هو القائد نفسه وليس أحداً غيره.

وكنت أعتقد أنّ القائد موجود لحظتها في مقر قيادته في الشمال الغربي من قصر البخاري وليس أمامنا محاصراً ومطارداً، التزمت بالأوامر الصادرة إليّ من قبله وهي ألاّ أضرب إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك. تابعت المعركة عن بعد وأذكر لحظتها وأني قلت لرئيس الكتيبة (محمود رمضان) إنها معركة مع بعض أفراد الاتصال الذين لم يغادروا المنطقة كما فعلنا، أو ربما أنّ فوجًا عابراً وقع في كمين دون أن يدري، ولم

أتلق الرد الكافي على استفساراتي، وكما بدأ فجأة توقف أيضا فجأة صوت الرصاص فأدركت أنّ المعركة قد انتهت بسرعة لأنّ عدد المجاهدين كان قليلا وإلا لما توقف الرصاص عن اللعلعة.

وفيما كـان الجيش الفرنسـي ينزل من أعلى الجـبل كان من الضـروري أن نشتبك معه بأسلوب (La guêpe) "بوزنزل" لأنّ أمرنا قد انكشف، النهر وراءنا والعدو أمامنا والمنافذ كلها مسدودة.

أطلقنا نيران أسلحتنا على العدو كرجل واحد لإرباكه ولشل حركته، وهو ما حصل فعلاً وكان الصيد (ثمينا وسهلا) غنمنا أسلحة وعتادا، وكان عبارة عن 14 قطعة من السلاح ومدفع رشاش في حين قتل عدد كبير من جنود العدو وجرح آخرون، ولم يصب أي فرد من الكتيبة بأذى. وصلنا إلى دوار هوارة وبعد لحظات استراحة واصلنا طريقنا نحو حناشة، وهي تبعد عن مكان الاستراحة بخمسة كيلومترات، وفي تلك الأثناء خططت القوات الفرنسية تخطيطًا كاملاً للانتقام من قتلاها وهو ما حصل فعلاً إذ ما إن بدت أشعة الشمس تطل من الأفق حتى فاجأتنا القوات الفرنسية بشن هجوم كاسح تصدينا له بنفس الأسلوب "اضرب واهرب" وكانت النتيجة لصالحنا، وغنمنا مرة ثانية أسلحة وعتادا، وتمكنا من أسر جندي فرنسي، وفي نفس الوقت نجا أفراد الكتيبة دون أن يصاب أحد منا بجروح سوى شخص واحد ضل طريقه، ولم نكتشف أمره إلا بعد أن منحنا السكان الماء والخبز والقهوة، ومن عاداتنا دائما أن نحصي المجاهدين إثر كل عملية عسكرية كي نعرف (بالأسماء) من استشهد أو جرح، وفوجئت بغياب واحد منا، في حين كان العدد كاملا! طلبت أن يعيدوا الإحصاء مرة أخرى وكانت النتيجة مثل المرة الأولى، العدد كامل إلا أنّ جنديا من أفراد الكتيبة غير موجود وعرفت السر فيما بعد! والسبب أن شخصا طاعنا في السن رأيته يحمل على ظهره ذخيرة وسلاحا من غنائم المعركة، ولم أكن أعرفه من قبل، حيث تبين أنه التحق بنا واندسّ بين صفوفنا دون أن يتفطن إليه أحد، وعن سبب مجيئه قال لنا الشيخ (بن يمينة) كنت مختفيا بين الأشجار في طريق ذهابي من قرية أولاد عيسى إلى قرية أخرى ووجدت نفسي في قلب المعركة فانضممت إليكم وأني أرفض العودة إلى القرية، كما أنني أرفض الذهاب إلى أي مكان آخر وسأبقى مجاهداً بهذا السلاح الذي غنمته، ولم نجد أي مبرر لعدم قبوله في صفوفنا .

ومن المكان الذي جرت فيه المعركة واصلنا سيرنا بخفية كي لا نصطدم مع العدو مرة أخرى، ثم عرجنا على ممر جبلي غير الممر الأول وعدنا إلى المكان الذي فارقنا منه القائد (سي امحمد) وأمرت أفراد الكتيبة أن ينالوا قسطا من الراحة لأني أدرك أنّ العدو لن يعود إلينا لأنه يواصل بحثه عنّا في المناطق الأخرى، وخلوت إلى نفسي أكتب تقريرا مفصلاً عن المعركتين وعن النتائج التي حققناها وأعلمه بخبر القبض على الأسير، وبحثت عن رجل الاتصال لأسلمه الرسالة فلم أعثر له على أثر فأيقنت أنه قد غادر المكان إثر انتشار القوات الفرنسية. طلبت اتصالا آخر وأمرته أن يحمل رسالتي المستعجلة إلى القائد (سي امحمد) وفيما كنت أناوله الرسالة خيل إليّ أني سمعت (سي امحمد) يحدثني بصوته الحزين عن أهمية المحافظة على أفراد الكتيبة الزبيرية وعن أهمية التكتيك في أسلوب "أضرب واهرب" وعن السبب الذي دعا القيادة في الخارج إلى الاتصال به بواسطة جهاز اللاسلكي، وكنت أسمع صوته بوضوح وكأنه صادر منه حقيقة، وليس من خيال أو عن طيف بعيد، وفيما أنا غارق في تأملاتي عاد إليّ (رجل الاتصال) ليخبرني أنه لقي في طريقه أحد مرافقي القائد (سي امحمد) وهو (قدور البغدادي) حيث وجده دون بقية رفاقه وأعلمه أنّ القائد قد يكون في عداد الأموات، فطلبت منه أن يسرع في إحضار الجندي (قدور) الذي تنحصر مهمته في كونه كاتب الناحية، فجاء إليّ مسرعا وبدون مقدمات قال لي بصوت متهدج تخنقه العبارات، لم يبق من الأفراد المرافقين للقائد (سي امحمد) أي أحد سوى أنا حيث استطعت النجاة، وأني لم أجد أثراً للقائد وأني لا أعلم هل قتل أو أنه لازال على قيد الحياة مختفيًا في أحد الأماكن، أو أنه أسر لدى العدو، وشرح لي باضطراب كيف ولماذا عاد (سي امحمد) إلى هذا المكان دون أن يبقى في مقر قيادته، وأضاف قائلا أنّ القائد كان يرغب في الاتصال بكم والاندماج مع الكتيبة الزبيرية بعد أن شاهد كثافة القوات الفرنسية إلا أنّ ضوء النهار اللعين حال دون وصولنا إليكم خاصة وأننا كنا نجهل مكان تواجدكم بالضبط.

ولم أتمكن من أخذ بقية المعلومات أو استدراجه إلى الحديث عن الواقعة وكيفية استشهاد البطل، لأنّ حالته النفسية لم تساعده على ذكر التفاصيل، حيث كان مضطربًا كثير البكاء كثير التلعثم، طلبت منه أن يسكت رأفة به وأن يرافقني إلى المكان الذي استشهد فيه البطل ورفاقه، ورافقني بعض الإخوة (لازالوا على قيد الحياة) منهم (بن قربان وجلول وبعض الجنود الآخرين).

والمكان موحش وخال ولا أثر فيه للحياة وصفير الريح يصم الآذان، وهو عبارة عن خلاء شديد الانحدار تحيط به أشجار عالية وممرات صغيرة تتفرع عنه، وتربة سوداء ندية تملأ الرقعة الأرضية، فتشنا المكان حجرا حجرا وشجرة شجرة فعثرت غير بعيد على قشابية القائد وكنت أعرفها تمام المعرفة، نفضت عنها الغبار وأوراق الشجر العالق بها فلم أجد أي أثر يدل على أن صاحبها قد استشهد لا ثقوب فيها ولا دماء، وغير بعيد عنها عثرت على الشاش وكان المرحوم (بوشوشي) يلفه على عنقه وكان أيضا خاليًا من آثار الرصاص أو الدماء، وغير بعيد نظارة ملقاة على الأرض وزجاجها سليم وبجانبها صدرية من الصوف الأخضر كان يملكها (محمد المسبل) وهي الوحيدة المليئة بالثقوب والدماء ومعفرة بالتراب، وهنا وهناك على الأرض خراطيش فارغة وآثار كثيرة لأحذية الجيش الفرنسي وماعدا ذلك لاشيء سوى التراب الأسود والحجارة الصماء وصفير الرياح وحفيف الأشجار العالية، وبين الأشجار والحشائش عثرت على جثث الجنود المرافقين للقائد بعضهم سقط على وجهه والبعض الآخر استند بجثته على فرع شجرة والبعض الآخر ملقى على ظهره، إلا أنني لم أعثر إطلاقًا على جثة القائد ولا على جثث بقية الضباط المرافقين له وهو ما أعطاني بعض الأمل في أنّ القائد يكون لازال على قيد الحياة أو أنه قد اختفى عن الأنظار يداوي جروحه، وعشنا نترقب ما ستسفر عنه الأحداث من مفاجآت إلى أن كان يوم (8 ماي 1959) عندما حلقت فوق سماء المنطقة طائرات حربية تلقي بمناشير كتب عليها (إن بوقرة قتل وأن أمره قد انتهى)، كان أول ردّ فعل لنا، شن سلسلة من الهجومات والكمائن ضد مراكز العدو وثكناته، وفي أحد الاشتباكات ألقي القبض على (قدور البغدادي) قبل أن نتمكن من معرفة تفاصيل استشهاد البطل، حيث حالت الاشتباكات والمعارك بيننا وبينهم، فلم يتسع الوقت لكي نستكمل معه الحديث عن ظروف المعركة، حاولنا المستحيل كي نعرف المكان الذي نقل إليه أسيراً. وفيما بعد علمنا أنه سجين في محتشد (كامورة) عرفنا ذلك بواسطة عجوز لها في نفس المحتشد أسيران من أولادها تربطهم صداقة متينة بقدور البغدادي وكلهم من مدينة المدية، فأرسل معها رسالة يخبرنا عن مكانه.

كاتبناه بدورنا برسالة نعلمه فيها أننا نود شرحا إضافيًا عن كيفية المعركة التي استشهد فيها البطل وطلبنا منه ذكر بعض التفاصيل. تلقى الرسالة وكتب إلينا بدوره رسالة يوضح فيها ما طلبناه منه، إلا أنّ السلطات الفرنسية اكتشفت أمر الرسالة وعرف

المستعمر حقيقة الأسير وأهميته بالنسبة إلينا، فأعدم في الحال رميًا بالرصاص كي لا يبوح بسره عن كيفية استشهاد القائد.

ولم نعلم بموته إلا بعد مدة زمنية واكتشفنا أيضا أنّ القوات الفرنسية تنقل يوميا الأسرى من المعتقل لتشغيلهم في بناء المراكز العسكرية والحصون وشق الطرقات، وما إن ينتهي الأسير من أعماله التي كلّف بها حتى يعدم رميًا بالرصاص ويتم الإعدام عادة في ممر ضيق يتوسط جبلين، وأخبرنا بذلك أسير تمكن من الفرار قبل لحظات من إعدامه ولازال حيًا إلى اليوم ويدعى (أحمد موسطاش). وتتم عملية الإعدام على الشكل التالي: تقف في المكان المخصص للإعدام شاحنتان عسكريتان وينزل منها الجنود ومعهم الأسير أو الأسرى وفي منتصف الطريق يطلق عليهم الرصاص ويتركون جثثهم في العراء، ويعود الجنود من حيث أتوا وكأنهم لم يرتكبوا جريمة قتل دون محاكمة، والمكان هو قرية (أولاد حمزة) شمال قصر البخاري.

وكان المجاهدون يذهبون فيما بعد لدفن الضحايا كي لا تترك جثثهم في العراء، واكتشفت السلطات الاستعمارية عملية الدفن، فعمدت إلى وضع متفجرات شديدة المفعول تحت جثث الضحايا وما أن يلمس الإنسان الجثة حتى تنفجر وتفجّره، فعمدنا إلى تغيير الأسلوب... بأن يسحب المجاهد جثة المعدوم بواسطة حبل طويل في نهايته عقدة على شكل حلقة تضيق عند الجذب... إلا أنه كثيرا ما يجذب الحبل نصف الجثة أو جزءاً منها نتيجة تطاير وتناثر الجثة في الهواء !!

كانوا يمثلون بالجثث ويعدمون الأسرى ويشوهون الأحياء، في حين أنّ الثورة ومنذ اليوم الأول الذي انطلقت فيه رصاصتها الأولى عمدت إلى المحافظة على الأسرى محافظة تامة.

ويتحدث التقرير الشهري الصادر عن المكتب الثاني والذي توزع منه (في إطار السرية التامة) 25 نسخة لخمسة وعشرين إطاراً من إطارات الجيش الفرنسي على مستوى القطر كله.

يتحدث هذا التقرير عن معاملة الثورة للأسرى، فكتب يوم 30 جوان 1958 مايلي: - أفادتنا بعض المعلومات الواردة إلينا من مصادر عليمة أنّ المسؤولين من ضباط جيش التحرير يشدّدون في أوامرهم الموجهة إلى الجنود للمحافظة على أرواح الأسرى الفرنسيين ويحثهم، على إلحاقهم بسرعة إلى الحدود الشرقية وتسليمهم إلى هيئة الصليب الأحمر الدولي دون أن يعرضوهم إلى هجومات تودي بحياتهم مع احترام

إنسانيتهم، هذا ما جاء في تقريرهم السري، في الوقت الذي يعدمون فيه بلا محاكمة أسرانا، بل ويضعون الألغام تحت جثثهم وهم الذين يدّعون أنهم من بناة الحضارة الإنسانية، وهو ما يدعونا إلى القول أنّ الحضارة الفرنسية (شهادة مزورة).

وصادف أن كان معنا أثناء استشهاد البطل (بوقرة) أسيران من الآباء البيض ألقي عليهم القبض كنوع من رد الفعل على أسر الشيخ (سي إبراهيم) إمام مسجد المدية، والذي أعدم بالرصاص دون محاكمة، لأنه رجل دين يحث الناس في خطبه على الجهاد في سبيل الله، وكان صديقًا للراهبين.

قتلوا الإمام والبديل عندنا هو إطلاق سراح الراهبين عملا بالأصول وبالمثل الإسلامية العليا، وكسبنا من وراء تلك العملية صداقة رجلين من رجال الدين المسيحي، فتعهدا لنا بمد يد المساعدة ما استطاعا إليها سبيلا، وفعلا نفذا ما وعدا به.

وحملا معهما المناشير التي كتبها الدكتور فارس وقاما بتوزيعها على الجنود والمعمرين مبرزين من خلالها فظاعة ما يرتكبه الجيش الفرنسي، لأنهما رجلا دين، فقد طرد الأول إلى إيطاليا في حين فرضت الإقامة الجبرية على الثاني وحرم من مزاولة طقوسه الدينية ومنع من دخول الكنيسة.

وبعد مدة من الزمن ألقي القبض على الدكتور (يحي فارس) ونفذ فيه حكم الإعدام بنفس الطريقة التي أدان بها المستعمر في مناشيره، وفي نفس المكان الذي تحدث في مناشيره وبنفس الأسلوب أيضا أعدم أيضا الدكتور (إسماعيل بوضربة).

إن الدكتور (يحي فارس) من الأطباء الذين تركوا مقاعد الدراسة في جامعة (مونبوليي) للالتحاق بالثورة عن طريق المغرب، التي قدم منها إلى الولاية الرابعة سنة 1958 وقد استفادت الثورة من ثقافته وعلمه أيّما استفادة، سواء فيما يتعلق بالعلاج أو بكتابة المناشير التي كان يرد بها على ادعاءات المستعمر وكان من بين قائمة الشهداء (الأطباء) الذين جاهدوا في الولاية الرابعة وهم الدكاترة:

- يحي فارس (استشهد)
- محمد بن سونة (توفي بعد الاستقلال)
- بكير قديري (استشهد)
- إبراهيم تريشين (استشهد)
- محمود خُوشَتْ الجبس جراح أسنان (استشهد)
- علي آيت إدير (استشهد)

- سليم زميرلي (استشهد)
- إسماعيل بوضربة (استشهد)
- الجيلالي رحمون (توفي بعد الاستقلال)
- إسماعيل دهلوق (لا زال حيًا)
- سعيد هرموش (لا زال حيًا)

وهؤلاء إطارات الولاية الرابعة وأعتقد أنه لا توجد ولاية أخرى استشهد فيها مثل هذا العدد من الإطارات المتعلمة وخاصة من الأطباء، إضافة إلى قائمة طويلة من الممرضين والممرضات تجاوز عددهم العشرات، وغيرهم من شهداء الولاية الرابعة وجميعهم من أتباع وجنود الشهيد القائد (بوقرة)...

15 ماي 1959 أطلق الفرنسيون دعاية مسمومة مفادها أن العقيد (بوقرة) قتل بفضل معلومات نقلت إليهم عن مكان تواجده بواسطة بعض المجاهدين من رفاقه واستطاعت الثورة أن تقضي على الإشاعة بسرعة وأن ترد عليها بما يفيد وأن الولاية الرابعة لم تعرف في تاريخها خيانة ولا تآمرا وأنّ القائد قد استشهد بعد أن تمكنوا من حصر مكان تواجده إثر تحليلهم لموجة الذبذبات الصادرة من جهاز الإرسال خاصة بعد أن ذكر إسمه شخصيا في المكالمة واستشهد مع القائد الإخوة الآتية أسماؤهم:

- رشيد بوشوشي (ضابط برتبة نقيب)
- محمد المسبل
- عمار
- دحو
- بوزيان (رئيس المركز) وعشرة آخرين من جنوده.

استشهد القائد وعمره لا يتجاوز 31 سنة، كان طويل القامة غزير الشعر، كث الحاجبين واسع العينين، أنيقا، دائم الابتسام، وكنا نشبهه بجمال عبد الناصر أيام شبابه من حيث طول القامة وشكل الأنف والشارب.

كان متواضعا، شديد التواضع، لم أعرف عنه يوما أنه أهان جنديا أو مواطنا مهما كان غضبه عليه شديدا، يطعم الجنود بيديه ولا يأكل إلا بعد أن يشبع جنوده، يتفقد أحوالهم ويسأل عن أحوال الشعب عامة، وكان يعرف كل صغيرة وكبيرة في الولاية، وكان لا ينام إلا إذا استمع إلى شكاوي المواطنين خاصة أرامل وأبناء الشهداء، وكثيرا ما حلّ مشاكلهم قبل أن ينام، وكان إلى جانب خصاله وصفاته القتالية كثير

العاطفة شفاف الروح يتذوق الشعر والغناء، فاجأته ذات يوم وهو منكب على كتابة تقرير وبجانبه مذياع صغير يذيع أغنية لا أعرف عنها شيئا وهو يدندن مع الأغنية بصوت رخيم عذب، فاحمرّ وجهه عندما شعر بوجودي بجانبه وكأنه قد ضُبط متلبسا بشيء غير طبيعي فقال لي وهو يبتسم على استحياء:

إني لا أملّ مطلقا من سماع هذا الصوت، فهذه مطربة عظيمة أم كلثوم (حلّوفة) ومنذ ذلك اليوم استعملنا كلمة (حلوفة) لكل عمل عظيم، ولكل موقف عظيم ولكل معركة كبيرة كقولنا مثلا هذه معركة (حلوفة) أو هذا كمين (حلوف).

وذلك هو القائد (سي امحمد) السياسي والعسكري والإنسان الذي يفرق بين الواقع والخيال ويعرف قيم الرجال ويعطي لكل ذي حق حقه. عرف عنه الصرامة والجدية منذ أن كان مناضلا في الحركة الوطنية إلى غاية التحاقه بالمنظمة العسكرية السرية التي هيأت للثورة إلى يوم وفاته رحمه الله.

كان الفقيد قد بذل ماله وروحه في سبيل تحرير وطنه مات في ريعان الشباب دون أن يتزوج، همه الوحيد تحرير الأرض والإنسان.

كان براً بوالديه وإخوته عطوفًا عليهم وبقدر ما كان قاسيًا على عدوه كان حنونًا ورؤوفًا على أهله ورفاقه وكل ما قيل بالأمس ويقال عنه اليوم لن يعطيه حقه من التكريم، ونحن نسأل لماذا ونحن في نهاية الثمانينيات ليس له إلى اليوم قبرٌ يضم جسده في حين أن بعض رفاقه جيء بجثمانهم من أماكن متعددة لماذا بقي وحده نسيًا منسيًا لا نعرف أين دفنت جثته؟ وتكريم جثة المقاتل يعني تكريم الوطن والأمة والتاريخ، بماذا نفسر مطالبة بعض الدول -التي لا تعترف بقيم أو تقاليد- باستعادة جثة جندي سقط في معركة غير متكافئة مقابل ما يعادل مئة أسير، إذاً لا يكفينا اليوم أن نكتب أو نحاضر أو نعلق صور (سي امحمد) أو نسمي باسمه الشوارع والساحات أو نقيم له التماثيل أو نقف للترحم على مكان استشهاده في المناسبات أو نسمي باسمه أطفالنا... لا يكفي ذلك ولن يرضى عنا الشهيد إذا لم ندفن رفاته في قبر يكون مزاراً للعام والخاص إسوة بما فعلوه مع أبطال الجزائر الآخرين، فليس بكثير عليه وعلى الولاية الرابعة أن يهتم المعنيون بأمره ويبحثون عن مكان اختفاء جثته بالطرق الرسمية والدبلوماسية، إذ يكفيه فخراً أنه واحد من الذين صنعوا ثورة نوفمبر وهو الرجل الذي صنع الولاية الرابعة وحافظ عليها من الهزات، وهو الذي جعل منها

قوة يحسب لها العدو ألف حساب وهو الذي أمر بإرسال وحدات وأبطال من الولاية الرابعة لجمع شمل الإخوة في أماكن أخرى كثيرة شهدت خلافات ومشاكل عديدة، وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر تحضره جميع الولايات لوضع برنامج ومخطط مضاد لبرامج فرنسا ومخططاتها، وهو الرجل الذي كان نعم الرفيق والصديق لقادة الولايات الأخرى أمثال عميروش والحواس وأوعمران وكريم وديدوش وعبان وبن مهيدي وبن بولعيد وزيغوت وغيرهم...

وهو الرجل الذي وضع روحه على كفه ليلة أول نوفمبر ،جعل من القلة القليلة أبطالا، وهو الذي اهتم بالإنسان ومحيطه قبل أن يهتم بنفسه، وحتى بعد رحيله بقيت الولاية الرابعة بالرغم من كل المحن التي تعرضت لها قاعدة متينة للنضال، رجالها أشداء وجماهيرها متحدة ومعبأة، وفي هذا الشأن يقول تقرير المخابرات الفرنسية وهو يصف الحالة النفسية والسياسية لبعض الرجال في الولاية الرابعة، ويشير إلى ضابط اسمه (حميد) إشارة لا تخلو من معاني التقدير والاحترام، و(حميد) هذا الضابط الصغير السن يحبه الجميع لأنه شجاع وقوي وصامد إلى درجة الاندفاع أحيانًا. وعن اندفاعه خاطبته مرارا واستعملت معه أسلوبًا قاسيًا خوفًا عليه من المفاجآت التي تحدثها اندفاعاته.

هذا الرجل والضابط الشجاع الذي تحدثت عنه التقارير السرية للعدو، كان من صنع الشهيد القائد (بوقرة) وكان التقرير يشير إلى الثوار بكلمة المجاهدين فلم يستعمل أثناء حديثه عن الثورة كلمة (فلاقة) أو الإرهابيين. والفضل في ذلك كله يعود أساسًا إلى القائد الشهيد بوقرة الذي فرض إرادته على المستعمر وفرض احترامه على الجميع.

ولولا حسن تنظيمه وتسييره لشؤون الولاية الرابعة لما قال الجنرال (ماسيو) وهو يتحدث عن الولاية الرابعة: (أستطيع القول أنّ الثورة في الولاية الرابعة هي ثورة طاهرة).

كان بوقرة يحتوي المجاهدين كما تحتوي الشجرة ثمارها وكان دومًا معنا كالنهر مع مجراه، كان الشهيد (سي امحمد) بالنسبة لي أخًا وقائداً ومعلمًا، ولن تبرح صورته خيالي مادمت حيًا، أتمثله كل يوم يحثني على الدعوة لأن أذكّر الذين بقوا على قيد الحياة من رفاق الدرب بمآثر الثورة وأهمية المحافظة على الاستقلال وعلى وصية الجندي الشهيد، وأذكر الأجيال القادمة بعظمة الثورة كي لا تنسى في زحمة الإفرازات اليومية

تضحيات الشهداء وها أنذا بعد هذا العمر الطويل أفعل ما أمرني به (قائدي) ومن خلال كتابي هذا أكون قد طالبت نيابة عنه وعن جميع المجاهدين ونيابة عن معارفه ورفاقه ونيابة عن التاريخ بالبحث الجدي لاكتشاف مكان رفاته ودفنه، في معلم بارز كي لا تبقى صفحة مشرقة خارج مجلد التاريخ !

وفي هذا ردٌ لدين لازال في عنقي في حق رجل علمني معنى الكرامة ومعنى الإنسانية ومعنى الوطنية، وعلمني معنى عزة الموت ووقفة الحياة.

وما يتصف به العقيد من صفات الثورة والخصال النضالية لا يعني ذلك أنّ الثورة لم تعرف ضمن مسيرتها النضالية إلا الإيجابيات والبطولات والعظماء والطاهرين، إنما عرفت أيضا وضمن ما عرفته سلبيات عديدة وهي السلبيات التي مدت في عمر الحرب شهورا طويلة والتي كلفت الوطن ما كلفت من خسائر ودمار.

فكلنا يعرف أن ثورة الجزائر هي ثورة عمال وفلاحين (أي ثورة خطط لها ونفذها في ظروف غير عادية المواطن العادي) ولم تكن ثورة رسل أو أولياء صالحين، أي أنها لم تكن ثورة منزلة من السماء، بل كانت ثورة بشر على الأرض، وضمن التركيبة البشرية للمجاهدين نجد أنّ فيهم أبطالاً وعمالقة وفيهم أيضًا ضعاف النفوس، ومن يدعي أن الثورة الجزائرية طوال مسيرتها الطويلة جداً لم تعرف الأخطاء والصعوبات مثل الذي يخفي رأسه في الرمال اعتقادا منه أنه قد اختفى عن أنظار العدو، ولذا وضمن سنوات النضال الطويلة فقد جرت وقائع وأحداث بعضها منطقي وسليم وبعضها غير طبيعي وغير منطقي بالمرة، والنماذج البشرية أثناء الثورة التي كونت في مجملها جيش التحرير كانت على الشكل التالي:

1 - أناس عاديون جداً ساقتهم الأحداث إلى الثورة فانساقوا معها دون أن يؤثروا في الثورة لا من قريب ولا من بعيد.

2 - أناس نظريون يفضلون النظرية على التطبيق وكان لهم تأثيرهم السلبي على مسيرة الثورة.

3 - إيديولوجيون همّهم الوحيد ترسيخ مفهوم الأيديولوجية وتحويل مسار الثورة نحو اتجاهات مختلفة، وعن هذه النماذج أذكر ما حدث لي ذات مرة حيث جرى نقاش بيني وبين مجاهد (ماركسي العقيدة) انضم إلى صفوف الثورة بعد أن آمن بانتصارها، وهو المسمى (مصطفى سعدون) من مدينة شرشال، إذ سألني ذات يوم: هل تملك أيديولوجية تدافع عنها وتريد تحقيقها؟ فنظرت إليه باستغراب ولم أقل

له شيئا لأني اعتقدت لحظتها أنّ "الأيديولوجية" التي يتحدث عنها هي سلاح جديد لا أملكه ولا أعرف نوعيته! فما كان منه إلا أن بادلني بنظرة استغراب إذ خيّل إليه أنه لا يمكن أن ينضم شخص إلى صفوف الثورة دون أن يكون أيديولوجيا أو مهيكلا داخل تنظيم أيديولوجي !

4 - والبقية التي التحقت بصفوف الثورة من صفوف الشعب آمنوا بالثورة إيمانا لا حدّ له، وهذا النوع من المجاهدين سريع التأثر إلى درجة أنّ بعضهم يتصرف وكأنه شخص مسلوب الإرادة أو فاقد الوعي، ومنهم من قتل بيديه أخويه أو أمه من أجل الثورة وحماية المجاهدين، وهو ما حصل فعلا في إحدى الأماكن في الولاية الرابعة حيث قتل مجاهد أفراد عائلته من أجل حماية الثورة كما ذكرت.

هذه هي الحقيقة كما عشتها والله شاهد على ما أقول !

جبهة و جيش - التحرير الوطني
الولاية الرابعة

الى الاخ العقيد سي امحمد
تحياتي الوطنية
لقد تنبه العدو الى خطتنا الهادفة
الى اقلاع مركز اولاد احمد
المتقدم يوم 21 افريل 1957
وقام العدو يوم 22 افريل بعملية
واسعة بناحية اولاد عابد
لشمال قصر البخاري وكانت المعركة
عنيفة اسقطنا طائرة
جنوب الطريق الرابط بين
قصر البخاري والبرواقية وغنمنا

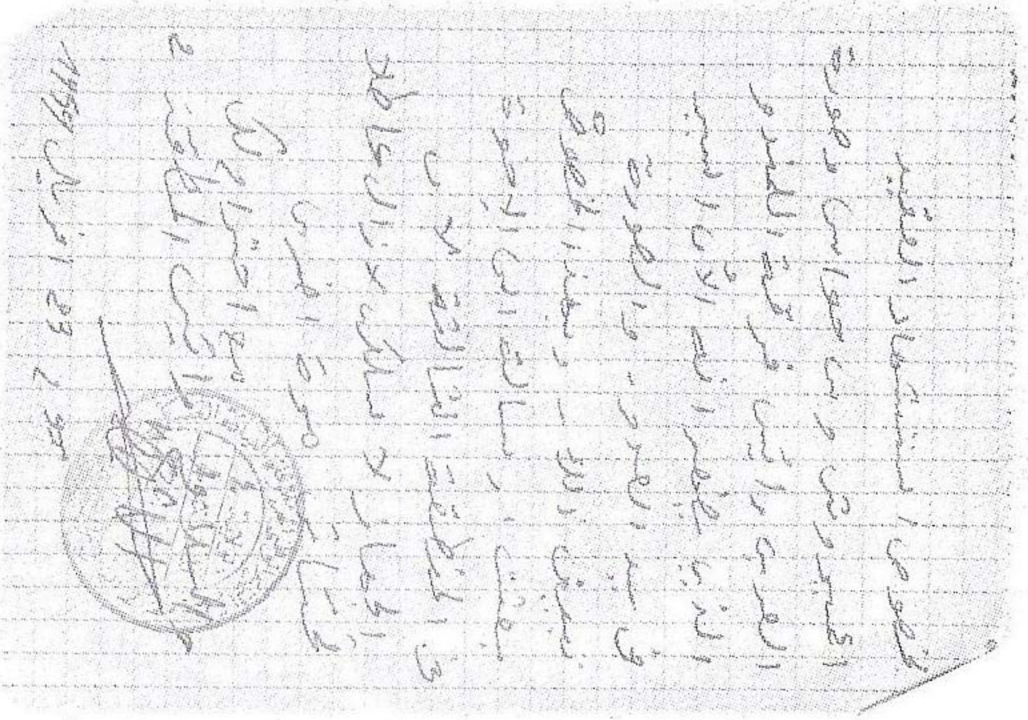

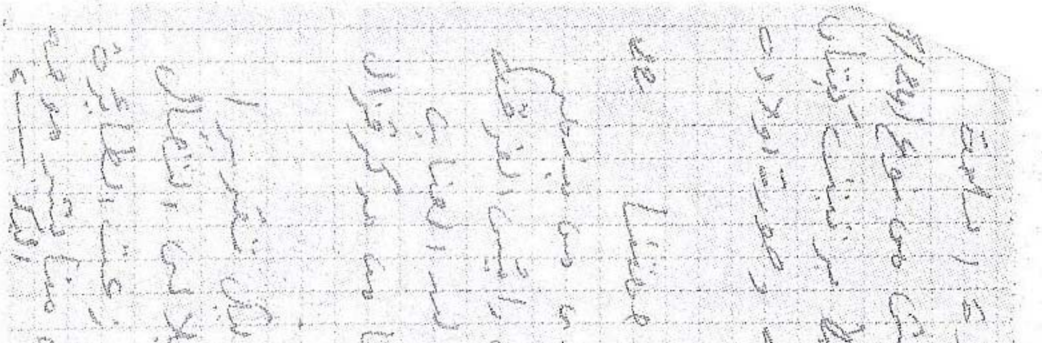

ملحق رقم 07

شهادة «من أجل مليون من الشهداء» (*)

مالك بن نبي - كاتب جزائري

كنا في انتظار المفاوضات التي ستضع كلمة الختام في تلك الصفحة الرائعة والأليمة التي كتبها الشعب الجزائري في التاريخ بدمه الزكي.

وإذا بالصحافة توقظنا ذات صبيحة لتخبرنا بأن المفاوضات قد انتهت بمدينة «إيفيان» وكأننا مررنا بمنطقة ظلام أخفت مؤقتا عن الأنظار بعض الحقائق التي م يكن الاستعمار يرغب أن يعلمها الشعب الجزائري.

ولكن هذا الشعب سيدعى على أي حال لتقرير مصيره، وهو يعلم أي ثمن فادح قد دفع لاكتساب هذا الحق.

ولو كان الموت هو المرجع الوحيد لتقدير هذا الثمن فلا شك أن شهادة المقبرة الهائلة التي تجمعت فيها رفاة مليون من الشهداء، لكافية لتقديره، ولإلزام كل جزائري بأن يقوم بواجبه كشاهد حتى لا يذهب سدى هذا الثمن الفادح.

وربما شعرت بهذا الالتزام أكثر من غيري لأنني عندما نزلت القاهرة سنة 1956 لأضع قلمي وشخصي في خدمة الثورة، أبت الأقدار إلا أن تضعني منها موضع الشاهد لأسباب سأعلنها يوم يحاسب الشعب الجزائري كل فرد من الذين كانوا بالقاهرة -هذه الفترة- عن أعماله.

وعليه فمن واجبي أن أقوم بدور الشاهد بكل إدراك لمسؤوليتي في هذا الدور.

(*) النسخة الخطية الأصلية لهذه الشهادة زودنا بها الباحث الجزائري المقيم بباريس الدكتور صادق سلام، وقد أدرجناها كوثيقة هامة في هذا الكتاب لصلتها المباشرة بموضوعه. (المؤلف).

وإنني أشعر بهذا الواجب بصورة خاصة في الوقت الذي سيقوم فيه الشعب الجزائري بآخر وأخطر عمله الثوري، إذ هو العمل الذي سيحقق كل نتائج ثورته، أو يعرضها للتلف، إذا ما -لا قدّر الله- لم يكن لديه من المعلومات ما يجعله يتخذ الاحتياطات اللازمة أثناء الاستفتاء وخلال الانتخابات التي تتبعه.

ولو أردت أن أعبّر عن شعوري بكل وضوح للزم أن أكتب كتابا لأصف وضعًا قد يكفي أن نقول عنه أنه فاجأنا بتفاصيله الغريبة من حين إلى آخر، عندما نرى مثلا القاضي لخضري وهو من هو يتكلم للشعب الجزائري من صوت العرب؟ أو نرى عبد الرحمن اليعلاوي يتولى في دمشق الإشراف على حسابات الثورة !... إلخ إلخ ! إلخ...

وهذا الوضع هو الشيء الذي يجب اليوم على الشعب الجزائري أن يعرف حقيقته حتى لا يضع بناءه السياسي والاجتماعي بعد الاستقلال على أرض تغوص فيها الأقدام في الخيانة والمكر، واللامسؤولية، ومن حقه أن يعرفه قبل أية انتخابات مزعومة يستعد لها كل زعيم للانتصار على غريمه للاستيلاء على مصير الشعب الذي سيبقى هكذا في أيد تتقاذفه من الحكيم بن جلول إلى مصالي الحاج، ومن هذا إلى فرحات عباس وفرانسيس، ومنهما إلى بن خدة وبوالصوف، ومنهما إلى زعيم آخر، كل يلعب ويعبث كيفما شاء بمقدرات الشعب ومعنوياته على الطريقة التي يريدها الاستعمار ويؤيدها علنا أو خفية !

يجب أن ينتهي هذا الوضع المخزي، ولن ينتهي أبدا على يد أي زعيم يرغب في إبقاء هذا الوضع لحسابه(1) وإنما سينتهي على يد الشعب نفسه على شرط أن يعرف الحقيقة التي اتفق إجماع الزعماء على إخفائها.

ولهذا نقترح عقد مؤتمر شعبي عاجل بالمقبرة التي تضم جثمان مصطفى بن بولعيد وأن يشكل هذا المؤتمر على الفور لجانا تختص كل واحدة منها بالتحقيق في نقطة من النقاط الآتية وهي مُلزمة بتقديم تقريرها في وقت معين قبل إجراء أية انتخابات في الوطن :

---

(1) وهذا ما تؤكده تجربتنا الأخيرة، حيث أننا حاولنا أن نبلّغ هذه الشهادة إلى الشعب عن طريق مجلس الثورة عندما كان مجتمعا بطرابلس، وقد أبلغناها بهذا لأحد الزعماء كي يعلنها لهذا المجلس ولكن الزعيم تفضل بكتمانها لأنه لا يريد أن يعرف الشعب واقعه.

1 - تحقق عن الظروف المريبة التي تكونت فيها بالعاصمة (الجزائر) منذ شهر أفريل 1955 قيادة منفصلة عن قيادة الثورة بجبل الأوراس وتؤكد انفصالها بلقبها المستعار (ZAA) أي القيادة المستقلة لمنطقة العاصمة.

ومن المعلوم أن هذا السلوك يخالف تماما مبدأ «وحدة القيادة» الذي يجب التمسك به في الحروب العادية وفي الحروب الثورية على وجه الخصوص، حيث يؤدي كل ازدواج في القيادة إلى تبديد الطاقات الثورية حتى على فرض أن تصدر كل قيادة نفس التوجيهات التي تصدرها الأخرى بينما رأينا قيادة العاصمة تتخذ قرارات تخالف تماما خطة القيادة «بالأوراس»، مثل الدعوة إلى مؤتمر الصومام في 20 أغسطس 1956 وتأسيس مجلس التنسيق والتنفيذ (CEE) الذي عبّر تأسيسه عن قلب النظام الثوري رأسا على عقب، حيث كانت نتيجته الأولى تقرير أولوية الجانب السياسي على الجانب العسكري في قيادة الثورة وتوجهها، أو بعبارة أخرى وضع مصير بن بولعيد وإخوانه المجاهدين تحت سلطة السيد فرحات عباس وفرانسيس وبن خدة إلخ... حتى خرجت الثورة من يد الأبطال الذين أسسوا جيش التحرير (ALN) وأصبحت بيد أولئك السياسيين الذين كوّنوا نقابة لرعاية مصالحهم أطلقوا عليها إسم «جبهة التحرير» (FLN) لإغراء الشعب بالألفاظ.

ومن تتبع بإمعان تاريخ هذه الفترة قد لاحظ بدون أي شك التغيرات العميقة التي حدثت في جهاز الثورة كله حتى يستطيع المؤرخ الخبير أن يعبر عن الوضع الجديد بأنه كان في الحقيقة حركة ضد الثورة توجهها من بعيد أيدي خفية من «باريس» و «العاصمة»، حركة مُقنّعة تفاجئنا أحيانا بتفاصيلها الغريبة مثل التي ذكرنا والتي لم نذكرها عندما يُنَصّبُ على وجه المثال رجل كاليزيد الذي أذعرني جهله (يوم اكتشفت ذلك في مناسبة معينة) في منصب وزير استعلامات !؟

فهذا الوضع الغريب هو الذي يزحف الآن إلى حلبة الانتخابات المقبلة ليصبح الوضع الشرعي في الجزائر المستقلة.

2 - تحقيق عن الظروف المريبة التي وجد فيها حتفهم أولئك الرجال الذين قادوا الثورة في خطواتها الأولى «مصطفى بن بولعيد»، «عباس لغرور»،

«يوسف زيغود»، «بن مهيدي» «عميروش»، «الكولونيل محمد الباهي»، «عبد الحي» إلخ... !

وربما يكشف التحقيق عن صلة مقتل هؤلاء الرجال بأولئك الذين نصبوا أنفسهم قيادة مستقلة بالعاصمة في شهر أبريل 1955، والذين كانوا يهدفون بكل وضـــوح إلى الاستيـــلاء على مقاليد الثورة كـما يبدو ذلك أيضا في اختطاف بن بلة[1].

3 - تحقيق عن تصرف القيادة التي كونها مؤتمر الصومام من وجهتين:

أ - أن القيادة الفرنسية استطاعت أن تنشئ خط موريس المكهرب بكل هدوء دون أن تقوم القيادة الجزائرية الجديدة بأي مجهود يبطل هذا المشروع أو يعطله على الأقل.

ب - وعلى العكس نرى القيادة الجزائرية تعطل في هذه الفترة بالذات تموين الجيش في الداخل بالسلاح والذخيرة، بل تبطله في الوقت الذي كان يجب فيه تنشيطه نظراً لبناء «خط موريس».

ومن الواقع نرى النشاط الثوري كله يخمد منذ مؤتمر الصومام ونرى الوحدات المقاتلة التي كانت تقف في وجه الاستعمار في الداخل تسحب بالتدريج على الحدود شرقا وغربا كأنما إرادة خفية تُنشئ بذلك موقفا يتيح للقوات الاستعمارية أن تسترجع الأنفاس التي فقدتها خلال معارك 1954 - 1955، حتى أنه يمكننا أن نقرر للتاريخ أن آخر معركة تذكر هي التي خاضتها القوات الثورية بجبل «أرقو» في خريف 1956. وبعدها سيصبح جيش التحرير الظافر الذي كان قوة الشعب الضاربة في معاركه الخالدة مجرد قوة استعراض يستخدمها الزعماء لدعايتهم في المهرجانات الصحافية على الحدود...

4 - تحقيق عن الظروف المريبة التي انضم فيها بعض القواد الجزائريين العاملين بالجيش الفرنسي إلى جيش التحرير، ولماذا وقع انضمام بعضهم مثل المدعو "الكومندان إيدير" عن طريق قيادة العاصمة عوض أن يكون عن طريق

---

(1) دون أن يجعلنـــا قـولنا هـذا مرتبطـين بـأي زعيـم من الـزعمـاء، وإنمـا نقـولـه لمجـرد إجـــلاء الحقيقة للتاريخ.

قيادة جبل «أوراس»، بينما كان هذا الضابط يعمل في وحدة فرنسية تقيم بمدينة «خنشلة».

ومما يلاحظ أن هؤلاء الضباط تناولوا مناصب مرموقة في جيش التحرير، وهي المناصب التي جردوا منها أصحابها الذين استحقوها لخدمتهم في صفوف الثورة منذ اليوم الأول، بل نرى أصحابها قد قتلوا في مؤامرات اغتيال شنيعة، مثل مصطفى الأكحل الذي اغتاله جهارا السيد بوصوف بالقرب من مدينة الكاف التونسية، وبعضهم جرد من منصبه وترك وشأنه بلا زاد ولا راحلة في شوارع تونس أو الرباط.

5 - تحقيق عن اغتيال المرحوم «عميرة علاوة» في مقر الحكومة الجزائرية المؤقتة «بالقاهرة» لأنه اكتشف أثناء مهمة توجه فيها إلى «بيروت» اتصالات مريبة تخص السيد فرحات عباس.

6 - تحقيق عن تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة مع الطلبة الجزائريين في الخارج لوضعهم تحت تصرف جهاز نقابة جبهة التحرير (FLN) حتى أن الطالب الجزائري فقد شخصيته وأصبح آلة يوجهها السيد كريم بلقاسم لمصالح معينة، بحيث فقد الطالب كل استعداد للقيام بواجبه، وقيد فعلا نشاطه بصورة لم يكن يعرفها حتى أيام الاستعمار.

7 - تحقيق عن تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة في أموال الثورة من وجهتين:

- من الوجهة الفنية لعقد المقارنة بين الميزانية التي خصصتها هذه الحكومة للجيش والميزانية التي تخصصها للجهاز السياسي.

- ومن الوجهة الأخلاقية للكشف عن التكاليف التي كانت هذه الحكومة تخصصها لأعضائها في السنوات الأخيرة.

8 - تحقيق عن كيفية تشكيل مجلس الثورة، وهل هو في صورته الراهنة يحقق تمثيلا كافيا للشعب الجزائري ولكافة مناطق الوطن تمثيلا حقيقيا.

9 - تحقيق عن الدوافع التي دفعت السيد بن خدة إلى الدخول في مناقشات ديبلوماسية بمدينة الرباط من أجل ربط الشعب الجزائري بفكرة «المغرب الكبير» دون مراجعة الشعب في الأمر أولا. والمعلوم أن حكومة ثورية مؤقتة ليس لها إلا أن تواجه مشكلات الثورة العاجلة.

ملخص :

وملخص شهادتي هو أنه يجب علينا أن لا نترك الشعب يخوض معركة انتخابية في الظلام الكثيف الذي يخفي على بصره الحقيقة المؤلمة التي أحاطت بثورته، والتي يحاول الزعماء -كل على شاكلته- إخفاءها إلى الأبد، والتي تتجلى في ذلك الواقع الذي كشفته لنا الأيام، وهو أن أيام الحداد والبؤس التي عاشها الشعب خلال الثورة كانت أسعد أيام زعمائه، أولئك الذين صرفوا دماءه في ولائمهم حيث تسكب الشانبانيا والويسكي كما يتصرف تماما أمراء العرب في بترول بلادهم لتشييد قصور ألف ليلة وليلة...

ويجب أن نضيف إلى هذا أنه لم تصعد من فم عالم أو مثقف جزائري أثناء هذه المأساة المحزنة أية صرخة استنكار لإيقاظ الشعب لواجبه، بل كان كل واحد حريصا على أن يأخذ مقعداً في وليمة الزعماء، أو ينتظر دوره... بحيث يجب على كل جزائري صاحب ضمير أن يبلغ الشعب هذه الشهادة حتى يكون على بيّنة من الأخطار التي تهدد الحقوق والحريات المقدسة التي مات من أجلها مليون من أبنائه الشهداء وليكون على بصيرة من الأطماع الحقيرة التي تزحف نحو ثمرة ثورته لتجنيها من يده.

ملاحظة: الوثيقة بدون تاريخ ولكنها يبدو -من خلال النص- أنها كُتبت في الفترة ما بين الإعلان عن توقيف الحرب يوم 19 مارس 1962 والاستفتاء عن تقرير المصير الذي وقع يوم 3 يوليو 1962.

(المؤلف)

منشور من الولاية الرابعة بعنوان «هل سينكرون ذلك؟»

(C O P I E)

FRONT DE LIBERATION NATIONALE

Wilaya IV

LE NIERONT-ILS ?

ARMEE DE LIBERATION NATIONALE

Lecteurs, prenez un registre du format le plus grand que vous puissiez trouver, munissez-vous d'un stylo et essayez - si vous le pouvez ? - de dresser un bilan même approximatif des exploits de l'armée française. Vous serez étonnés d'apprendre :

I°) Que l'importance de l'armement récupéré permettrait à la France de subvenir en canons, mortiers, mitrailleuses, fusils de guerre et fusils de chasse aux besoins non pas seulement de sa propre armée mais aussi de toutes les armées européennes et ... corporations de chasse.

2°) Que le nombre des moudjahidines "tués" dépasse le million ! (alors que, d'après les évaluations des "experts militaires" français, les effectifs de l'A.L.N. ne dépasseraient pas 30.000 hommes). Que faut-il croire ? C'est au point que l'auteur de ces lignes se demande s'il n'a pas été lui-même tué... sur le papier. Décidément les frustres "spécialistes" des services de déformations du petit caporal R. Lahonte ont perdu et les sens de la mesure et le sens du ridicule. Demandons-leur plutôt de nous expliquer pourquoi la radio et la presse française sont-elles devenues tellement avares d'informations militaires alors que les combats font rage à travers la wilaya ?

Pourquoi n'ont-ils soufflé mot de CETTE SERIE DE BATAILLES qui se sont déroulées entre le 25/LL/57 et le 2I/I2/57 : I°) Dans le djebel Dirah le 25/II/57 :9I soldats tués et 35 blessés. 5 morts et 7 blessés dans nos rangs. Nous avons récupéré: I F.M. BAR, 2 Mat 49, 6 Garant, 15 V.B.; 2 T-6 abattus par notre D.C.A. 2°) A Béni-Zermane, aux abords de Hammam-Mélouane, 2 journées d'accrochage, les 28 et 29/II/57 : plus de 150 paras tués, I hélicoptère Sikorsky abattu; armement important récupéré. 3°) Dans l'Ouarsenis, le 3/I2/57 : un important convoi entièrement détruit; lourdes pertes françaises, entre autres 2 Officiers tués; I avion de chasse T-6 abattu. Aucune perte à déplorer dans nos rangs; nous avons récupéré des Mat, des carabines, des chargeurs de F.M. et 2 postes E.R. 4°) Au douar Bouhlel (Sud de Gouraya) le 5/I2/57 : 70 soldats tués, un grand nombre d'autres blessés; de notre côté, I mort. Nous avons récupéré : 2 fusils Garant avec 30 chargeurs pleins, I mitraillette Thompson avec 8 chargeurs, I tromblon de fusil Garant avec 8 V.B., I pistolet 9m/m avec 2 chargeurs, I2 chargeurs de F.M. et d'importants documents. 4 prisonniers dont I chef de compagnie et I caporal-chef. 2 Algériens ont rejoint nos rangs avec armes et bagages. 2 T-6 abattus par notre D.C.A. et 2 autres tombés par accident. I moudjahed est tombé au champ d'honneur. 5°) A Béni-Ali, au Sud-Ouest de Gouraya, le II/I2/57 : 30 soldats tués et plusieurs blessés; 2 blessés graves dans nos rangs. Nous avons récupéré I F.M. BAR. 6°) A El-Kumch, au Sud-Ouest de Médéa, le II/I2/57 : I2 camions G.M.C. incendiés, leurs occupants tués et, parmi eux, I capitaine et I lieutenant. 2 morts dans nos rangs. Récupération de Mat, Garant, Thompson et d'un poste E.R. 300; au cours du combat des Algériens ont rejoint nos rangs et retourné avec enthousiasme leurs armes contre les ennemis du peuple. 7°) A Sidi-Charef, au Sud-Ouest de Marceau, le I9/I2/57 : plus de 80 soldats tués dont l'Etat-major du bataillon qui a eu son P.C. détruit. Dans nos rangs, I mort et quelques blessés. 8°) Au Nord de Hammam-Righa, le 2I/I2/57 : I2 soldats tués et leurs armes récupérées. C'est bien en vain que les colonialistes, pour rassurer leur opinion publique, jettent un voile pudique sur leurs pertes et font état des vertus extraordinaires des ... réseaux de barbelés. Pourquoi n'enserreraient-ils pas chacun de leurs soldats d'une solide ceinture de barbelés ? Celle-ci lui éviterait peut-être de se voir arracher son arme. Car personne n'ignore plus que le grand arsenal de l'A.L.N. n'est autre ... que l'armée française.

ملحق رقم 09 وثيقة فرنسية سرية حول تمركز قواتنا في نواحي موقورنو (1958)

REFERENCE :- Note n° 668/4.2.B.-Commandement Régional, du 1er Juin 1956.-

FICHE de RENSEIGNEMENTS

N° 252 / 4.FR.

COMPAGNIE DE MEDEA

Heure de transmission :
Moyen de transport: Poste Militaire

ORIGINE	: Brigade de BERROUAGHIA (Fiche n° 343/4, du II Décembre 1958).
SOURCE	: Inf.Permanent - D.L. - 1.
VALEUR	: C / 3.
DATE du RECUEIL	: 11 Décembre 1958.
ANALYSE du RENSEIGNEMENT	: Le douar Mongorno serait infesté de rebelles, dans la région comprise entre MOUDJEBEUR à BOUACHRA (4 à 5 Compagnies).

Ces bandes seraient très bien armées et possèderaient des mitrailleuses et des mortiers.

Quelques déserteurs de l'Armée Française seraient parmi ces rebelles.

L'intention de ces rebelles, serait d'attaquer le P.K. 40 ou harceler le centre de BRAZZA.

MESURES PRISES :- Autorités habituelles avisées.

A MEDEA, le 11 Décembre 1958.

Le Capitaine SAVIN, Commandant la Compagnie de Gendarmerie de MEDEA.

DESTINATAIRES :-

- Gal.Cdt.Gie.X° RM (7 ex) ALGER
- Col.Cdt.X°Légion (3 ex) ALGER
- Chef d'Esc.Cdt.Grpt.Gie. MEDEA
- Cdt.zsa,exerçant pouvoirs civils dans Dépt.(Préfect) MEDEA
- Cdt.ZSA & 20°DI(EM-2°Bureau) MEDEA
- Cdt.Secteur MEDEA à DAMIETTE
- Cdt.Poste SSDN/FA/G MEDEA
- Cdt. le D.O.P.-Z.S.A. MEDEA
- Commissaire de la P.J. MEDEA
- Commissaire de la P.R.G.MEDEA
- Cdts.Compagnie de Gie. BOGHARI AUMALE - BLIDA et AFFREVILLE.
- Cdts.Brigade de la Compagnie.

ملحق رقم 10

منشور موجه إلى لجان المدن ومسؤوليها

الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

جبهة وجيش التحرير الوطني

الولاية الرابعة

المنطقة الثانية

منشور موجه إلى لجان المدن ومسؤوليها

التعليمات العامة للمنطقة

أولا - فيما يخص السياسة: 1 - دراسة الأركان للمراقبة وتوجيه الشعب وتفهيمه في المعنى السياسي والاقتصادي والاجتماعي. تكوين الأركان بعد تحصيل التعاليم النظرية والعملية فيما يخص الثورة الجزائرية 2 - الاجتماعات العمومية لتهذيب الشعب وتثقيفه في المساجد وأمكنة الاجتماع الأخرى فيما يخص السياسة. مواضيع البحث: أ - الثورة الجزائرية. معنى هذه الكلمة وأهدافها: الاستقلال السياسي والاقتصادي - والرقي الاجتماعي والإصلاح الزراعي. ب - تقرير المصير وما معناه. ت - الواجبات المستعجلة - تسخير جميع الفوائد - المشاركة الخالصة للعموم في عمل البناء - التضامن الفعلي المستمر مع المعوزين من يتامى الحرب والمنكوبين وأصحاب مخيمات عسكر الشكان ... والأجيب والفقراء - كل ذلك مع الهدوء الكامل والنظام والتيقظ التام.

ثانيا - فيما يخص الاقتصاد: 1 - نظرا للإصلاح الزراعي الذي سينفذ يجب منع المعمرين والخونة من شراء الأراضي 2 - شراء العقار ملاك ... فيه مع فرض ضريبة معينة (مذكورة في الفصل الملحق الآتي تفصيله) 3 - تشجيع إنشاء مؤسسات ذات نفع عمومي يقصد بها رفع مستوى الإنتاج القومي - ولا يسعى الإنسان بقصد الانتفاع المستعجل والفوائد الشخصية 4 - التسعي لمناهضة المؤسسات التي يريد أن يسير ذوي النوايا الخبيثة وذلك للتغلب عليهم ومنعهم من وسائل تخريب الاقتصاد الجزائري 5 - اختيار الأحياء المسلمة لتشييد مؤسسات جديدة

ثانيا ٢- فيما يخص المالية : إن جمع الأموال وهنا يجب الاشتراك للنظام السابق
الأخير والى الشعب المنصوص عليها - فالمعاملات بين المسلمين
يجب عليها ضريبة قدرها عشرون بالمائة تدفع انصافا بين
المتعاقدين - وإذا كانت المعاملة بين أوروبي ومسلم
فهذا الأخير وحده مطالب بدفع ذلك العدد أي عشرين في المائة ،
ويجب التفكير في تخفيض مبلغ الاشتراكات التي تدفعها
الطبقات الضعيفة وذلك عندما يأخذ به المدخول الجديد
٢- الميزانية . مثلا تدفع جميع مصاريف المنظمة في المدن ،
وما فضل منها شيء يدفع ويسلم الى السلطة العليا .
٣- ولابد هنا من استعمال سجلات حسابية لإحصاء الدخول
والخروج

ثالثا . التنظيم الاجتماعي . أ- الإعانات الاسعافية الكاملة
فيما يخص ضحايا حرب التحرير : أبناء وعائلات الشهداء
المعوزون - ب- المعطوبون ومن لا يتمتع بصحة كاملة
من رجال جيش التحرير الوطني وجبهة التحرير الوطني .
ت- الفارون الذين أصلهم من المناطق المحرمة سابقا
اللاجئون في ضواحي المدن .
٢- الإسراع في تطبيق المذكرة الخاصة بتأسيس النقابات
أ- مكافحة البطالة بالتعاون والتوفيق مع المسؤولين المحليين
للاتحاد العام للعمال الجزائريين : أ- احصاء البطالين
ب- تشغيلهم في الإدارات والمؤسسات المختلفة
ت- انشاء وظائف جديدة بتركيز رؤوس أموال جزائرية
في مؤسسات منتجة (انظر ما ذكر أعلاه)
ث- استخدام البطالين بوجه الرخص وبصفة مؤقتة في
الأشغال التابعة للعموم مع ضمان قوتهم وإيوائهم ان وجب
تابع جزء تكلف بتجديد البنايات في الأرياف .

ج. الإعانة لعائلات ذوي البطالة

ح. الثقافة الاجتماعية. تأسيس مراكز للثقافة الاجتماعية بمقدار مركز لكل قسم جهوي على حسب أهمية المدينة والقصد منها معالجة المشكلات العقلية وإرشادهم وتكميل لوسائل الثقافة وتربية الأطفال، إنشاء فرق من الممرضات والممرضين والمساعدات وفرق الإغاثة المستعجلة. وهذه المراكز تستعمل عند الحاجة كمستشفيات لإغاثة الجرحى والمرضى الذين لا ينبغي أن تجعلهم في المستشفيات العامة والخاصة.

5. إنشاء لجان لاستقبال اللاجئين (من المغرب وتونس وغيرهما) والسعي في إيوائهم وتشغيلهم حتى يندمجوا في المجتمع.

6. تنظيم الحركة النسائية - إحداث الشعور الوطني عند المرأة - الاتصال بالمنظمات لتمكينها من تنمية هذا الشعور الوطني مثل منظمة الهلال الأحمر الجزائري ولجان الاستقبال والإسعاف ومدارس تعليم الشؤون المنزلية والطبية والتشجيع على التفوق في جميع الميادين.

خامسا. فيما يخص القضاء 1. تأليف لجنة العدالة. السعي في الاستقلالية في تكوين هذه اللجنة من بعض الفقهاء يساعدهم رجال من الحركة. وبوجه عام يجب إبعاد الناس عن التوجه إلى محاكمهم إلا من الشرع الاستعماري الغير المعترف به والذي يستلزم مصاريف باهضة... 2. التعاون الوثيق مع إدارة الشرطة.

سادسا. إدارة الشرطة. يتعين إنشاء إدارات شعبية للشرطة بنسبة مركز لكل قسم جهوي يتضمن: 1. محل مناسب بالأدوات اللازمة لإيواء الحراسة الشعبية العاملة ومحل لسجن المخالفين للقانون أو الأعداء الذين هم تحت النظر للحكم عليهم.

ب. رئيس مركز أي ضابط شعبي للبوليس

ت. كاتب لتحرير التقريرات ونشر خريطة للقسم الجهوي

وترتيبات أدوار الحراسة والنظام الداخلي والمخازن الخاصة بالعمل في المركز. ب- جماعة من الشركيين الشعبيين مجهزين بكمية من الأسلحة (تقدم قائمة حاجيات الإدارة فيما يخص تلك الأسلحة للمجلس المنطقة. ومن الملاحظ هنا تدبير وسائل لإيواء الشركيين الحقيقيين والغير المنتوجين. ث- تقدم تقارير إدارة الشركة بصفة منتظمة وتكون مما يجري فيها التنفيذ والمراقبة لتصحيح مضمونها.

ج- مهمة الشركيين حفظ النظام - والحراسة وتدابير الحذر والتيقظ - والقضاء بالزجر والتنبيه على العناصر العضوية الملقى عليها القبض من أجل ارتكاب الجناية، ومكافحة النهب والسرقة والعصيان والكيفية في ذلك. توجيه اللوم - الوعد والإرشاد - ضرب الخطيئة ونهاية السجن. ويجب إحالة قضية المسجونين بسرعة إلى لجنة العدالة

2- الاستعلامات العامة: جمع المعلومات التي تحصل عليها أصحاب الشركة بعرض التقرير الإجمالي أمام ترابت الشركة والاستعلامات على السلطة العليا - تقرير أسبوعي؛ والقضايا المستعجلة يجب أن تبلغ عزمها على له النظر.

3- الاتصال باللجنة المحلية لوقف الفتن الخاصة بالمنطقة الثانية (قسم البليدة والمدية) بإرسال عملاء على ما يمس أو يقع من الحوادث (توجد أوراق مطبوعة خاصة في هذا الشأن)

ساعدها الثقافية الجديد بنيان مصالح التعليم والمدارس
ع- بعث روح جديد في المدارس الموجودة بالسعي لدى الإدارة التي لها النظر في ذلك

س- تنظيم الطلبة بالمشاركة الوثيقة مع نقابة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (انظر المذكرة الخاصة بنقابة الطلبة. ترتيب دروس للناجحين (من الجزائر ووهران كلما أمكن ذلك. استخدام الطلبة في مهمة التعليم.

٤- انشاء دروس للكبار بالمساجد لمكافحة ما يسرب من تأثير
بعض مظاهر الثقافة الغربية (مثل المجلات والكتب المروج
التي لا توافق الاخلاق الدينية والموجهة الى الكبار والصغار
ومثل الاسطوانات الغنائية والافلام الفنية الاخرى
٥- تنظيم اوقات الفراغ للكبار تنظيما سليما الذي يمس
التردد على المقاهي والخمارات. مكافحة عدم الاشتغال)
والتعاطي للرياضة.
٧- تنظيم اوقات فراغ الشبان وتوجيههم مثلا الى
الكشافة مع تعويضهم تدريبا سياسيا مناسبا لسنهم.
٨- انشاء مكتبات تحتوي على كتب مفيدة في الادب الجزائري
والاجنبي.

ثالثا
مصلحة الدعاية والاخبار: اتخاذ محل مناسب ووسائل
مادية. آلات للكتابة بالعربية والفرنسية وآلات
للطبع وما يتبع ذلك من كراسات واوراق خاصة وحبر الخ.
١- تعيين مسؤول عن هذه المصلحة يكون ذا خبرة بالعربية
والفرنسية (في الادب والسياسة) يجب على هذا المسؤول
ان يتصل بوكيلين يحسنون تحرير المنشورات والرسائل الصالحة
للالصاق بها على الحيطان:
٢- فيما يخص المطالب السياسية المحضة يجب ان تكون تلك
المنشورات وغيرها مقبولة وموافقا عليها من طرف مجلس
الولاية - ب- واما الرسائل المحلية الصرفة المكذبة
للعدو او الموجهة اليه جوابا على امور معينة فالاذن
فيها من رئيس القسم فقط في المنطقة.
٣- الاستخدام مما يخص الكتابة بالماشينة - استعمال مطبعة
المنشورات وما يطبع عليها من اوراق الدعاية وخدمة المكتب
وتلك الماشينة يجب استعمالها في كامل الولاية.

تاسعاً اجتماعات المسؤولين: إن اجتماعات الكتائب الحد
تكون متوالية ومنظمة على الأقل مرتين في الأسبوع
الناتجة عن تلك الاجتماعات تتلخص الاقتراحات
والتقريرات التي تعرض على السلطة العليا والسلام
حرر يوم 14 [illegible] 1964
بالنيابة عن مجلس المنطقة بورقلة الأخ
النائب من درجة ليوتنا بوسلمان ساعي

ملحق رقم 11

الجمهورية الجزائرية

جبهة وجيش التحرير الوطني

الولاية الرابعة
المنطقة الثانية

استعمال مقررات هامات.

I. عسكري:

ا. تقسيم الجنود على افواج صغار، وتجمعهم في الأوقات الازمات الأعمال الهامات.

ب. كل الفدائيون الذين يعملون في السهول والجبال يلزمون مخابئ التي لا تحمل أكثر من اربعة جنود. من الواجب ان المخابئ تكون سريات مستورة، ولا يعلمونها فيها الا الذين [illegible] فيهم. والجنود تكون لهم رغبة في [illegible] هنالك [illegible] [illegible] كل.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] توجيه الى [illegible] [illegible] [illegible]

د. يجب على المراكز الفدائيين ان يكون مراكز عندهم في المنطقة المعروفة، متطوعين ولا يعرفهم من المسؤولين الى المشتغلين بالمهمة.

٢ سياسي:

ا. نظام الشعب حسب معهودنا (الدشور، جمعيات، عائلات، شخصيات). اجتماعات اخباريات اسبوعيات، من طرف المحافظين السياسيين تدخيل النظام "سياسيا حكوميا" في كل مكان (في البادية والمدون) مراقبة من المسؤولين عن المحافظين. تأكيد عن الشعب لسمع "صوت الجزائر الحرة" (تونس. الرباط، صوت العرب. بغداد. ليبيا، سورية).

و تسييرهما في التدريب العسكري تدخل بناية المحاشا.

د. اختيار المسؤولين العسكريين بين الشجعان، المشهورين الناشطين، النظاميين، الطائعين. الغير القادرين سيوضعون بجانب وبدون تحيز عدد خسائر كانت للفدائيين لأسباب المسؤولين الذين هم غير قادرون، توسيع الفكر عند المسؤولين العسكريين.

ذ. مراقبة حارة من طرف المسؤولين في ما يخص السلاح الموضوع عند المستكلفين بالجبهة (عدة أسلحة وجدت مفقودة في مخابئها) هذا الرجال يكون سريون، والسرية تكون تامة حارة.

ر. كل الاجتماعات المعطية للجنود، سيراقبهم المسؤولين مرتين في الأسبوع على الأقل. وبعد كل عمالية، تستلزم الانتقادات [illegible] الذاتية.

[illegible] استشار الفدائيين في كل ما يتعلق [illegible] الأعمال في [illegible] [illegible] الأشياء العسكرية بالقوة.

ش. اعتدال العماليات العسكرية خلف المناطق: مثال كل ناحية تجعل عشر عماليات في كل شهر (فدا. لغم. تخريب) كي لا تكون القوات الكبرى للعدو في النواحي المتحركات.

ج. الحالة المادية للجنود: كل الجنود يكون تحمل لها البسة وأحذية الغاية. تنويع الغذاء، وتكثير المواد المقوية.

ح. كل منطقة تستلزم مراكز التدريب في مصلحة اللغام، السلاح الخياطة، التمريض. ولننظر للنتائج.

خ. تدريب عسكري باستمرار حسب وسائل حرب العصابات [illegible] إلى دفتر "مفيد الفدائي" ومقررات نظام الفدا. نظامها.

الجمهورية الجزائرية

جيش التحرير الوطني　　الولاية الرابعة　　الركان الحرب العامة

أبطال أمجاد يستشهدون في سبيل الجزائر

أخانا في الجهاد والدين والوطن الطاهر سي محمد!

ستبقى على محو الأيام والليالي ذكراك الماجدة وتعاليمك الخالدة مرسومة في قلوبنا إلى الأبد، ستكون مصباحا منيرا لنا في كفاحنا ودليلا مرشدا في مستقبلنا.

وستواصل بفضل ذكرك في قلوبنا ثورتنا العارمة مستمدين من قوتك قوة ومن بأسك بأسا ومجدا طالما حققنا بفضله نجاحا باهرا ونصرا مبينا، ولن ننسى أبدا كلمتك الخالدة التي كنت تحب نشرها في صفوف أبطال جيش التحرير الأوحد "بقاء العدو والقضاء عليه". فقد علمتنا أيها المجاهد العظيم أن نجعل من هذه الكلمة مبدأ معمولا به وخطة محترمة متبوعة.

لن ننسى أبدا تواضعك الذي عرفت به ولا أخوتك الكريمة التي كانت روح كل ما يصدر عنك من أعمال وقرارات في شأن إخوانك المجاهدين، ولن ننسى تفانيك في حب جيشنا المنظم وفي محبتك لشعبنا الكريم الذي كان يحسن تقديرك وتقدير خصالك الفريدة في نوعها، ولن ننسى أبدا ابتسامتك الطيبة وجبينك الوضاح وهيامك السمح الذي جعل منك أخا ومربيا رؤوفا لا يمكن نسيانه على أبد الآبدين وإن ذكاءك النفاذ الذي كنت تحل به أعوص المشاكل وإن ذكر القوية التي كنت تلقي بها روح النصر في جموع الأفواج المسلحة المجاهدة في تراب الولاية الرابعة كلما جعلت من كفاحنا قوة قاصمة على أذناب الإستعمار وسلسلة لا تنتهي من الإنتصارات الباهرة عليه.

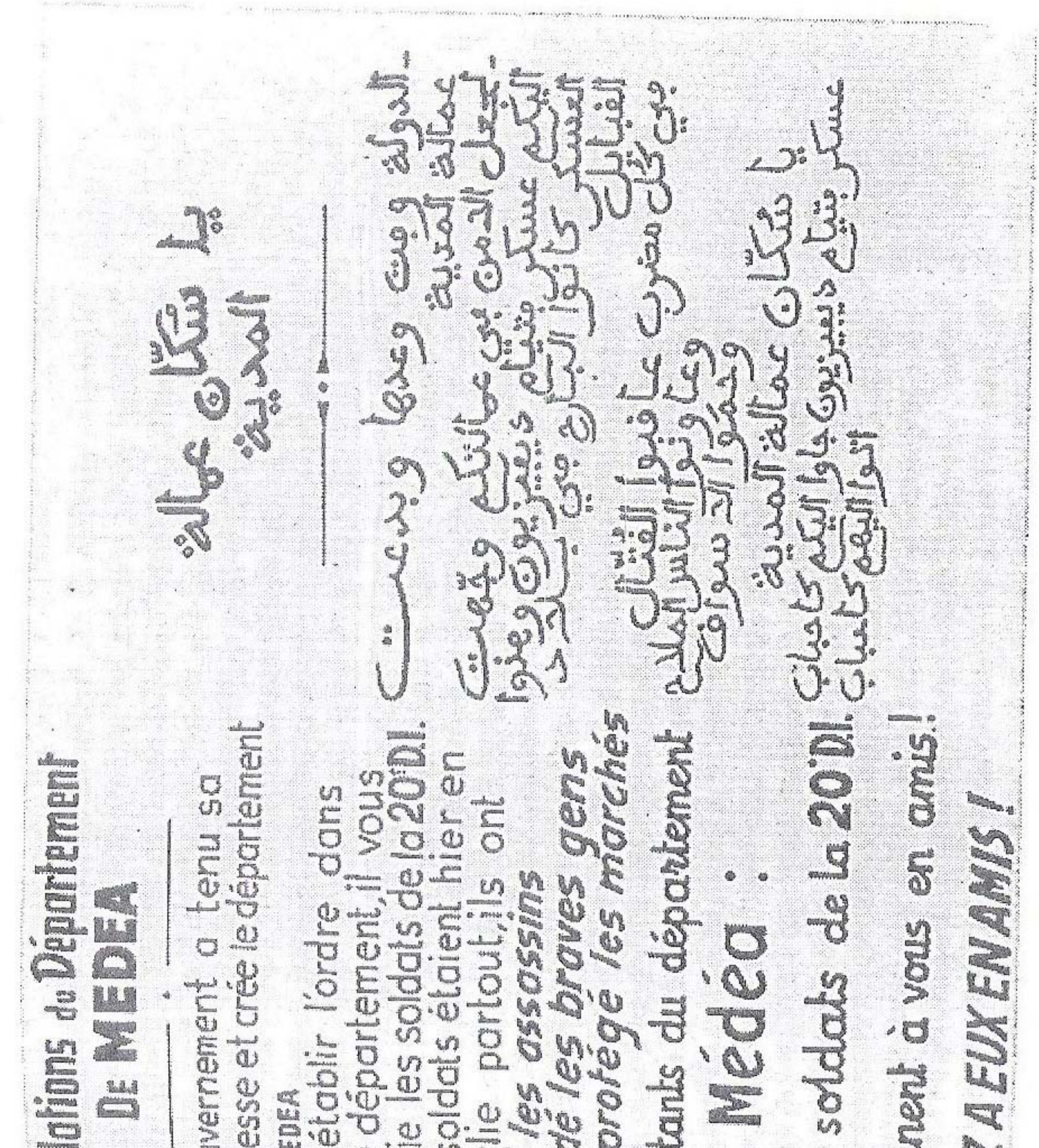

Populations du Département
De MEDEA

le gouvernement a tenu sa promesse et crée le département de MEDEA
pour établir l'ordre dans votre département, il vous envoie les soldats de la 20^e D.I.
ces soldats étaient hier en Kabylie partout, ils ont
Puni les assassins
aidé les braves gens
protégé les marchés

Habitants du département
de **Médéa** :
les soldats de la 20^e D.I.
viennent à vous en amis!

ALLEZ A EUX EN AMIS !

يا سكّان عمالة المدية

- الدولة وفت وعدها وبدعت عمالة المدية
- لجعل الامن بين عمالتكم وجّهت اليكم عسكر متيام ديفيزيون وهذوا العسكر كانوا البارح في بلاد القبايل
في كل مضرب عاقبوا القتّال وعاونوا الناس الملاح وحموا الاسواق

يا سكّان عمالة المدية
عسكر متيام ديفيزيون جاوا اليكم كاحباب اتوا اليهم كاحباب

احدى المناشير الموزعة على أهالي المدية

من اليمين الى اليسار،

الواقفون: سعيد حمدين، أيام قبل نزولة الى العاصمة – المؤلف – الهادي (محافظ سياسي).

الجالسون: ضابط من ناحية الساحل استشهد في وسط مدينة بوفاريك سنة 1961 – شهيد.

من اليمين الى اليسار:
– جمال بناي، دخل العاصمة سنة 1960 ضابط من المنطقة السادسة
– علي الجزائري، مسؤول ناحية متيجة والساحل، استشهد في أواخر سنة 1960
– مجاهد شهيد

الفهـــرس

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الفصل السادس:

الفصل السابع:

الفصل الثامن:

شرخ في البومدينية: من تمرد الطاهر الزبيري

الفصل التاسع:

قصتي مع رجال مخابرات بومدين:

الفصل العاشر:

هذا الكتاب

«...استمتعتُ كثيراً بقراءة كتاب **«شاهد على اغتيال الثورة»** للرائد لخضر بورقعة.

... إن الكتاب يحكي قصة ثورة الجزائر... من وجهة نظر ضابط شاب في الولاية الرابعة، عاش الحرب من أولها إلى آخرها. قصة حافلة بالبطولات، ولكنها لم تسلم من الكثير من الخيانات والمؤامرات... ثورة سقط فيها الآلاف من الجنود الفرنسيين والمستعمرين، وسقط فيها أيضا الكثير من الخونة والعملاء الذين كانوا يتعاملون مع العدو.

... والكتاب مليء بالقصص الشيّقة التي يحكيها أحد شهودها وصانعيها. فهو يحكي قصة الزيارة السرية التي قام بها قائد الولاية لقصر الإليزي حيث قابل الجنرال ديغول يوم 10 يوليو 1960. تلك الزيارة التي كان يهدف الجانب الفرنسي من ورائها إلى شق صفوف قيادات جيش التحرير، والتي كان نتيجتها قيام جيش التحرير بتصفية كل من شارك فيها.

وهو يحكي كيف كانت زوجات بعض (الحَرْكَة) يسرقن الأسلحة والذخيرة من أزواجهن ليبعثن بها إلى المجاهدين...

...ويخصص المؤلف أكثر من نصف الكتاب ليشرح فيه تفاصيل الصراع السياسي في الجزائر بعد استقلالها. كيف استغل ملك المغرب هذه الصراعات السياسية، فدفع بقواته يوم 9 أكتوبر 1963 لاحتلال وضم أجزاء من أرض الجزائر إلى ملكه... وكيف دفع هذا الغزو القوى الجزائرية إلى توحيد صفوفها من أجل مقاومة هذا الغزو... وكيف تم انقلاب بومدين ضد بن بلة في 19 جوان 1965... وكيف اندلعت حركة التمرد في 11 ديسمبر 1967 بقيادة العقيد الطاهر الزبيري... وكيف التقى لخضر بكريم بلقاسم في باريس ثم بعد ذلك في مدريد في جوان 1968.. ثم يحكي المؤلف كيف انتهت رحلة نضاله العسكري والسياسي بالقبض عليه بعد عودته إلى الجزائر عام 1968، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما، قضى منها سبع سنوات ونصف قبل أن يفرج عنه ليستأنف حياته كمواطن عادي».

من التقديم
بقلم الفريق سعد الدين الشاذلي
قائد الأركان في حرب أكتوبر 1973.

الناشـــر

ردمك: ISBN: 9961-67-113-9

الرائد سي لخضر بورقعة

شاهد على اغتيال الثورة

السنة الحادية عشرة. العدد 528 من 8 إلى 14 أفريل 2009 . الثمن. الجزائر: 20 دج. فرنسا: 1,60 €

www.elkhabar-hebdo.com

الخبر الأسبوعي

عباسي مدني في حوار لـ"الخبر الأسبوعي"

لو أعطيت لنا جبال جرجرة ذهبا ما عدنا إلى ممارسة السياسة في الجزائر

ص 13/12

لخضر بورقعة ضيف "الخبر الأسبوعي"

بوضياف هو من قتل نفسه!

- طالب الإبراهيمي وبوتفليقة انقلبا على بومدين
- مصالي مرتد وكان أخطر على الثورة من فرنسا

ص 6/5/4

رسم: سعد

لخضر بورقعة ضيف "الخبر الأسبوعي"

الشجاعة أصبحت تهورا والخيانة وجهة نظر

تحدث لخضر بورقعة، الشخصية التاريخية المعروفة، بكثير من الصراحة خلال نزوله ضيفا على "الخبر الأسبوعي" إلى درجة أن اللقاء استمر معه حوالي 6 ساعات كان خلالها ينتقل ما بين جزائر الاستعمار وجزائر الاستقلال، ويربط بين الأحداث والحوادث.. تحدث في أشياء كثير، عن الماضي عن الحاضر وعن المستقبل، صوته كان فيه نبرة تشاؤم، فليست هذه هي الجزائر التي حارب من أجلها الاستعمار الفرنسي، وخلاصة كلامه أن الشجاعة أضحت تهورا، وأن الجبان تحوّل إلى حكيم ومتبصر، والمنافق أصبح ذكيا، في حين أن الشريف أصبح لا يصلح لا للمكان ولا للزمان، والأخطر من ذلك أن الخيانة أصبحت وجهة نظر.

الثورة ليست بحاجة إلى مادة دستورية لحمايتها

قال لخضر بورقعة إن الهدف من التعديل الدستوري الأخير كان يخص مادة واحدة وما عدى ذلك مثل ترقية المرأة وحماية رموز الثورة لم يكن سوى تمويه. وكان ضيف "الخبر الأسبوعي" يقصد بذلك المادة التي كانت تقيد عدد الولايات الرئاسية بولايتين والتي صادق "مجلس الأمة" على إلغائها فاتحا بذلك باب الرئاسة مدى الحياة أمام الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بدعوى "حرية الشعب في اختيار قادته".

■ ب. علاوة

وقال المجاهد المعروف لخضر بورقعة إن المسالة لم تكن أبدا مسألة دساتير وتعديلات. وقال إن الثورة وتاريخها ليست بحاجة إلى مادة دستورية لحمايتها. ״العيب ليس في القوانين، بل فينا نحن ما دمنا غير قادرين على إعادة النظر في أخلاقنا وفي قيمنا وثقافتنا״. وأضاف إنه أصيب بإحباط كبير عندما أراد مؤخرا الإطلاع على الدستور حين وقف على عند المادة 21. ״هذه المادة تقول لا يجوز استعمال السلطة في مؤسسات الدولة كمصدر للثراء ولا وسيلة للمحسوبية وللجهوية وللإقطاع، وقد أعدت قراءتها عدة مرات لكي أتأكد من أنها ليست خطأ مطبعيا أو مادة مدسوسة. لقد طويته وناديت الشخص الذي جاءني به وقلت له خذ دستورك״. واسترسل قائلا: ״الجرائد تثير من وقت لآخر مسألة السلع المغشوشة وقطع الغيار المزوّرة وكان الأحرى بها أن تثير قضية الإطارات المغشوشة والمزورة.. الإشكالية بالنسبة لي تتعلق بال״سيستام״. وأعود إلى المادة 21 لأقول إنك عندما تستعرض مواد الدستور وكل الوثائق الأخرى منذ ميثاق طرابلس، تجد أنها واضحة بأسلوبها المضبوط وبأبوابها، لكن ما حظها من التطبيق؟ أما تعديل الدستور فهو أسلوب تعودنا عليه وتعودنا على تغيير بعض مواده في كل فترة بعد أن يؤمن النظام لذلك مناخا ملائما״.

بالنسبة لـ״ترقية موقع المرأة״ التي جاءت في التعديلات الأخيرة على الدستور، قال لخضر بورقعة إن الخطاب السياسي السائد لدى تناوله مسألة المرأة يعطيك الانطباع أن المرأة مادة جديدة اكتشفناها حديثا في منطقة الهقار ويجب أن نستغلها وأن نسوقها. ״المرأة التي عرفتها أنا هي تلك التي وقفت إلى جانب الرجل خلال الثورة وكانت تنقل الماء والمؤن وطفلها في غالب الأحيان مشدود إلى ظهرها وهي تنوء بما تحمله حتى أنها تكاد أن تقع أرضا. المرأة التي عرفتها أنا هي تلك المرأة الشهيدة خلال معركة وطفلها بجانبها يرضع من صدرها. ألا يكفي هذا؟ أنا لا أرغب في الكلام عن ״امرأة المارلبورو״. بل أتكلم عن المرأة التي كانت تطحن القمح في الرحى الحجري التقليدي وتفلح الأرض وكانت تجاهد وتكافح. كل هذا عشناه ولم يكن خيالا ولا قصصا وروايات. هاته المرأة ليست في حاجة لدساتيرهم ولتعديلاتهم ولا لكي يتخذوا منها حجة تغطي سياساتهم״. ويرى بورقعة أنه يوجد حتما من بين هؤلاء الذين يتكلمون عن المرأة ״ممن لم يروا المرأة على تلك الصفة التي رأيتها أنا عليها بحكم مواقعهم خلال الثورة وبحكم الأماكن التي كانوا فيها، ورغم احترامنا لمن كانوا يمثلون الثورة في الخارج، إلا أننا نقول إنهم ليسوا كمثل من عايش الثورة من الداخل وشاهد أمورا وتأثر بها״.

وانتقل ضيف ״الخبر الأسبوعي״ إلى إشكالية تحديد من هو المجاهد وما تطرحه من جدل يقفز إلى السطح مرة بعد أخرى فقل إن الذنب ليس ذنب وزارة المجاهدين ولا الوزير الحالي ولا من تتابعوا على رأس تلك الوزارة ولا ذنب المجاهدين بصفتهم مجاهدين. ״العيب كل العيب في القانون الذي جاء في 62 ليضبط هذا القطاع والذين وضعوا ذلك القانون لم يعيشوا الثورة. قانون أتخذ في ظروف معينة وحدد صفة المجاهد. الدستور تغير عدة مرات وتغيرت القوانين والعباد وبقي ذلك القانون على حاله. الناس يتكلمون عن الشهادات المزيفة، بينما العيب يعود إلى القانون الذي لم يخضع لأية مراجعة مع ما فيه من ثغرات تسهل عمليات التسلل. القانون يشترط ثلاثة شهود فقط لحيازة صفة مجاهد.. مَن يعجز حقيقة عن توفير هذا العدد من الشهود لكي يتحصل على صفة مجاهد ويصبح هو بدوره شاهدا لصالح مرشحين آخرين؟ وزارة المجاهدين تجد نفسها محاصرة وهي لا تملك حلاّ. السائد الآن هو أن شهادة النضال تستخرج من البلدية. هنا الخلل. فأنا مثلا كنت أنشط في الوسط وكان معي مجاهدون من الشرق، وهناك من كانوا وراء البحر، فكيف يعود هؤلاء إلى بلدياتهم لتمنح لهم شهادة الجهاد؟ الإشكالية كلها نشأت منذ خلق الشهادة البلدية في 62 من طرف بومدين وجماعته. صحيح، كان هناك العديد من أفراد الشعب ممن تعاونوا مع الثورة بمختلف الأشكال ويجب أن تكون لهم حقوق، وهؤلاء الأشخاص كان التنظيم يعرفهم.. لكن مثل هؤلاء لم يكونوا ممنوعين أن يشهدوا لصالح غيرهم. ومثلهم من كانوا في الخارج، كيف يعقل أن يشهدوا لصالح أناس من الداخل؟ هكذا وقعت الفوضى. في تقديراتنا التي وضعناها بمناسبة تحويل جيش التحرير الوطني إلى الجيش الشعبي الوطني، كان عدد المجاهدين لا يتجاوز 30 ألف فرد. القانون لم يمنع انتحال صفة المجاهد وأصبح بمثابة مكتب لليد العاملة״.

ومن الأمثلة التي ساقها بورقعة عن تلك الفوضى أن أعضاء في لجنة الشؤون الاجتماعية لم يكونوا يعرفون مهمة المحافظ السياسي وهل هو مجاهد. ״عندها انسحبت من اللجنة وقد شعرت أنني لن استطيع التفاهم مع أعضائها. المحافظ السياسي كان هو الذي يقبل المجاهدين أو يرفضهم، فكيف يصبح موضع تساؤل؟ ولا ريب أن صاحب السؤال لم يكن يعيش في الداخل، فربما كان يعيش في الخارج أو في منطقة الحدود. علما أن مسألة المجاهدين المزيفين كانت مطروحة منذ الاستقلال وكان يقصد من ورائها الضباط الجزائريون

رسم: سعد

بن شريف يريد أن يدخل التاريخ من الخلف

أحمد بن شريف يريدُ أن يدخل التاريخ من باب موارب. لقد التحق بالجبل يوم 28 جويلية 57, وقت أن كان آخرُ فردٍ فينا قد أفنى مئة جزمة. عمليةُ هروبه من الثكنة الفرنسية نفسُها لم يكن هو من خطّطَ لها ونفّذها. الشخص الذي قام بها يدعى جلول وكان عريفا بنفس الثكنة. وقد استشهد فيما بعد وسميت باسمه الكتيبة الجلولية المشهورة. كان بن شريف ضابطا وقد ذهب إليه جلول حيث كان نائما وأخبره بعملية الهروب فانضم إلى الهاربين وكان عددهم 16 فردا من بينهم ستة فرنسيين وثمانية أفارقة ثم جلول وبن شريف. العملية تمت بدون إراقة دماء بعد أن تمكن جلول ورفاقه من نزع سلاح الحراس ثم ذهب إلى مرقد بن شريف وأيقضه من النوم. والذي حدث بعد ذلك أن قائد المنطقة سي امحمد أذاع منشورا يدعو فيه الضباط وضباط الصف الجزائريين العاملين في القوات الفرنسية إلى الالتحاق بالثورة منوها بفعل بن شريف.

في ماي من نفس السنة عيّنه سي امحمد كمساعد للرائد عز الدين بالرغم من أن هذا المنصب لم يكن معروفا لدينا. لكن بن شريف سرعان ما أصبح مصدر إزعاج للرائد عز الدين بسبب عدم معرفته بحرب العصابات. وقد أعلم الرائد عز الدين سي امحمد أنه لم يعد في حاجة لبن شريف فما كان من سي امحمد سوى أن بعثه إلى الحدود لعله يكون هناك ذا فائدة في تدريب الجنود.

في جويلية 58 وصل بن شريف إلى المغرب ومن هناك انتقل إلى تونس. في بداية سنة 60 عاد إلى التراب الوطني مبعوثا مثل غيره كثيرين من مبعوثين على خلفية الإعداد للاستيلاء على السلطة. كان برفقته ضابط يدعى فلاح محمد وكان معروفا لدى الجميع بفضل عمله كدليل بين المنطقة الحدودية ومناطق الداخل. وقد وصلا إلى منطقتنا في 16 سبتمبر 1960. في 24 أكتوبر ألقت القوات الفرنسية عليهما القبض في بني سليمان بمنطقة تابلاط. محمد فلاح الذي كان جريحا، أجهزوا عليه أما بن شريف فقد أخذوه معهم. بعد ذلك قام وفد من قبيلته بالتوجه إلى الحاكم العام ثم قصد باريس ليلتمس لدى المسؤولين هناك إنقاذه من الموت. الفرنسيون لم يكونوا أغبياء. لماذا قتلوا فلاح؟ فلاح بالذات كان أصيب بجروح في منطقة البليدة وأنقذ حياته فرانس فانون بنفسه.

أتذكر أن فلاح خلال إقامته بيننا هو وبن شريف، كان يحلو له أن يتكلم عن السلاح الذي كان في حوزة جيش الحدود ويفيض في وصفه وكان بن شريف يتدخل في كل مرة ليسكته. كان فلاح يعلق بذلك على تسليحنا نحن مجاهدو الداخل الذي كان بسيطا وفقيرا. هل كان بن شريف عميلا؟ الله أعلم. كل ما أعلمه أنه نجا من الموت بفضل تدخل أسرته لدى السلطات الفرنسية في باريس، وكان المسؤولون الفرنسيون يحترمون الأعيان وقد كان أبوه قائدا. الذي أتذكره عنه أنه في كل مرة يصل إلى قرية أو دشرة، يسارع إلى الاستفسار لدى سكانها عما إذا كان عسكر فرنسا سأل عنه أم لا، وكان يفرح كثيرا إذا جاءه الرد بالإيجاب ولا يتردد في هذه الحالة في منح مخاطبه بعض النقود.

■ ب. ع

بوضياف هو من قتل نفسه!

عن عودة محمد بوضياف إلى البلاد من منفاه المغربي الطويل ليتقلد منصب رئيس المجلس الأعلى للدولة ثم ما حدث له بعدئذ، يعتقد لخضر بورقعة أن الأمر كله ″كان مكرا ومراوغة الهدف منهما ضمان استمرار النظام بعد إزاحة الرئيس الشاذلي بن جديد من الحكم، وإلا كيف نفسّر بغير ذلك أنه في فترة وجيزة مرّ على رئاسة الدولة كل هؤلاء الرؤساء لتستقر الأمور أخيرا بين يدي بوتفليقة″.

ويرى لخضر بورقعة في حديثه مع فريق ″الخبر الأسبوعي″ أن الذين كانوا وراء مجيء بوضياف كانوا فريقا من متآمرين. ″لقد مدّوا يدهم إلى سلّة التاريخ وأخرجوا منها وجها رأوا أنه يصلح ليمكن لهم الاستمرار في مكرهم. وكان ذلك خطأهم الأكبر. لم يكونوا يعرفون بوضياف حق المعرفة، وبالمقابل فإن بوضياف أيضا لم يكن يعرفهم″.

لقد بقي بوضياف رجل ثورةٍ كما أضاف لخضر بورقعة. كان صارما وكان حازما متشبعا بأخلاق الثورة وكان بالتالي بعيدا كل البعد عن الواقع المستجد في بلاده. لقد نسي أن الوقت الذي كانت فيه صورته وصورة رفقائه عنوانا للوطنية، نسي أن هذا الوقت قد مضى.

في تحليله للدور الذي كان معدّا لبوضياف، يشير لخضر بورقعة لما يصفه بـ″المخبر″ حيث جرى إعداد طبخة بوضياف واستعماله ثم توريطه في قرارات معينة. ″بوضياف عاد من رحم التاريخ محاطا بهالة من الشرعية الثورية، ولم يكن الذين جاؤوا به يدركون ما يفعلون. كانوا يظنون أنه يمكن لهم أن يملأوا بشخصيته فراغا مؤقتا أو مرحلة. أول شيء جرى تنفيذه بعد عودة بوضياف هو إقامة مراكز الاعتقال في الصحراء. وكان ذلك أمرا مدروسا ومبيتا من طرف من أعتبرهم أنا أعضاءً في ″المخبر″، أي الذين كانوا وراء عودته. لم يكن هناك من هدف لإقامة مراكز الاعتقال تلك سوى إتاحة الفرصة للمعتقَلين لكي يتعرفوا على بعضهم البعض ويوثقون الصلات ببعضهم البعض. هكذا يمكن للعناصر القادمة من عنابة التعرف على القادمين من وهران وهلم جرا. بعد ذلك صدر قرار من نفس المخبر بحبس القادة الإسلاميين في سجن لامبيز (باتنة) وإعطائهم بذلك فرصة للقاء فيما يشبه مؤتمر صومام خاص بهم وتوزيع الأدوار بينهم. ولما تمّ لهم ذلك، جرى تنظيم عملية لهروبهم من السجن في ليلة من الليالي ليتوزعوا عبر مناطق الوطن وتتخذ كل جماعة منهم عنوانا لها مثل السلفية وجيش الإنقاذ والحركة الإسلامية المسلحة وغير ذلك. كان هناك توزيع دقيق للأدوار وللمناطق″.

وأعود إلى بوضياف وأعتقد أنه بدأ يشك في نوايا المحيطين به وكان آخر ما بدر منه من كلام قبيل اغتياله يتعلق بالشباب وبيأسهم، ولا ريب أنه قال ذلك بوضوح أكبر في اجتماعات سابقة له. لو عاد إلى الحياة وقال لي إن فلانا هو الذي قتله لقلت له إنك أنت الذي قتلت نفسك. لقد أخذ طبعه كرجل ثورة يبرز ويطغى على تصرف رجل الدولة. رجل الدولة يهادن ويساوم ويراوغ وله عدة وجوه بينما كان لبوضياف وجه واحد وكلمة واحدة. وأذكر أن عدة مجاهدين توجهوا إليه في المغرب وحاولوا إقناعه بعدم العودة وأنا شخصيا كنت من جملة الذين نصحوه بذلك.

لكن ما الذي جعل بوضياف يقبل بينما كان قد رفض في الاستقلال السلطة عندما اقترحتها عليه جماعة بومدين قبل أن تقترحها على بن بلة؟

عن هذا السؤال، يردّ لخضر بورقعة بجملة تخمينات من بينها أنه ربما اعتقد بوضياف أن وقته قد حان وأن الرفاق الآخرين وقد فقدوا بعضا من نقائهم، لم يعودوا قادرين على قيادة البلاد. ″الشخص الذي أقنعه بالعودة هو علي كافي. أنا كنت مع علي كافي في الأمانة الوطنية للمجاهدين، وذات يوم طلب خالد نزار وزير الدفاع اللقاء بنا هو وغزالي رئيس الحكومة آنذاك. كنا خمسة، أنا وعلي كافي وصالح بوبنيدر وصديقي الطيب والعقيد عمارة بوغلاز. دار الاجتماع حول إمكانية تسليح المجاهدين لمواجهة الإرهاب، وقد عارضت أنا تلك الفكرة من موقع أن الجيش هو حامي الدولة، وتسبب ذلك في خصام مع علي كافي ثم قررت الاستقالة من المنظمة. وقد علمنا فيما بعد أن بوضياف كان في مكتب مجاور للمكتب الذي اجتمعنا فيه. كان بوضياف قد زار الجزائر مرتين على الأقل بطريقة غير معلنة. وكان علي كافي قد زاره في المغرب من قبل وهو الذي اقنعه بالعودة″.

من هم أعضاء هذا ″المخبر″ وما مصلحتهم من وراء كل هذا؟ ″إنها عملية لابلويت الشهيرة لا تزال مستمرة″! بهذا يرد لخضر بورقعة وهو يقصد عملية اختراق واسعة نفذتها مخابرات الجيش الفرنسي خلال حرب التحرير من أجل اختراق صفوف الثورة. ″عملية لا بلويت لم تكن عملية ظرفية كما توهمنا.. إنها استثمار طويل المدى يستمر بعد الاستقلال. إنه الاختراق المستمر للجزائر″.

■علاوة. ب

لهذه الأسباب اغتيال الجغلالي ورفقائه

يرى الرائد لخضر بورقعة بأن الخلافات التي كانت أحيانا دموية بين الولاية السادسة والرابعة، يتحمل جزءا منها جماعة الخارج، وجماعة مؤتمر الصومام الذين لم يعطوا الولاية السادسة حقها من الاهتمام رغم كونها تضم ثلاثة أرباع الجزائر من حيث المساحة، فضلا عن أهميتها بعد اكتشاف البترول مما جعلها مسرحا للعديد من المناورات الفرنسية.

فخلال انعقاد مؤتمر الصومام تم تعيين قادة أكفاء على رأس الولايات الخمس، أما بالنسبة للولاية السادسة فقد تم تعيين الشهيد علي ملاح، فهذا الأخير كان معربا في ثقافته ويحفظ القرآن الكريم وكان قومي الإيديولوجية، وقد كان متمردا على النظام الاستعماري منذ 1947 والذين كلفوه بهاته المهمة كانوا يهدفون إلى إبعاده لعدم تطابق توجهاتهم معه. ولما قاموا بتعيينه أرسلوا معه جنديين فقط أحدهما يحمل المتاع والآخر يقوم بوظيفة كاتب.

وعقب تعيين علي ملاح أقام مقر قيادته بالولاية الرابعة وبالتحديد في جبل اللوح. وفي هاته الأثناء كنا نسمع بوجود جيش على رأسه الشهيد زيان عاشور متمركز بمنطقة الصحراء. فقرر سي امحمد قائد الولاية الرابعة إرسال فوج من المجاهدين إلى الصحراء بقيادة علي زويش وحمله رسالة إلى الشيخ زيان يطلب فيها إرسال فوج من الصحراء إلى الرابعة لتوثيق أوامر التعاون، لكن ما إن وصل فوج علي زويش إلى جبل بوكحيل في أواخر أكتوبر 1956 حتى تم اغتيال جميع أفراده باستثناء واحد يدعى عبد الرحمان ولا نعلم إلى غاية اليوم من غدر بهم وقتلهم. مع العلم بأن جماعة بلونيس ومفتاح من الحركة الوطنية كانوا متواجدين بالمنطقة آنذاك. وكانت هاته الحادثة بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير.

استشهد علي ملاح وعين العقيد الحواس على رأس الولاية السادسة والذي حضر اجتماع العقداء في ديسمبر 1958 بالطاهير، والذي انبثقت عنه قرارات هامة من بينها إرسال كتيبة من جنود الولاية الرابعة إلى الولاية السادسة لمساعدتها في حربها ضد فلول بلونيس المدعمة من القوات الفرنسية، كما تقرر إيفاد كتيبة أخرى إلى الولاية الأولى لدعمها في خربها ضد ما يسمى بالمشوشين، ومن سنن القادة آنذاك تبادل الهدايا، إذ عقب الاجتماع أهدى عميروش سلاحه لسي امحمد وبادله سي امحمد نفس الهدية، أما بالنسبة للحواس فقد أهدى له سي امحمد أحسن محافظ سياسي في الولاية الرابعة وهو المدعو باشن.

وفيما يخص الطيب الجغلالي فقد كان سفير الولاية الرابعة يتنقل بين الولايات الست، وسبق أن كانت له معرفة بسي الحواس إبّان النضال في إطار الحركة الوطنية مع العلم بأن الطيب الجغلالي هو الآخر كان متمردا على النظام الاستعماري منذ 1943. وما إن التقى الحواس بالجغلالي في تونس أثناء الكفاح حتى طلب من الولاية الرابعة أن ترسل إليه كتائب لقيادة الساسة، وهو ما تم. ولما استشهد العقيد الحواس في 28 مارس 1959 حتى تولى الجغلالي منصب قائد الولاية. بعدها تمكن أحد مسؤولي الولاية السادسة من الحصول على رسالة موجهة من الجغلالي إلى مسؤولي الرابعة يوصيهم خيرا برئيس بلدية شامبلا (العمارية حاليا) مع العلم بأن هناك صداقة سابقة بين رئيس البلدية وسي الطيب الجغلالي، وبالتالي كانت الرسالة بالنسبة لقادة السادسة مبررا كافيا للقضاء عليه مع 18 إطار من الرابعة كانوا معه.

بعدها ترصدت الولاية الرابعة لعلي بن المسعود الذي كان مسؤول منطقة وكان وراء اغتيال الجغلالي وأعوانه، فتمت محاكمته مع محمد بلقاضي وتم القضاء عليهما.

وخلال أزمة 62 كانت الولاية السادسة بقيادة محمد شعباني في صف قيادة الأركان إلى جانب الولاية الخامسة والولاية الأولى في حين كنا في الصف الآخر، وقبل اندلاع المواجهات فيما يعرف بحرب الولايات التقيت محمد شعباني في عين وسارة وكان معه بومدين وبن الشريف، وآخرون، فقلت له: ″لقد جئتم لتحطيمنا لكن أقسم لك بالله فإن هؤلاء الذين أتيت معهم اليوم هم الذين سيقتلونك فيما بعد″.

وتشاء الأقدار أن أكون ضمن وفد إلى جانب علي منجلي ويوسف الخطيب إذ أرسلنا بن بلة لإقناعه بالعدول عن تمرده، وكان ذلك سنة 1964 في بسكرة. فذكّرته بحدث عين وسارة فقال لي: ″ذلك هو أكبر خطأ ارتكبته وسأدفع ثمنه بحياتي″.

■امجد ناصر

بوتفليقة حيّد الجيش

يرى لخضر بورقعة أن الرئيس عبد العزيز بوتفليقة "قادر على تحييد الجيش". وأوضح ضيف "الخبر الأسبوعي" أن الجيش كمؤسسة ينبغي أن يبقى بعيدا عن التجاذبات السياسية وينبغي حمايته هو أيضا من الضربات السياسية. وقال إن الجيش يتكون من أبناء الشعب ولكن قيادته تشبه "مهزلة سيئة أو طبيخا أخذ يصدر رائحة كريهة" وهي المقصودة بـ"التحييد". "لقد نجح بوتفليقة كما يبدو في تكوين ملفات عنهم ووجدوا أنفسهم بدون حماية نظرا لتورطهم بطريقة أو بأخرى في بعض القضايا الشائكة". وقال إنه يتصوّر أن تلك العملية جرت كالتالي.. هناك حتما شخص لا يملك جنودا ولا أسلحة "ولكنه يحمل حافظة تحتوي ملفات عن الجميع وهو يقدّم تلك الملفات بمقابل". وعبّر عن اعتقاده أن ولاية بوتفليقة الثالثة التي من أجلها جرى تعديل الدستور "تقررت بعيدا عن قيادة الجيش".

■ب. ع

النقاش

أبو عمار، بوتفليقة ودفتر الشيكات!

ردا على سؤال بشأن جزائر ما بعد الانتخابات الرئاسية لـ9 أفريل2009، أجاب ضيف ''الخبر الأسبوعي'' بسرد قصة الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات عند إعلان قيام الدولة في الجزائر عام 1986, مؤكدا على أن عشية انعقاد جلسة قيام الدولة ظهرت بعض الخلافات إلى السطح، بما هدد بتأزيم الأوضاع وإفساد العرس الفلسطيني الذي كان يترقبه الجميع.

وأشار إلى أن أحد قيادات منظمة التحرير الفلسطينية ذهب ليلا لمقابلة ياسر عرفات في نادي الصنوبر، وكان أبو عمار نائما، فلم يتحرج من إيقاظه ليخبره بالتجاذبات الواقعة، فنظر إليه الرئيس الفلسطيني الراحل وهو لا يزال يتثاءب ومد يده إلى جيبه وأخرج منه دفتر الشيكات، وقال: ''ما دام دفتر الشيكات هذا مع أبو عمار، فاذهب لتنام ولا تخشى شيئا''، وأكد بورقعة على أن الجلسة عقدت، وغادر الكثير من المشاركين في اجتماع الجزائر غاضبين، ولكن النتيجة بعد ذلك معروفة، وما حدث في غزة منذ أشهر هو أحد نتائج منطق ''دفتر الشيكات''.

وأوضح أن نفس المنطق معمول به في الجزائر، فدفتر الشيكات موجود، وهناك استعداد دائم لغلق الأفواه وإسكات الأصوات الغاضبة بشيك أو اثنين، ولكن ما ذا سيحدث بعد ذلك.

واعتبر أن الانتخابات الرئاسية القادمة مجرد موعد إجرائي، مؤكدا على أنه من غير الطبيعي أن يخلق النظام معارضين ويعطيهم الإمكانيات اللازمة لمعارضته، وأوضح أن منطق الديمقراطية مقلوب في بلادنا، فمن المفروض عندما تجرى الانتخابات ويفوز حزب بها يشكل الحكومة، أما البقية فيذهبون إلى المعارضة، أما عندنا فالحزب الذي يفوز بالأغلبية يوظف أحزابا أخرى، ويعطيها ''كوطة''، ونجد أن منطق دفتر الشيكات ونظرية أبو عمار تظهر هنا من جديد.

واعتبر ضيف ''النقاش'' أن وجود المعارضة الحقيقية شيء ضروري لأي نظام، في حين أنه لا فائدة ترجى من المعارضة الشكلية أو الديكورية التي نراها، مشيرا إلى أن النتائج محسومة سلفا، فالرئيس بوتفليقة فائز بالانتخابات، ولويزة حنون سيمنحونها المركز الثاني، في إطار ''موضة'' ترقية المرأة سياسيا.

■كمال زايت

7 وزراء من دشرة واحدة عيب

أشار بورقعة إلى أن آثار أزمة 1962 لا تزال قائمة اليوم وغدا، ولما سألناه عن آثارها أجاب: "الآثار كثيرة، ماذا تريدون مني أن أذكر لكم كمثال، هل أقول أن أخطر آثار هذه الأزمة هو الجهوية، 7 وزراء من دشرة واحدة عيب".

وأضاف أنه لما كتب مذكراته اتصل به المؤرخ محمد حربي ولامه لأنه انتقد بومدين كثيرا، فأجابه قائلا: "أنا لست مؤرخا، ولا أمثل إلا شخصي، لقد عارضت بومدين وهو حي، والآن بومدين مات، اتركوا لنا على الأقل الحق في أن نقول ما نشاء، وأنت كمؤرخ حاول أن تكون متجردا في عملك، لأن الأجيال القادمة ستأخذ ما تكتبه على أنه نتاج بحث علمي بحت".

وألح بورقعة إلى أن الجزائر اليوم في حاجة إلى بومدين في كل ولاية، دون أن يكون هذا بالضرورة كفيلا بحل مشاكل الجزائر، وإعادة الانضباط لتسيير الشأن العام.

وأكد لخضر بورقعة على أننا نعيش وقتا أصبحت فيه الشجاعة تهورا، والجبان تحول إلى حكيم ومتبصر، والمنافق يوصف بأنه ذكي، في حين أن الشريف أصبح لا يصلح لا للمكان ولا للزمان، وأوضح أنه لا يؤمن بوجود مواطن سيء، بل هناك حاكم سيء، وإذا كان هناك مواطنون سيئون فذلك بسبب أن هناك مسؤولين سيئين.

كمال. ز

طالب الإبراهيمي وبوتفليقة انقلبا على بومدين

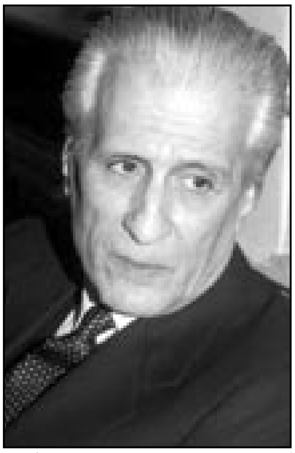

أكد بورقعة أن كثيرا من الأشخاص والمسؤولين الذين كانوا محسوبين على الرئيس الراحل هواري بومدين، انقلبوا عليه بعد وفاته، ولم يواصلوا على نفس النهج، ولم يدافعوا عن نفس الأفكار التي سبق وأن كانوا يدافعون عنها عندما كان بومدين على قيد الحياة.

وأشار ضيف ''الخبر الأسبوعي'' إلى أن أحمد طالب الإبراهيمي وزير الخارجية الأسبق أسس حزبا أسماه حركة الوفاء، في حين أنه كان من الأولى بالنسبة له أن يظل وفيا لبومدين، ولما قلنا لبورقعة أن الإبراهيمي لم يحصل على الاعتماد لحزبه علق قائلا: ''أحسن، وإن شاء الله لن يحصل على الاعتماد أبدا''!

ولما سألنا الرائد بورقعة إن كان الرئيس بوتفليقة بقي وفيا لبومدين، أجاب بعفوية قائلا: ''ما كانش منها'' بوتفليقة بقي وفيا لبومدين في الحملات الانتخابية والندوات الصحفية، في حين أنه تنكر له في الواقع مثله مثل غيره، مشددا على أن بومدين كان يضرب بالعصا، ويحكم على البلد بيد من حديد، وبعد أن مات ذهب كل شيء، وكل ما أنجز في عهده وهو ملك للشعب تبدد وضاع وخرب وبيع بالدينار الرمزي.

وأشار إلى أن الرئيس الراحل عاش في مصر واقترب من ثورة الضباط الأحرار، لذا كان يعرف اختيار الرجال والظروف المناسبة من أجل الحصول على ما يريد، مشددا على أنه لو قيل لي من قبل أن بن طوبال سيمسك الشريط ليقصه بومدين لما صدقت، ولكن ذلك تحقق، ذلك هو بومدين، الذي كان يعرفهم جيدا، عكسنا نحن الذين لم نعرفهم جيدا، ولذلك خسرنا أمامهم في المعركة، ولما سألنا بورقعة إن كان سيأتي اليوم الذي سيمسك فيه الشريط ليقصه بوتفليقة قال: ''لن يحدث هذا أبدا''.

كريم بن شيخ

فتح الحدود مع المغرب ليس هو الحل

قال الرائد لخضر بورقعة أن فتح الحدود الجزائرية ـ المغربية لا طائل من ورائه إلا إذا كان في إطار رؤية شاملة، تأخذ في الاعتبار ضرورة إعادة بعث مشروع اتحاد المغرب العربي الذي يحتضر، معتبرا بأن فتح الحدود من أجل فتحها فقط ليس هو الحل لبعث علاقات أخوية ومتينة مع الشقيقة المغرب.

واعتبر بأن فكرة الاتحاد المغاربي كانت في قلب الثورة التحريرية، موضحا أن الكتيبة التي كان يقودها تضم 22 مغربيا، وهذا ما جعلنا نقتنع بأن فكرة الوحدة المغاربية ممكنة، لأننا خضنا معركة واحدة ضد الاستعمار من أجل تحرير أرضنا، واسترجاع سيادتنا، وأضاف قائلا: ''لقد فتحنا أعيننا على فكرة الوحدة بين أوطان المغرب العربي، وكنا مقتنعين بإمكانية تحقيقها بعد نيل الاستقلال، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن''.

وأضاف أنه كان من الأولى، قبل التفكير في الانضمام إلى الاتحاد من أجل المتوسط، أن نقدم حصيلة لمشروع الاتحاد المغاربي، فإذا كان هذا المشروع مات، لنقم بدفنه والترحم عليه، والبحث عن الأسباب التي جعلته يفشل، حتى نضمن عدم تكرارها في المستقبل، معتبرا أنه حتى وإن كنا نعيش عصر التكتلات، فإنه من الضروري أن نذهب لمثل هذه التكتلات كشريك وليس كتابع.

ولم ينف بورقعة دور القوة الاستعمارية السابقة في إفشال مشروع الوحدة المغاربية، مؤكدا على أن الاستعمار عندما رأى أن معركة التحرير مشتعلة في كامل الدول المغاربية، قرر أن يمنح الاستقلال لبعض الدول، الذي حصلت عليه بمجرد كتابة رسالة، وذلك من أجل عزل الثورة الجزائرية، لأنه مقتنع بأنه لو حصلنا على الاستقلال لكان فيروس الثورة قد انتقل إلى كل المستعمرات.

■كريم. ب

مصالي مرتد وكان أخطر على الثورة من فرنسا

أسهب الرائد لخضر بورقعة في الحديث عن مصالي الحاج، معتبرا بأن هذا الأخير رفض التغيير وطعن الثورة من الخلف، وحرمها من خيرة مناضلي الحركة الوطنية تكوينا ونضالا، وقال: ''لما كنا نلقي القبض على المصاليين لا نعرف كيف نتحدث إليهم، وكيف نتعامل معهم''.

واعتبر بأن المذنب الحقيقي فيما جرى كان مصالي الحاج، يا ليته سكت فقط بعد قيام الثورة، مؤكدا على أن بلونيس كان عضوا بارزا في الحركة الوطنية، وكوبيس تأسست المنظمة السرية OS في بيته بعين الدفلى، لكنهما وآخرين وجدوا أنفسهم في حرب ضد الثورة بتوجيهات وأوامر من مصالي الحاج.

وأعرب بورقعة عن حنقه وضيقه بسبب إطلاق الرئيس بوتفليقة اسم مصالي الحاج على مطار تلمسان، مؤكدا أنه من حق أي كان أن يناور سياسيا من أجل تحقيق مكاسب أو تعزيز مواقع، ولكن أن يوظف التاريخ من أجل تحقيق أغراض سياسية، فذلك أمر مرفوض، إلا إذا كانت الخيانة وجهة نظر.

وعن سؤال بشأن التوصيف الذي يطلقه بورقعة على مصالي، قال ضيف ''الخبر الأسبوعي'': ''إن مصالي مرتد، والمرتد عن الكفر في الإسلام تمحى سيئاته، أما المرتد عن الإسلام عقوبته القتل''.

واعتبر بورقعة أن ''ما فعله مصالي بالثورة أضاف لها في تقديراتي 3 سنوات على الأقل، إذ كان بالإمكان أن تحصل الجزائر على استقلالها في 1959, وفرنسا لعبت على ذلك وشجعت وسلحت المصاليين، فبلونيس وجماعته كانوا يخرجون بشاحنات وأسلحة فرنسية، وخلال تلك السنوات الثلاث التي أضافها مصالي وأنصاره إلى عمر الثورة سقط 80 بالمائة من شهداء الثورة''.

وأوضح أن المصاليين كانوا يتعاملون بوحشية مع جنود الثورة، عندما يلقون القبض عليهم، واستطرد قائلا: ''لقد كانوا يذبحونهم من القفا بوحشية وتنكيل، مشيرا إلى أن الجيوش الفرنسية كانت تأتي في المرتبة الثالثة أو الرابعة من حيث الخطر في كثير من المناطق، مقارنة بالمصاليين، الذين كالوا للثورة ضربات موجعة وقاتلة.

■ك. زايت

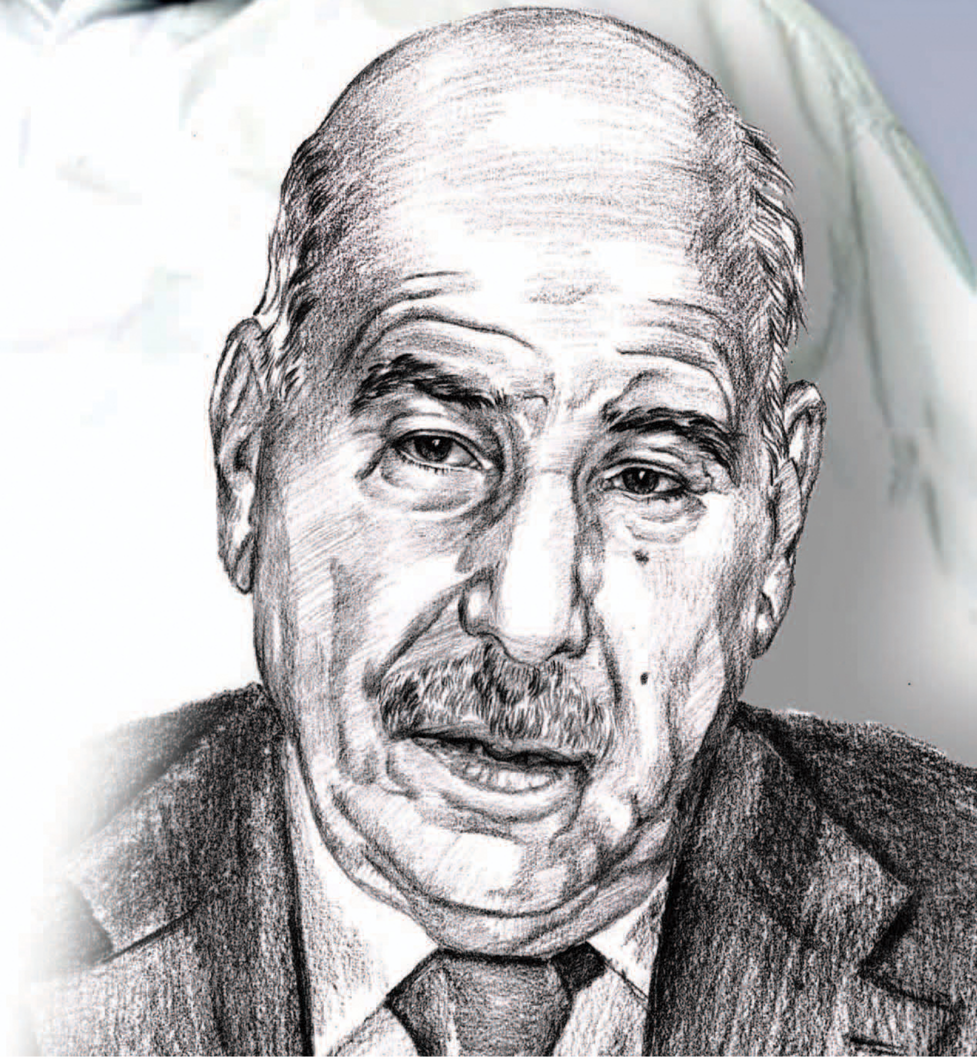

فطور الصباح

الجزائريون يواجهون صعوبات للوصول إلى المتوفر منه في الجزائر

بإمكاننا الاستفادة من 80 بالمائة من أرشيف مرحلة الثورة المتواجد بفرنسا

اعتبر السيد يوسف الخطيب أنه بالإمكان الاستفادة من أرشيف مرحلة الثورة التحريرية المتواجد بفرنسا، سواء بمنطقة أكس أو بفرافس أو غيرها، مشيرا إلى أن قلة الكتابات التاريخية بخصوص مرحلة الثورة يعود في جزء منه إلى عدم القدرة للوصول إلى مصادر التوثيق، خاصة الأرشيف المتواجد في الجزائر.

ص. حفيظ

● أشار ضيف ''فطور الصباح'' أن الجمعية التي تم تأسيسها في الجزائر بغرض توفير بديل للكتابة التاريخية انطلاقا من شهادات الفاعلين الذين عايشوا الأحداث ستمثل إحدى الوسائل الكفيلة بالاحتفاظ بالذاكرة الجماعية، مضيفا أن الجزائريين لم يكن باستطاعتهم الكتابة في مرحلة من المراحل التاريخ الجزائري لكونهم كانوا يعانون من الرقابة على عكس المؤرخين والكتاب الفرنسيين، فما كان متوفر هو أرشيف «فانسان» الفرنسي فيما لم توفر للكتاب والمؤرخين الجزائريين فرص للإطلاع الكامل على الأرشيف.

وأوضح الخطيب ''ما يهمنا حاليا هو إمكانية الاطلاع و الاستفادة من نسبة 70 إلى 80 بالمائة من الأرشيف الفرنسي، لأن هذا الأرشيف يفيدنا بما يحتويه من توثيق ومعطيات، وأرى أن الولاية الرابعة كانت إلى حد كبير من بين الولايات خلال الثورة التي تتميز بغزارة المراسلات والتقارير اتسمت بطابع بيروقراطي بعد أن طبقت حرفيا أرضية الصومام''.

بالمقابل أشار الخطيب ''هناك 20 بالمائة من الأرشيف الفرنسي غير قابل للتوظيف والاستغلال لأنه عادة ما يحتوي على التقارير الخاصة وهي في الغالب تقارير مغلوطة أو محرفة تندرج في سياق الدعاية''. وعن الإجراءات التي تم القيام بها للوصول إلى الأرشيف أوضح الخطيب ''لقد راسلنا العديد من الجهات و قدمت لنا مقترحات وقوائم ونحن بانتظار الترخيص من الجهات المخولة بذلك، أي وزارة الدفاع الفرنسية''.

ص: بلال

ولاحظ الخطيب أن هناك نوعا من الصعوبة للوصول في الجزائر إلي الأرشيف، في وقت فتح الأرشيف الفرنسي للدارسين.

أما عن حيثيات عملية الجرد والتسجيل من قبل الجمعية التي تم تأسيسها، فإنها -حسب الخطيب- ستعتمد العديد من الوسائل الكفيلة بتسجيل كل الوقائع التاريخية دون تحريف ودون أي عقدة، حيث يتم تقديم الوقائع كما حدثت مدعمة اعتمادا على شهادات عديدة للتأكد من صحتها، وقد تم إحصاء وجرد المجاهدين في كامل التراب الوطني، مضيفا ''ليس لدينا حاليا أرشيف بأتم معنى الكلمة لذلك سنعتمد على الشهادات المختلفة للأشخاص الذين عايشوا الوقائع بالصوت والصورة، وقد تم الشروع في اعتماد هياكل خاصة بالجمعية من خلال إنشاء فروع في كل الولايات وتشكيل لجان علمية بالتنسيق والتعاون مع الجامعات وغالبا ما تتشكل اللجنة من ثلاثة أعضاء يترأسها أحد الأساتذة الجامعيين بمساعدة أحد المجاهدين فيما يعين مقرر من الوسط الجامعي وتنبثق عن اللجنة لجان ولائية وخلية عمل تشمل 4 أعضاء يقومون بالتسجيل، كما تقرر تفريغ اللجان على مستوى البلديات لتفعيل العمل الذي يتم القيام به، وجمع كل ما يمكن الحفاظ عليه كأرشيف موثق مثل الصور والوثائق والشهادات الحية.

وتكمن أهمية العمل الخاص بجمع الشهادات في توفير مادة خام وبنك معطيات شامل يشكل أرشيفا لمختلف المراحل التاريخية.

ص.ح

مشكل وصول السلاح وتهميش الداخل فجّر الموقف

''لقاء الإليزي'' بين ديغول وقيادات الولاية الرابعة لم يؤثر على مسار الثورة

كشف السيد يوسف الخطيب المدعو العقيد سي حسان عن حيثيات ما يعرف بقضية «سي صالح» أو «لقاء الإليزي» الذي جمع ما بين 11 و 12 جوان 1960 ثلاثة من قيادات من جيش التحرير للولاية الرابعة العقيدين سي صالح وسي أمحمد والنقيب سي لخضر والجنرال شارل ديغول أنه لم يكن سوى لقاء عرضيا ولم يؤثر على مسار الثورة، وجاء كنتاج عدد من العوامل بعد مخططات شال والحملات الفرنسية الواسعة ودعوات ديغول لتقرير المصير.

● أوضح الخطيب أنه لفهم مثل هذا اللقاء يجب إدراك الظروف والملابسات المحيطة بهذا الحادث التاريخي، فقد كثفت السلطات الاستعمارية من حملاتها العسكرية الواسعة النطاق بعد اعتماد مخطط شال عام 1959 كخيار عسكري بعد مخطط قسنطينة في عام 1958, وأوضح الخطيب أن العمليات العسكرية مثل «إيتنسال» و «بيار بريسيوز» ساهمت في التأثير على جيش التحرير، مضيفا أن خروج لجنة التنسيق والتنفيذ أبرز إشكالا كبيرا، حيث شعر الكثير بأنه تم التخلي عن الداخل لحساب الخارج وأنه تم الخروج عن مبدأ ''أولوية الداخل عن الخارج''، وأشار الخطيب بعد لقاء العقداء، كان التوجه هو تكريس مبدأ أولوية الداخل عن الخارج لكن بعدها لم يتم تطبيق هذا المبدأ واستند الخطيب إلى مقولة بن طوبال، ''حينما خرجنا ذهبنا بالمبدأ إلى الخارج''.

وحول ملابسات قضية «لقاء الإليزي» أشار الخطيب، بعد خطاب الجنرال شارل ديغول في ديسمبر 1959 حول مسألة تقرير المصير، حاول جيش التحرير معرفة موقف الحكومة المؤقتة فتمت مراسلة مسؤوليها إلا أنه لم يتلقى أي إجابات، ومع إلتزام الحكومة المؤقتة الصمت وتشكيل مجلس الولاية الرابعة الذي كان يتكون من العقداء سي صالح وسي أمحمد فضلا عن النقباء حليم وسي الأخضر، وقد أراد هؤلاء الاستمرار فيما انبثق عن لقاء العقداء في ديسمبر 1958, حيث تقرر إيفاد وفد برئاسة العقيد عميروش لممثلي الحكومة المؤقتة لكن عميروش استشهد في الطريق، واعتبر الخطيب أن الوضع كان صعبا مع افتقاد السلاح والذخيرة وصعوبة وصول المؤونة، وبروز شعور بأنه تم التخلي عن الداخل، مشددا على أنه في غياب رد من الحكومة المؤقتة حول مقترحات الجنرال شارل ديغول بعد خطابه حول تقرير المصير، بادر النقيبان سي الأخضر وحليم لتنظيم لقاء «الإليزي» و قد أعترف سي لخضر بقيامه بالمبادرة، بينما لم يكن العقيد سي أمحمد في المرحلة الأولى على اطلاع بحيثيات اللقاء الأول الذي جرى في المدية بين ممثلين فرنسيين وممثلي جيش التحرير للولاية الرابعة، مضيفا أن سي أمحمد وسي صالح كانا يضمنان القيادة بالنيابة.

وعن لقاء «الإليزي» الذي جرى في جوان 1960 أشار الخطيب ''كان هناك العقيدان سي أمحمد وسي صالح، فضلا عن النقيب سي الأخضر وقد أرادا معرفة محتوى المقترحات التي يريد الفرنسيون تقديمها بالتدقيق، وخلال اللقاء قدم الطرفان شروطهما وكانت مطالب فرنسا معروفة مثل وقف إطلاق النار، تسليم السلاح، بالمقابل طالب الوفد الجزائري وقتا لإجراء الاتصالات واستشارة كافة الأطراف الجزائرية ابتداء من مجموعة الخمسة التاريخية المحتجزة بفرنسا بعد أن حولت طائرتهم عام 1956 م من بينهم بوضياف وآيت أحمد وبن بلة وخيضر والدكتور الأشرف، كما تم اقتراح لقاء ممثلي الحكومة المؤقتة لكن الطلب رفض، فاقترح حيز من الوقت لاستشارة باقي الولايات، وعن تداعيات القضية شدد الخطيب على أنها لم تؤثر على مسار الثورة وأن اللقاء كان عرضيا وقد حوكم كل من سي الأخضر وحليم وعوقبا من قبل جيش التحرير لاتخاذهما قرارا دون الرجوع للقيادة، وعلى عكس الشهادات المقدمة من قبل الجنرال شال في كتابه «ثورتنا» حول قضية «سي صالح» أشار الخطيب أنه لم يتم تصفية لا العقيد سي صالح ولا العقيد سي أمحمد، كما أن موقف قائد الولاية الثالثة محند ولد الحاج كان متحفظا ولم يقبل بما اقترح عليه بخصوص لقاء الإليزي ، مضيفا أن الجنرال شارل ديغول حينما لاحظ بأن هذه الوجهة غير سديدة ارتأى التوجه للحكومة المؤقتة لفتح المفاوضات، مشددا ''لم تكن هناك تصفيات والأمر اقتصر على معاقبة النقيبين حليم و سي الأخضر''.

ص. حفيظ

لا أومن بوجود شيء اسمه التاريخ الرسمي

أكد يوسف الخطيب الذي نزل ضيفا على ركن "فطور الصباح" أول أمس على أن إنشاء مؤسسة الولاية التاريخية الرابعة كان "بهدف الاضطلاع بواجب كتابة تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، خاصة بعد أن اقتنعنا بتخلفنا في هذا الشأن". وأضاف بأنه حان الوقت بعد أربعين سنة من الاستقلال لتهتم الدولة بكتابة التاريخ بجدية وموضوعية.

● أوضح يوسف الخطيب رئيس مؤسسة الولاية التاريخية الرابعة أن المحاولات السابقة لكتابة تاريخ الثورة التحريرية عبر تنظيم عدد من الندوات والملتقيات والأيام الدراسية، الدعوات إلى خلق فضاء متراكم من المعلومات لكتابة التاريخ وجمع الشهادات الحية لاسيما تلك التي نظمت سنة 1998 بنادي الصنوبر من طرف الولاية الرابعة التاريخية بعد الدعوة التي وجهتها المنظمة الوطنية للمجاهدين لم تكن كافية تماما. وقال الخطيب ''نحن بحاجة إلى مضاعفة الجهود بجدية''، قبل أن يوعز أحد أسباب إقدام قيادات ومجاهدي الولاية التاريخية الرابعة على مبادرة إنشاء المؤسسة إلى تسجيل عدم اهتمام الدولة بكتابة هذا التاريخ رغم مرور 40 سنة من الاستقلال.

وأكد سي حسان بأنه لا يؤمن بوجود شيء اسمه التاريخ الرسمي ''فالدولة لم تفعل شيئا من أجل جمع الشهادات والوثائق وتدوين التاريخ الصحيح، أما المؤرخين وهم من أغلبية فرنسية فقد اعتمدوا أساسا فيما كتبوه على مصدر واحد، هو أرشيف قصر فانسن الفرنسي الذي لا يحمل كل الحقيقة، كما أنه يترجم رؤية واحدة للأحداث، هي الرؤية الفرنسية، وعليه فإن الاعتماد على هذا النوع من الأعمال ليس مجديا و لا نافعا''.

أما عن ارتباط كتابة التاريخ بالراهن السياسي، فقد أكد ضيف ''فطور الصباح'' على عدم اهتمامه بأي من الاعتبارات السياسية ولا خوفه منها في إرر ادته ''بتمكين الشباب من الاطلاع على تاريخ هو أقرب إلى الصحة'' قبل أن يضيف ''نحن نحاول رفع الغبار عن هذه الحقبة الحيوية من تاريخنا بكل نزاهة وموضوعية وصدق و في ذلك لسنا مطالبين بإرضاء أي طرف''.

ويركز الخطيب على أهمية الشهادات خاصة وأن أغلب المجاهدين من كبار السن، ولذلك هي من الأولويات التي تحظى باهتمام المؤسسة، حيث أنها تراهن على خلق بنك معلومات خاص بتاريخ الحركة الوطنية بشكل عام وتاريخ الولاية الرابعة على وجه الخصوص.

ويعتقد الخطيب أنه باعتبار الولاية الرابعة الأكثر بيروقراطية -كما كانت توصف- لأنها طبقت حرفيا ما توصل إليه القادة في مؤتمر الصومام، فإن الوثائق بشأنها كثيرة ومهمة للغاية، و''لذلك نسعى إلى الحصول عليها لتوضع بين أيدي المؤرخين لتكون مادة لهم في البحث والكتابة التاريخية''.

وقال ضيف ركن ''فطور الصباح'' إن مؤسسته تسعى للحصول على الأرشيف الموجود بفرنسا '' وقد راسلنا الجهات المعنية هناك لهذا الغرض وأرسلوا بدورهم قائمة بالوثائق الموجودة لديهم ونحن بانتظار الرد الأخير'' وعبر عن مطالبة الدولة الجزائرية فرنسا بإعادة الأرشيف المتعلق بالثورة الجزائرية إلى الجزائر وهي لا تفرج عن الأرشيف الموجود داخل الوطن، بالمفارقة العجيبة، مؤكدا أن الإفراج عن الأرشيف هنا دعم للمطالبة به هناك.

سعيد حمودي

عدد المتورطين في ''الابلويت'' بالولاية الرابعة بلغ الثلاثمائة

قال يوسف الخطيب إن مؤسسة الولاية التاريخية الرابعة التي أنشأها حديثا رفقة عدد من رفاق السلاح بما فيهم العقيد لخضر بورقعة، تسعى للتطرق إلى كل قضايا حرب التحرير بدون أي عقدة، بما في ذلك قضية "لابلويت" التي ما تزال تعتبر ضمن طابوهات الثورة التي لم يتطرق لها التاريخ الرسمي.

● قال ضيف ''فطور الصباح'' بخصوص هذه المسألة أن تفاصيل القضية كما عرفتها الولاية الرابعة تعود ليوم 28 ديسمبر 1958 حينما اجتمع قادة الداخل، وهم العقيد لخضر (الولاية الأولى)، العقيد عميروش(الولاية الثالثة) العقيد بوقرة (قائد الولاية الرابعة) وسي الحواس (ممثلا للولاية السادسة) في حين مثل الولاية الثانية لمين خان، وقد لاحظ العقيد عميروش خلال الاجتماع أن ولايات الداخل تعاني من لامبالاة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي لم تكن ترسل ما يكفي من الأسلحة للمجاهدين في الداخل الذين كانوا يقاسون من ويلات مخطط شال الذي جاءت به الجمهورية الفرنسية الخامسة بقيادة الجنرال ديغول، الأمر الذي أوجد احباطا ويأسا في الداخل، استغلته أجهزة المخابرات الفرنسية لضرب الثورة.

هذا الوضع المتردي لولايات الداخل - يضيف حسن الخطيب- هو الذي عجل في انتشار مؤامرة ''لابلويت'' التي انتهى منها العقيد عميروش في الولاية الثالثة وقام بالتصفيات المعروفة من أجل إنقاذ الثورة، فأخبر العقيد أمحمد بوقرة بما جرى في ولايته.

وساورت الشكوك سي أمحمد -حسب ضيف فطور الصباح-، الذي أضاف أن الصدفة أدت إلى اكتشاف خيوط القضية بالولاية الرابعة التي كانت مثالا يقتدي به في التنظيم الإداري والعسكري.

وقال الخطيب إن انضمام عناصر كانوا ينتمون لجيش بلحاج جيلالي الذي حارب جيش التحرير الوطني في منطقة الونشريس تمكنوا من الالتحاق بالثورة، فتسلل بينهم عناصر كانوا على اتصال بجماعة ''لابلويت''، ومعهم أسلحة لم تكن فعالة، مما أثار كثيرا من الشكوك بين قادة الولاية. وأضاف الخطيب أن بعض من هؤلاء العناصر كانوا من ضمن عناصر الجوسسة الفرنسية الذين يعملون تحت لواء نداء ''سلم الشجعان'' والحل التفاوضي على الطريقة التونسية، بغرض توقيف الثورة والقضاء على جبهة التحرير الوطني.

وذكر الخطيب أنه بعد التوصل إلى اكتشاف خيوط المؤامرة جرت استنطاقات، وتم ممارسة التعذيب على كثير من المتورطين في المؤامرة، وبلغ عدد الذين حكم عليهم جيش التحرير الوطني بالموت على مستوى الولاية الرابعة ثلاثمائة شخص. وقال إن العقيدين عميروش وبوقرة أنقذا الثورة فعلا من خطر كان يحدق بها، وأضاف ''صحيح أنه جرت عمليات تعذيب، لكنها كانت ضرورية، والمهم أننا خلصنا الثورة من العناصر العميلة التي استغلت الظروف القاسية التي كان يمر بها جيش التحرير الوطني للترويج للأفكار الانهزامية المعادية للمثال الثوري''.

حميد عبد القادر

المجاهد علي لونيسي يرد على يوسف الخطيب

"الإستحواذ على التاريخ أمر غير سليم"

نفى المجاهد علي لونيسي النقيب في الولاية التاريخية الرابعة، أن يكون يوسف الخطيب آخر عقيد في الولاية الرابعة قد عاش فعلا قضية "التصفيات" المعروفة بـ "لا بلويت" والقضية المسماة "الايليزي"، وأضاف أن الخطيب يجهل ملابسات القضيتين لأنه كان بعيدا عن دائرة القرار وقتها ولم يتقلد بعد مسؤوليات كبيرة في الولاية الرابعة، مؤكدا أن الخطيب لم يمارس تلك المسؤوليات قبل استقلال الجزائر وإنما أصبح الخطيب -يضيف لونيسي- على رأس الولاية الرابعة في جو الأزمة بعد الاستقلال.

سعيد حمودي

● أوضح المجاهد علي لونيسي في رده على ما جاء في تصريحات المجاهد يوسف الخطيب الذي استضيف في "فطور الصباح" بيومية "الخبر" بتاريخ 10 من شهر ماي الجاري، أنه حان الوقت لمعرفة "من فعل ماذا" وأنه لا ينبغي الإستمرار في الغموض، لأن الاستحواذ على التاريخ أمر غير سليم تماما، مؤكدا أن ربط قضية "التصفيات" بقضية "البلحاجيين" المعروفة بـ "كوبوس" لا يمكن السماح به لأنه يحمل في طياته غموضا كبيرا.

وقال أن قضية البلحاجيين المعروفة بـ "كوبوس" وهو الإسم الذي أطلقه الفرنسيون على الخائن بلحاج عبد القادر الذي حاول بقيادة المصالح السرية الفرنسية تشكيل جيش من الجزائريين في جبال "بني بودوان" و "زدين" قصد التصدي لجيش التحرير الوطني. وقد غرر بلحاج بالجزائريين يضيف المجاهد لونيسي لأنه كان مناضلا معروفا في حزب الشعب الجزائري قبل أن يغير موقفه، وذلك قبل اندلاع ثورة التحرير في نوفمبر 1954 ولكن محاولة بلحاج باءت بالفشل بفضل يقظة مصالح الاستعلامات التابعة للولاية الرابعة بقيادة عمر أوصديق.

وبعد تسلل سري داخل هذا الجيش حدث التمرد على قائده وأعدم والتحق أفراده بجيش التحرير الوطني، وقد توفي الكثير منهم يقول لونيسي ولم تطرح مسألة إدماج أغلبهم أية مشكلة وبذلك يرى ذات المتحدث أنه لا مجال للربط بين قضية "لا بلويت" وقضية "كوبوس" فالحدثان متباينان ولا علاقة بينهما، مؤكدا أن الخطيب في ذلك قد تكلم كلاما سطحيا دون تدقيق هي محض قناعاته وآرائه.

وكشف لونيسي أن الخطيب كان ضمن لجنة التحقيق المشهورة مثل "سي حسن المحروق" الذي استقدم خصيصا من الولاية الثالثة لهذا الغرض وهذا ما لم يقله حسب لونيسي الذي أكد أن دور اللجنة آنذاك كان حسب الشهادات "يجري استنطاقات عنيفة ودموية تصل إلى حد القتل

علي لونيسي

للحصول على معلومات حول الشبكات التي كانوا واثقين من وجودها، كان يجب العثور على الخونة واستئصالهم، اعترافات الأشخاص المحصل عليها تحت التعذيب كانت مقيّدة والمشكوك فيهم يتم إعدامهم، وشيئا فشيئا أصبحت هذه الممارسات بالنسبة لأعضاء هذه اللجنة المشؤومة كفاحها الوحيد" يقول علي لونيسي.

ويؤكد المجاهد لونيسي أن المصالح الفرنسية "حاولت ونجحت في التسلل ضمننا". ومع ذلك، فإن عمليات التسلل داخل الجبال لم تبلغ الأهمية والدرجة التي أعطيت لها .ويضيف لونيسي قائلا "وعكس ما قاله الخطيب لم تكن محاولات تسلل العدو داخل صفوف جيش التحرير الوطني تشكل أبدا خطرا على الجزائر ولا على الثورة، لكن الطريقة التي تصدّينا بها لهذا المشكل هي التي كانت مأساوية، فبهذه الطريقة جعلنا الجيش الفرنسي يقوم بأعمال لم يستطع جنوده القيام بها، أي تصفية كل الإطارات التي أمضت جبهة التحرير الوطني سنين في تكوينها وكانت من خيرة عناصرها، لقد كان تواجد جلادين ضمن صفوفنا فرصة سانحة للمصالح السيكولوجية الفرنسية والشيء الذي ساهم في إنجاح هذا التلاعب هي الظروف القتالية على أرض الواقع التي أصبحت في تلك الفترة أصعب وأكثر ضراوة بتكثيف العمليات العسكرية من قصف وتمشيط".

وقد تولد جراء ذلك جو من التوتر والشك في صفوف جيش التحرير حتى أن بعض المجاهدين سلموا أنفسهم للعدو خوفا من جلاديهم.

وأوضح لونيسي في هذا السياق أنه "لا يجب بأي شكل من الأشكال التقليل من قساوة تلك الفترة المؤلمة ولا إخفاء أحداثها أو الحقيقة، كما لا يجب إلقاء المسؤولية على الأموات سواء كان عميروش أو أمحمد إنه إجراء جبان، يجب أن نتحمل أخطاءنا وكل أعمالنا".

وفيما يتعلق بقضية "الايليزي"، فإن المجاهد علي لونيسي يرى أن شروحات يوسف الخطيب غير صحيحة ومبهمة سواء تعلق الأمر بالظروف التي سادت زمن وقوع الأحداث أو فيما يخص الأسماء الفاعلة وفي هذا يقول لونيسي "كل الذين ساهموا من قريب أو بعيد في تحضير وإنجاح هذا المشروع وهم موجودون وبعدد أكبر مما نتصوره ارتكبوا خطأ سياسيا، ذنبهم أنهم حاولوا أن يحلوا محل الشرعية الثورية للحكومة المؤقتة التي كانت موجودة في تونس وذلك بدافع الحسابات الطموحة أو نتيجة الأرق أو الإحباط النفسي". وأكد لونيسي أنه لا داعي في هذه القضية للتحدث عن الخيانة والأعمال البطولية التي لم تحدث قط لأن القضية حسبه لم تبح بعد بكل أسرارها.

وشدد ذات المتحدث في الأخير على أن تبرير التعذيب يعني تبرير الجريمة وتبريره بسبب الخشية من تسلل العدو ليس بالمقنع، مشيرا إلى أن الثورة كانت ضاربة بجذورها في أعماق الشعب الجزائري وكانت صادرة منه في نفس الوقت.

س.ح